



الصقر المالطي

دانتييل هاميت

ترجمة: رولا عادل رنتوان

ترجمات





لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا



لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا

الفصل الأول سبايد و آرتشر

كان لسبايد سامويل فك طويل، وكذا ذقن طويلة مدبية تظهر عظامها بارزة من تحت فمه الذي يحمل ذات الهيئة المخروطية المدبية، وقد تجلّت بشكلٍ أصغر قليلاً مكوّنة زوايا أنفه، وحتى في حاجبيه اللذين رقداً أعلى تجاعيد عميقة ما فوق أنفه. كان شعر سبايد البني الكالح يميل على مفريقيه ويتدلى فوق جبينه، مما منحه طلة أشبه بشيطان أشقر وسيم.

قال سبايد موجهًا حديثه لـ إيفي بيرين: "ماذا تريدان يا عزيزتي؟"

كانت إيفي فتاة طويلة هزيلة، تملك وجهًا لوحته الشمس، وقد التصق فستانها البني المبطن بالصوف الخفيف بجسدها بفعل قليل من رطوبة. كانت عيناها بنيتين مرحتين تزيّنان وجهها اللامع بلامحه الصبانية.

أغلقت الباب ومالت نحوه قائلة: "هناك فتاة تريد مقابلتك. اسمها "ووندرلي".

"زبونة؟"

"أعتقد. ستهتم لرؤيتها في كل الأحوال. إنها فائقة الجمال."

"ادفعيها للدخول إذًا، يا عزيزتي، ادفعيها للدخول."
 فتحت إيفي بارين الباب مجددًا وطلت نحو صالة
 المكتب. محتفظة بمقبض الباب في قبضتها، ندهت
 إيفي قائلة: "هلا تفضلت بالدخول يا آنسة ووندرلي؟"
 "شكرًا لك!" جملة قيلت بصوت ناعم للغاية ما كان
 فحواها ليصل أذن متلقيها لولا أن لُفظ بهذا القدر من
 الوضوح والرصانة. ودخلت في إثره امرأة عبر الباب.
 تقدمت المرأة ببطء وبخطوات مترددة، مسددة
 عينيها الزرقاوين نحو سبايد، بنظرات فاحصة وإنما
 خجولة. كانت جسدها نحيلًا بلا أي بروز، بظهر
 مستقيم وصدر مرتفع، وساقين طوال وذراعين
 رشيقتين كما ساقبها. ارتدت الأنسة ووندرلي طقمًا
 بدرجتين من اللون الأزرق قد اختارته ليتماشى ولون
 عينيها. كان شعرها الأحمر يتدلى ملفوفًا من تحت
 قبعتها الزرقاء، وكانت شفثاها حتى أشد حمرة. ظهرت
 أسنانها البيضاء اللامعة في انفراجة بين شفثيها
 أحدثتها ابتسامتها الخجول. قام سبايد ثم انحنى
 للسيدة مشيرًا إلى الكرسي المجاور لمكتبه بأصابعه
 الغليظة. كان سبايد رجلًا بطول ست أقدام، منحه
 شكل أكتافه المائلة بانحدار هيئة مخروطية - حتى إن
 معطفه الرمادي المكوي مؤخرًا لم يستطع استيعاب

عرض منكبيه كما يجب.

تمتمت الأنسة "ووندرلي": "شكرًا لك"، رقيقة، تمامًا كما سابقتها، وجلست على حافة المقعد الخشبي. غرق سبايد في كرسيه الدوّار، والتف لمواجهتها، وابتسم بتهديب، من دون أن تظهر أسنانه.

كان صوت آلة إيفي برين الكاتبة، وصريرها المكتوم وطرقاتها على الأزرار يصدح من وراء الباب المغلق، وكذلك صوت موتور يهدر في مكان ما بجوار البناية. على الطاولة، رقدت سيجارة مشتعلة في منفضة سجائر نحاسية مزدحمة بالأعقاب. تلطخت واجهة المكتب بلونها الأصفر ببعض من رماد السجائر الرمادي، وكذلك نشابة الورق ذات اللون الأخضر وبعض من الأوراق القابعة على المكتب ذاته. تسرّبت نسمة تحمل رائحة الأمونيا عبر نافذة تغطيها ستارة مواربة بقدر ثمانٍ إلى عشرة إنشات، وتطايرت في إثر النسمة بقايا رماد السجائر من فوق المكتب.

تابعت الأنسة "ووندرلي" رماد السجائر بينما يرتعش ويتطاير في إثر دفقة الهواء. كانت عيناها حائرتين. جلست على طرف المقعد، قدماها ثابتتان على الأرض كما لو كانت على وشك النهوض فجأة، بينما قبضت يداها القابعتان في قفازات داكنة على حقيبتها التي

استراحت على حجرها.

تراجع سبايد في مقعده وسأل:

“والآن، كيف يمكنني مساعدتك، آنسة ووندرلي؟”

التقطت الآنسة أنفاسها ونظرت إليه، ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت بنبرة سريعة متخبطة: “هل يمكنك..؟ ظننت أن.. أنا.. أنه..”، ثم عضت على شفتيها بأسنانها اللامعة وتوقفت عن الكلام. كانت عيناها هي التي تحكي الآن، تتوسل.

ابتسم سبايد وهز رأسه كأنه استوعب كل ما أرادت قوله، كانت ابتسامته راضية مطمئنة كما لو أن الموضوع جد بسيط.

“أعتقد أنه لا بُدَّ لنا أن نسمع عن الأمر من البداية، وحينها يمكننا البت فيما يمكن فعله. من الأفضل أن تعودي بزمن الموضوع لأوله قدر إمكانك.”

“كان هذا في نيويورك.”

“حسنًا.”

“لا أدري تحديدًا أين قابلته. أعني لا أعلم أين قابلته هي في نيويورك. إنها تصغرنى بخمس سنوات - هي في السابعة عشر من عمرها.. وليس لدينا أصدقاء مشتركون. لا أعتقد أننا كنا أبدًا مقربتين كأختين كما يفترض بنا. أبي وأمي في أوروبا. قد يقتلها هذا الأمر.

عليّ أن أعيدها إلى هنا قبل عودتهم.”

”نعم“ قال سبايد

”سيعودان بحلول بداية الشهر القادم.“

لمعت عيون سبايد: ”إذا ليس أمامنا سوى أسبوعين.“

”لم أكن أدري شيئًا عما فعلته حتى وصلني خطابها. لقد ارتعت.“

ارتعشت شفتاها، وقبضت أكثر على حقيبتها، وأكملت: ”لقد كنت خائفةً من الاتصال بالشرطة، لربما تكون قد تورطت في أمرٍ ما يدينها، ولكن الخوف من أن يكون قد أصابها مكروهٌ ظلّ يحفزني على الاتصال بهم. لم يكن لدي من أطلب منه النصيحة في هذا الشأن. لم أدري ماذا أفعل؟ ماذا كان عليّ أن أفعل؟“

”لا شيء بالطبع“ قال سبايد، ”وبعدها وصلك الخطاب؟“

”نعم، وقد أرسلت إليها تليغرافًا أحيّتها فيه على العودة، لقد أرسلته إلى مكتب البريد العمومي هنا، كان هذا العنوان الوحيد الذي منحته لي. انتظرت أسبوعًا كاملًا، ولم يرد منها أي ردٍّ. ولا كلمة، وظلّ ميعادٌ وصول أبي وأمي يقترب ويقترب، لذا أتيت بنفسي إلى سان فرانسيسكو لإحضارها. لقد كتبت إليها

عن ذلك، لم يكن عليّ إخبارها بقدومي أليس كذلك؟”
 “ربما لا. ولكنه ليس من السهل على الإنسان أن
 يعرف دائمًا كيف يتصرف في مثل تلك ظروف، وهل
 وجدتها إذًا؟”

“لا، لم أجدها. كتبت إليها أنني سأذهب إلى سانت
 مارك، ورجوتها أن تأتي لمقابلتي حتى إن لم تملك
 النية في العودة معي، ولكنها لم تأت، انتظرتها لثلاثة
 أيام، ولكنها لم تحضر أو حتى ترسل لي رسالة من أي
 نوع.”

هزّ سبايد رأسه الشيطاني الأشقر، وعبس في
 تعاطف، وزمّ شفّتيه.

“كان أمرًا فظيعةً”، قالت الأنسة ووندولي، بينما
 حاولت الابتسام، “لم أستطع المكوث هناك - منتظرة -
 بدون أن أعرف أيّ شيء عما قد يكون قد أصابها.
 توقفت عن محاولتها الابتسام، ارتجفت. “كتبت لها
 رسالة أخرى، كان عنوان مكتب البريد هو كل ما لدي،
 ولقد زرته بالأمس بعد الظهيرة، وبقيت هناك حتى
 الليل، ولكنها لم تأت. عاودت الذهاب إلى المكتب هذا
 الصباح، ولكنني لم أرَ “كورين” وإنما التقيت بـ “فلويد
 ثورزبي”.

هزّ سبايد رأسه مجددًا واستبدل بعبوسه يقظة

وانتباه حاد.

“يرفض إخباري بمكان كورين”، أكملت الآتسة بيأس،
 “يرفض إخباري بأي شيء، عدا عن كونها سعيدة،
 وبخير حالٍ، ولكن كيف يمكنني تصديق هذا؟ كان
 ليخبرني أنها بخير حتى لو لم تكن كذلك، أليس
 كذلك؟”

“بالطبع”، وافقها سبايد مؤكِّدًا، “ولكنه ربما يكون
 صادقًا في حديثه.”

“أتمنى أن يكون صادقًا، إنني حقًا أتمنى ذلك، بيد
 أنني لا يمكنني العودة للبيت بدون أن أراها، أو حتى
 التحدث إليها في الهاتف. إنه يرفض أن يأخذني إليها،
 يقول إنها لا تريد رؤيتي، لا أصدقها. لقد وعد أنه
 سيخبرها بمقابلتنا، وأنه سيحضرها لمقابلتي - إن
 وافقت على الحضور- الليلة في الفندق، قال إنه يعلم
 أنها لن توافق، وحينها سيحضر وحده لإخباري بذلك،
 لقد..”

توقفت عن الحديث فجأة وكتمت فمها بيدها من
 المفاجأة لصوت فتح الباب.

خطا الرجل الذي فتح الباب للداخل وقال:

“أوه، عفوًا”

رفع آرتشر قبعته البنية وهمَّ بالمغادرة.

“لا بأس يا مايلز” قال سبايد، “ادخل. أنسة ووندولي، هذا شريكى السيد آرثرش.”

عاد مايلز آرثرش إلى الغرفة وأغلق الباب من خلفه. انحنى مايلز بتهديب للآنسة ووندولي محتفظًا بقبَعته في يده، كان الشريك متوسط الطول، ذا بنية قوية، عريض الأكتاف، تخين الرقبة، بوجه أحمر، وخصلات رمادية تنتشر بين شعره المصفف، كان عمره قد تعدى الأربعين، بينما كان سبايد في الثلاثينيات من عمره.

قال سبايد: “هربت أخت الآنسة ووندولي من نيويورك بصحبة رجل يُدعى “فلويد تورزبي”. إنهم هنا في المدينة، قابلت الآنسة ووندولي السيد تورزبي، ولديها ميعاد الليلة للقاءه مجددًا، هناك احتمال أن يحضر أختها معه، وتقول الفرضية الأخرى بأنه لن يفعل، تريدنا الآنسة ووندولي أن نجد أختها ونساعدتها في إعادتها سالمة معها إلى المنزل”. ونظر سبايد إلى الآنسة ووندولي يبغى منها تأكيدًا على مُلخّصه للأحداث، “صحيح؟”

“نعم”، أكدت الآنسة ووندولي بشرود. عاودها خجلها طابعًا أثرًا وردّيًا على وجهها، بعد أن نجح سبايد لفترة في طرد شبحة، بابتساماته المتملقة ومعاودته هزًّا

رأسه في تفهّم وطمأنة.

خفضت الأنسة ووندرلي نظرها نحو حقيبتها وظلت تنقر عليها في عصبية. غمز سبايد شريكه. اقترب مايلز آرتشر ووقف بجانب المكتب وظلّ يحدق في الفتاة الجالسة، بينما كانت تحدّق هي في حقيبتها. تطلّعت عيناه البنيتان المتفحّصتان إلى الفتاة الجالسة بنظرة شملتها من وجهها منخفضة حتى قدميها ثم صعودًا إلى وجهها مرة أخرى. نظر بعدها مايلز إلى سبايد، ومنحه تعبيرًا صامتًا بزم شفّتيه مصفّرًا، كناية عن تقدير.

رفع سبايد إصبعين من يده المستندة على كرسيه مهددًا مايلز بإيماءة قصيرة ليصمت.

”هذا أمرٌ يسيرٌ، ما علينا سوى أن نرسل رجلًا إلى الفندق هذا المساء ليقتفي أثر فلويد عندما يرحل، وحتى يوصلنا إلى حيث توجد أختك. إذا أحضرها معه إلى المقابلة واستطعت إقناعها بالعودة معك، فهذا عظيمٌ.. أما إذا رفضت تركه بعد أن نجدها؛ حسنا، سوف يمكننا معالجة هذا الأمر أيضًا.“

”نعم سنفعل“ قالها آرتشر بصوت ثقيل خشن.

نظرت الأنسة ووندرلي إلى سبايد وقد تجعد ما بين حاجبيها: ”ولكن عليكم أن تكونوا حذرين.“ قالت

بصوت مخنوق وغلّفت الرجفة شفّتها، "أكاد أموت
رعبًا منه، ومما يمكنه أن يفعل، إنها صغيرة جدًا وجلبها
إلى هنا من نيويورك أمرٌ جدّ خطيرٌ، ربما قد.. ربما قد
أذاها بشكلٍ ما؟

"اتركي هذا الأمر لنا، يمكننا التعامل معه."

"ولكن أليس ذلك احتمالًا واردًا؟" أصرّت.

"هناك احتمال بالطبع" هزّ سبايد رأسه وأجاب
بحيادية، "ولكن يمكنك الاعتماد علينا في تولّي هذا
الأمر."

"أثق فيكما بالفعل" قالت بصدق، "ولكني أرغب في
أن تعلمتا تمام العلم كم هو رجل خطير، إنني بصراحة لا
أعتقد أنه يمكنه التوقف عند أي حدّ. لا أظن أنه حتى
سيتورع عن.. قتل كورين إن ظن أن في هذا الأمر
نجاته، أليس في إمكانه أن يفعل ذلك بها؟"

"لم تهّدده بأي شيء، أليس كذلك؟"

"أخبرته أن جلّ ما أريدُ هو إعادة كورين قبل عودة
أبي وأمي، بحيث لا يمكنهما أبدًا معرفة ما قد فعلته.
لقد وعدته بأنني لن أنبس بحرفٍ عمّا حدث إن هو
ساعدني، وإلا سيعرف أبي بالأمر وسيعمل على أن
يدفع الثمن بالطبع. أنا.. لا أظن أنه قد صدّق وعدي ولا
تهديدي."

“أليس في إمكانه معالجة الأمر بالزواج منها؟” سأل
آرتشر

تورّد وجه الفتاة خجلًا وقالت بنبرة حيرى: “إنه
متزوج بالفعل ولديه ثلاثة أطفال في إنجلترا، كتبت
لي كورين عن هذه التفاصيل لتفسّر لي سبب
اضطرارهما للهروب.”

“أمثاله دائمًا لديهم زوجة وأطفال، وفي غير إنجلترا
أيضًا.” قال سبايد ومدّ يده لإحضار ورقة وقلم، “كيف
يبدو شكله؟”

“إنه في الخامسة والثلاثين ربما، وفي مثل طولك،
بشرته داكنة، أو ملوّحة بفعل الشمس، شعره داكن أيضًا
ولديه حاجبان كثيفان، يتحدث بصوت عالٍ وهائج،
عصبي وسريع الانفعال. يوحى دائمًا بأنه يوحى مظهره
بالعنف.”

كتب سبايد ما سمعه على ورقة، وسأل دون أن يرفع
عنها عيونه: “وما لون عينيه؟”

“إنها زرقاء رمادية، وقاسية. و.. آه.. نعم، يملك
علامة في ذقنه؛ شقّ طولي.”

“رفيع، متوسط أم ضخم البنية؟”

“جسده رياضي جدًا، كتفاه عريضان، ويمشي
مستقيم الظهر منتصبه دائمًا، كما رجل عسكري، عندما

قابله هذا الصباح كان يرتدي قبعة رمادية، وبذلة بنفس اللون ولكن بدرجة أفتح قليلاً.

“وماذا يعمل لكسب عيشه؟” قال سبايد بينما يضع قلمه.

“لا أدري حقًا، ليس لدي أدنى فكرة.”

“متى يحين موعد المقابلة في الفندق؟”

“ما بعد الثامنة”

“حسنًا يا آنسة ووندربي، سوف نحرض على إرسال

أحد رجالنا هناك في الميعاد، سيكون بمقدوره..”

“سيد سبايد، هل يمكن لأي منكم؛ حضرتك أو السيد

آرتشر”، قاطعته بينما أبدت التماسًا بضم يديها، “هل

يمكن لأي منكم، أن يهتم بالأمر بشكل شخصي؟ لا

أعني بالطبع أن الرجل الذي قد ترسلونه سيكون غير

قادر على إتمام المهمة، ولكن.. أنا مرتعبة مما قد

يحدث لكورين، مما قد يفعله هذا الرجل، هل يمكنكم

ذلك؟ أنا أعتقد.. أعلم بأن الأمر قد يكلف أكثر بالطبع.”

قالتها بينما عبثت في حقيبتها بيد مرتعشة وأخرجت

ورقتين من فئة مائة دولار ووضعتهما على مكتب

سبايد، “هل هذا مبلغ كافٍ؟”

“نعم، وسأتابع تنفيذ الأمر بنفسي.” قال آرتشر

وقفت الآنسة ووندربي وصافحت آرتشر بامتنان

مندفع.

"شكرًا لك، شكرًا لك" ثم صافحت سبايد أيضًا مكررة امتنانها.

"لا داعي للشكر" قال سبايد، "سيكون من الأفضل أن تقابلي ثورزبي في بهو الفندق، وأن تحرصي على أن يشاهدكم الناس معًا."

"سأفعل"، قالت الأنسة ووندولي وعاودت منح ثنائها للشريكين.

"ولا تحاولي البحث عني" قال آرثر محذرًا، "سأراقبك جيدًا من بعيد."

صحب سبايد الأنسة ووندولي حتى باب المكتب. وعندما عاد إلى مكتبه، كان آرثر يومئ في رضا أبداه نحو ورقتي المائة دولار، وتمتم "هذا كافٍ جدًا"، والتقط واحدة منهما ووضعها في جيب صديريته مضيفًا: "تملك المزيد منهم في حقيبتها".

وضع سبايد الورقة الباقية في جيبه، وقال لآرثر:

"لا تتعلق بها كثيرًا، ما رأيك فيها؟"

"لطيفة، أتأمرني ألا أتعلق بها؟، ربما رأيتهأ أولاً، ولكنني تحدثت إليها بحميمية قبلك". ضحك آرثر بجرأة ووضع يده في جيب بنطاله وتمايل في فخر. "سوف تعذب نفسك في سبيلها، ستفعل حتمًا".

ضحك سبايد في حُبث بدت منه نواجذه في إثر
 ابتسامه عريضة "ولكنك حُرٌّ وتملك عقلاً في رأسك".
 قالها سبايد معلقاً وبدأ يلف سيجارة.

الفصل الثاني موت في الضباب

صاح رنين هاتف في الظلام، بعد الرنة الثالثة،
قرقعت نوابض السرير، وتخبطت أصابع ما على
الطاولة الخشبية، وسقط شيء صغير وثقيل على
الأرض، ثم قرقعت نوابض السرير مجددًا، وصاح صوت
رجل:

“ آلو.. نعم، إنه أنا.. قُتل؟ نعم.. في خلال خمس
عشرة دقيقة، شكرًا.”

نقرة على زر سمحت للضوء بأن يغمر الغرفة من ثريا
بيضاء تدلّت من السقف عبر ثلاث سلاسل ذهبية.
جلس سبايد على طرف السرير، ببيجامته ذات
المربعات البيضاء والخضراء، وقدميه الحافيتين
تستندان على الأرض. نظر بعبوس إلى الهاتف، والتقط
من فوق الطاولة، علبة من أوراق لف السجائر البنية،
وعلبة تبغ ماركة وول دورهام.

هبّت رياح باردة عبر نافذتين، وتسربت معها، آتية
من اتجاه جزيرة الكاتران، نصف دسته من صفارات
منذرة بالضباب. مستندًا بلا اتزان على أحد جوانب
كتاب ديوك “الجرائم الجنائية الشهيرة في الولايات
المتحدة”، أشار منبه على الطاولة إلى تمام الساعة

الخامسة ودقيقتين.

صنع سبايد سيجارة بأصابعه الغليظة مانحًا جل اهتمامه للعملية. غربل كمية محدّدة من رقائق التبغ، ونثرها على الورقة المفتوحة بتوزيع دقيق متساوٍ على طولها وبكرم قليل في منتصفها، لقت إبهاماه الورقة بشكل طولي ضاغظًا بسبابتيه على جسدها لتطويع الحشو ومساواته بعدلٍ، أحكمت أصابعه وإبهاميه تحديدًا على الورقة بينما لعق طرفها بلسانه، سوى بيده اليمنى طرفي السيجارة بينما جرت أصابع اليسرى على الطرف المبتل تحكّم إغلاقه، وتدخلت اليمنى بعدها مجددًا لترفع السيجارة نحو فم سبايد.

التقط ولاعته النيكل المطعّمة بالخزف والتي وقعت على الأرض في بداية المشهد، دورها بين أصابعه بعد أن أشعل السيجارة التي كانت تحترق الآن متدلّية من جانب فمه وهبّ واقفًا. خلع سبايد بيجامته، فبدت من تحتها ذراعاه الغليظتان الناعمتان وساقاه وجسده ومنكباه العريضان، مانحة إياه هيئة دب ضخم، ولكنه دب حليق، كان صدر سبايد حليقًا بلا شعر كثيف، كانت بشرته طرية وردية كما جسد طفل. حكّ سبايد مؤخرة عنقه، وبدأ في ارتداء ملابسه. ملابس داخلية بيضاء، جوارب رمادية، حمالات سوداء، وحذاء بني داكن.

بينما كان يعقد رباط حذائه، التقط سبايد الهاتف وأجرى مكالمة لجراي ستون 4500، وطلب سيارة أجرة. ارتدى سبايد قميصًا أخضر بخطوط بيضاء، وياقة منشأة، وربطة عنق خضراء، والبدلة الرمادية ذاتها التي كان يرتديها ذلك اليوم، معطف فضفاض من الصوف، وقبعة رمادية داكنة. رنّ جرس الباب بينما كان يضع متعلقاته في جيوبه؛ كيس التبغ، المفاتيح والنقود.

حيث يلتقي شارع بوش بشارع ستوكتون قبل أن يبدأ في الانحدار نزولاً نحو الحي الصيني، دفع سبايد أجرة التاكسي وغادره. كان الشارع غارقًا في ليلة ضبابية من ليالي سان فرانسيسكو - ليلة ضبابية نادرة، رقيقة وإنما رطبة. ليس بعيدًا عن المكان الذي غادر فيه سيارة الأجرة، كانت هناك تلة من البشر ينظرون نحو الزقاق. على الجانب الآخر من شارع بوش، وقف رجل وامرأتان محدّقة نظراتهم أيضًا نحو ما يجري في الزقاق. بدت لعينيه بعض الوجوه المراقبة من خلف النوافذ.

عبر سبايد الرصيف ما بين البوابات الحديدية الضخمة، التي انتهت إليها سلالم عالية قبيحة. صاعدًا حتى الحاجز العلوي، ومنتكّنًا على حجرٍ رطبٍ، نظر

سبايد إلى أسفل حيث شارع ستوكتون. ظهرت سيارة مسرعة وهدرت بينما عبرت في النفق تحته، كان هديرها أشبه بانفجار.

في بقعة قريبة من النفق. قرفص رجل في وضع غريب، أمام لوحة إعلانات ارتفعت بين مبنيين، ورُصت عليها إعلانات؛ أحدهما عن فيلم سينما وآخر عن وقود للسيارات، كان الرجل مُقعى على الأرض بحيث أدخل رأسه إلى فجوة في قائم لوحة الإعلانات، مستندًا بيد على الرصيف والأخرى تقبض على قائم اللوحة ذي اللون الأخضر. وقف رجلان آخران في نهاية أحد جوانب اللوحة، مختلسين النظر إلى الفجوة ما بين نهاية اللوحة والمبنى بجوارها، كان حائط المبنى الرمادي يُطل على المساحة المختفية وراء اللوحة، هناك حيث سطعت أنوار الكشافات، وظلال لرجال يتجولون فيما بينها.

عبر سبايد الحاجز ومشى على طول شارع بوش حتى وصل إلى الزقاق الذي كان الناس يتجمعون بالقرب منه. تحت يافطة حديدية زرقاء، كُتب عليها باللون الأبيض "شارع باريت" استوقف سبايد شرطي في زي رسمي يتحرك فمه ماضغًا علكة، وسأله:

ماذا تفعل هنا؟

“أنا سام سبايد، لقد اتصل بي بولهاوس.”

“بالطبع أنت هو”، قالها الشرطي وخفض يده القابضة على كتف سبايد. “لم أتعرف إليك، إنهم هناك”، قال الشرطي وأشار بإبهامه لما وراء كتفه. “أمور سيئة تحدث.”

“سيئة بما يكفي”، وافق سبايد على تصريح الشرطي، وتركه صاعداً حتى الزقاق.

في منتصف الشارع وقفت سيارة إسعاف. على اليسار، خلف السيارة، كان الجسر مسوراً بسياج منخفض مصنوع من ألواح خشنة طويلة. وراء السياج، تظهر مساحة خالية مظلمة تطل على الجزء الخلفي من لوحة إعلانات شارع ستوكتون.

تمزقت قطعة من السياج بطول عشر أقدام من جانب واحد. رقدت صخرة مسطحة كبيرة على بعد 15 قدم من الطريق المنحدر، في المنتصف، بين الطريق المنحدر والصخرة، رقد مايلز آرثر على ظهره، ووقف رجلان بجانبه يسلم أحدهما مصباحه الكهربائي على جثة الرجل الميت. تجول أناس كثيرون على طول التل بمصابيحهم الكهربائية.

حيًا أحدهم سام، “مرحبًا سام”، وصعد المنحدر يسبقه خياله. لقد كان رجلاً سمينًا، طويل القامة،

بعينين ضيقتين ماكرتين وفم كبير ووجنة حليقة
بإهمال. لُطخ حذاؤه وركبتاه ويدااه وذقنه بالوحل.

“لقد ظننت أنك ربما سترغب في رؤيته قبل أن
ننقله من هنا”. قال الرجل بينما ابتعد قليلاً عن السور
الممزقة سياجه.

“أشكرك يا توم”، قال سبايد، “ماذا حدث؟”، وقف
سبايد مستنداً بمرفقه إلى السياج بينما ينظر إلى الجثة
الراقدة بالأسفل ويرد تحيات القوم بجوارها برأسه.

أشار بولهاوس إلى جانبه الأيسر بإصبعه القذر، “لقد
أصابته واخترقت قلبه، باستخدام هذا.”، أخرج من
جيبه معطفه مسدسًا ضخمًا وعرضه على سبايد. كان
سطح المسدس ملطخًا بالطين. “ويبلي، إنجليزي الصنع
أليس كذلك؟”

أزاح سبايد مرفقه عن السياج وانحنى ليلقي نظرة
فاحصة على المسدس دون أن يلمسه.

“نعم، ويبلي فوسبيري، أوتوماتيكي، عيار 38، ثمان
طلقات. لكنهم توقفوا عن صنعه منذ فترة. كم رصاصة
أطلقت من خزنته؟”

“واحدة فقط”. عبت بولهاوس ب صدره في مكان
الطلقة المفترض مجددًا. “أظنه كان ميتًا بالفعل عندما
سقط على السياج وحظمه.”

رفع بولهاوس المسدس مجددًا، "هل رأيت واحدًا منهم من قبل؟"

أوماً سبايد، "نعم، رأيت مثلهم من قبل". ثم قال سريعًا "لقد أطلق عليه النار هنا بالأعلى، أليس ذلك صحيحًا، كان يقف تحديدًا حيث تقف وظهره إلى السياج. بينما وقف الذي أطلق النار عليه ها هنا" قالها سبايد، بينما التفت في مواجهة بولهاوس ورفع إصبعيه كمن يحمل مسدسًا، "يطلق عليه النار فيتراجع مايلز إلى الورااء من أثر الطلقة، يتحطم السياج بفعل جسده الساقط عليه، وينحدر جسد مايلز للأسفل حتى يرتطم بالصخرة."

"نعم هذا هو تفسير الأمر تمامًا"، يجيب بولهاوس ببطء عاقدًا حاجبيه، "لقد أحرقت الطلقة معطفه".

"من الذي وجده؟"

"شيلينغ، شرطي الدورية. كان يسير بطول شارع بوش وبينما كان يمر بالمكان، سطع ضوء سيارة مازة على تلك الجهة من السور الذي تحطم. فاقترب من السياج للتحقق من الأمر، ووجدته."

"وماذا عن تلك السيارة التي كانت تسير بجوار السياج؟"

"لا شيء عنها يا سام، لم يهتم شيلينغ باستطلاعها.

لم يكن يعلم أيّ شيءٍ بعد عما حدث. يقول إنه أثناء سيره في الدورية بدايةً من شارع باول، لم يلاحظ خروج أحد من الزقاق - كان سيراه إن فعل. لا يوجد سوى طريقة واحدة أخرى للخروج من هنا- الزحف أسفل لوحة الإعلانات والنزول حتى شارع ستوتكن. ولكن لم يصل أحد إلى الشارع. كانت الأرض رطبةً بفعل الضباب، ولم ينطبع على الأرض أيُّ آثارٍ غير تلك التي خلفها جسم مايلز والمسدس الذي ألقى مهجورًا على المنحدر.

”هل سمع أحدٌ صوت الرصاصة؟“

”حبًا بالله يا سام، لقد وصلنا لتوننا، من الوارد أن يكون أحدهم قد سمعها، لكننا لم نعرف بعد.“

التف بولهاوس واستند بإحدى قدميه على السياج.

”أتريد النزول لإلقاء نظرة عليه قبل أن نحمله من هنا؟“

”لا“ قال سبايد

وقف توم بساقين منفرجتين بينهما السياج، وألقى نظرة مندهشة على سبايد.

”ألم تفحصوه جيدًا، لقد فعلتم كل ما كان يمكنني فعله.“

رفع توم ساقه التي عبرت من فوق السياج، وظلَّ

يتابع سبايد بعين متشككة.

“كان مسدسه مربوطًا إلى فخذة ما يزال، بخزانة كاملة، معطفه مزررًا، ولديه في جيبه ما يقارب مائة دولار وستين. هل كان يعمل على قضية ما يا سام؟”
أوماً سبايد بعد لحظة من التردد.

“كان مفترضًا به تتبّع شخصٍ يسمى فلويد ثورزبي”
وبعدها قام سام بوصف الرجل تمامًا كما وصفته الأنسة ووندولي.

“لأي هدفٍ كان يتبعه؟”

وضع سبايد يديه في جيوبه ورمش بعينين ناعستين نحو توم.

كرر توم بفقدان صبرٍ: “لأي هدفٍ؟”

“كان رجلًا إنجليزيًا، ربما. لا أعلم الكثير عن أمره، كنا نحاول معرفة أين يسكن.”

ابتسم سبايد ابتسامة عريضة وأخرج يده من جيبه وربّت بها على كتف توم، “لا تزعجني يا توم”، ثم أعاد يده إلى سابق مكمناها، “سأذهب الآن لإبلاغ زوجة مايلز بخبر رحيله.”

همّ سبايد بالرحيل، فتح توم فمه ليقول شيئًا، ثم أغلقه، دون أن يتفوه بكلمة، سعل ثم قال بنبرة مؤنبة حاول أن تكون لطيفة:

“هذه مأساة. صحيح أن مايلز لم يُعَدَمَ عيوبًا في شخصه.. كما نحن جميعًا.. ولكنه لم يُعَدَمَ الخصال الجيدة أيضًا..”

“أعتقد”، قالها سبايد كأن لم يعنها حقًا، ثم طفق مغادرًا المكان.

في متجر للأدوية في زاوية التقاء شارعي بوش وتايلور ستريت، كان سبايد يستخدم هاتف المتجر.

“عزيزتي”، قالها بعد فترة من طلبه للرقم، “إنه مايلز، لقد أُطِيقَ عليه الرصاص.. نعم، لقد مات.. حافظي على هدوئك.. عليك الآن أن تُطلعي إيفا على الأمر، لا، لن أفعل ذلك بنفسي أبدًا.. عليك أن تقومي بهذا بنفسك.. فتاتي المطيعة أنت.. وحاولي أن تبقيها بعيدًا عن المكتب، أخبريها أنني سأقابلها.. يومًا ما.. ولكن لا تقيديني بوعود.. نعم، هكذا أفضل. أنت ملاك.. سلام.”

كان منبه سبايد المعدني يشير إلى الرابعة والثلاث عندما ضغط على مفتاح الإضاءة وغمرت الثريا البيضاء الغرفة بالضوء مرة أخرى. ألقى سبايد قبَّعته ومعطفه على السرير، وذهب إلى المطبخ وعاد إلى غرفة النوم مع كوب وزجاجة طويلة من نبيذ باكاردي. ملأ سبايد الكأس، وشربه بينما لا يزال واقفًا. وضع

الزجاجة والكأس على الطاولة، ثم جلس على حافة السرير ولف سيجارة. عندما رنَّ جرس الباب، كان قد ازدرد بالفعل كأسه الثالث وأشعل سيجارته الخامسة.

عندما رنَّ جرس الباب، كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة والنصف. تنهَّد سبايد، وقام من على السرير، وسار حتى صندوق الهاتف بجانب حمامه ثم ضغط زرًا لفتح بوابة المنزل المطلَّة على الشارع، وتمتم: "اللعة عليها"، وظلَّ ينظر لصندوق الهاتف الأسود عابسًا، يتنفس بغير انتظامٍ حتى احمرَّت وجنتاه. وصلت إليه أصوات هدير وقرقعة المصعد وبابه القادمة من الردهة. تنهد سبايد مجددًا واقترب من الباب، بعدها تتابعت خطوات ثقيلة مرَّت على الأرضية المغطاة بالسجاد ما وراء الباب. خطوات رجلين. انفرجت أسارير سبايد، ولمعت عيناه اللتان احتلَّهما الخوف منذ قليل، وفتح الباب مُسرِّعًا.

"مرحبًا، توم" قالها سبايد للمحقق السمين طويل القامة الذي قد تبادل الحديث معه في شارع بوريت، وألقى تحية مشابهة للرجل الواقف بجوار توم، "مرحبًا أيها الملازم، تفضلًا". قال سبايد.

ردَّ الاثنان التحية برأسيهما دون كلمة واحدة ودخلا إلى المنزل. أغلق سبايد الباب وقاد ضيوفه إلى حجرة

نومه. جلس توم على الأريكة بجوار النافذة، وجلس الملازم علي كرسيّ بجوار الطاولة. كان الملازم رجلاً ذا بنية قوية بشعر مجعّد قصير ووجه مربع وشارب رمادي قصير. كانت ربطة عنقه مزينة بدبوس طويل، تعلو رأسه قطعة ذهبية من فئة خمس دولارات، وتحمل شارته حلية ماسية تشير لعضويته لأخوية أو جماعة سرية ما.

أحضر سبايد كأسين من المطبخ، وصبّ لنفسه ولهم بعضاً من نبيذ الباكاردي، ومنح كلاً من ضيوفه كأساً، ثم جلس على طرف السرير. كان وجهه هادئاً ولا يحمل أي لمحة لفضول، رفع كأسه وقال "في صحة نجاح الجريمة"، ثم شرب الكأس حتى ثمالته. أنهى توم كأسه ووضع به بجوار قدميه ومسح فمه بسبابته الملطخ بالطين. ظلّ بعدها مُحملاً في قدم السرير محاولاً تذكر شيء غامض ذكره به منظرها. نظر الملازم للكأس لثوانٍ طويلة، ثم رشف منه رشفة، وضعه بعدها على الطاولة جوار مرفقه. فحص الغرفة بعينين متفحّصتين عامدتين، ثم نظر بعدها إلى توم. تحرك توم على الأريكة بانزعاج، ثم قال دون أن يرفع وجهه: "سبايد، هل أوصلت الخبر إلى زوجة مايلز؟"

"حصل" قال سبايد

”وكيف تقبّلته؟“

”أنا لا أفقه شيئًا في أمور النساء“ ردّ سبايد
”هذا أمرٌ أكيدٌ“ قال توم بنعومة.

وضع الملازم يديه على ركبتيه، ومال نحو سبايد،
كانت عيناها المائلتان للاخضرار مركّزتين على سبايد،
بنظرة غريبة، ميكانيكية عنيدة قد لا تتزحزح إلا بلفّ
رافعة أو بضغطة زر.

”ما نوع المسدس الذي تحمله؟“

”لا أحمل أيّ نوع. لا أحب حملهم في الواقع، غير أننا
نملك بعضًا منها في المكتب بالطبع.“

”وددت لو ألقيت نظرة على أيّ منهم، هل تحتفظ
بواحدٍ هنا؟“ سأل الملازم

”لا..“

”هل أنت متأكد؟“

”ابحث بنفسك“، قالها سبايد بابتسامة وملوّحًا
بكأسه الفارغ، ”يمكنك قلب المكان رأسًا على عقب إن
أردت، لن أعترض. إذا كان لديكم مذكرة تفتيش.“

”اللعنة يا سام“ اعترض توم.

وضع سبايد كأسه على الطاولة ووقف في مواجهة
الملازم.

“ماذا تريد يا داندي؟” قالها بصوت قاسٍ وبارد كعينييه.

تحركت عينا الملازم داندي في مواجهة سبايد ليبقي على تركيزه على شخصه.

عيناها فقط هما اللتان تحركتا.

تحرك توم بكامل جسده الثقيل مجددًا على الأريكة، وأخرج زفيرًا عميقًا من أنفه، وقال بنبرة حزينة: “لا نريد أن نسبب أي مشكلة.”

تجاهله سبايد وظلَّ موجهًا حديثه للملازم: “حسنًا، ماذا تريد؟ تكلم بثقة، من تظن نفسك لتأتي إلى هنا محاولًا اتهامي بأمر ما؟”

“حسنًا”، قال داندي بصوتٍ واضحٍ، “اجلس واسمع.”
 “سأجلس أو أقف كما يحلو لمزاجي اللعين”. قالها سبايد ولم يتحرك.

“أستحلفك أن تتمالك عقلك” توصل توم. علام نتجادل بحق الجحيم؟ إذا كنت تريد أن تعرف، لماذا لم تكن واضحين من البداية، ذلك لأنني عندما سألتك من هو ثورزبي، أجبتني بأن ذلك أمر ليس من شأني، لا يمكنك معاملتنا على هذا النحو يا سام، هذا ليس من حقلك، ولن تنفعك هذه الطريقة. لدينا عملٌ لننجزه.”

انتفض الملازم داندي، وقف قريبًا من سبايد، وأقحم

وجهه المربع في مواجهة سبايد: "لقد حذرتك بأن قدمك لا بُدَّ ستزل ذات يوم".

امتعض سبايد ورفع حاجبيه، قائلاً بنبرة ساخرة: كل قدم لا بُدَّ لها من يوم فيه تزل.
"وهذا دورك."

"لا، أنا بخير حالٍ حالياً ودون زلّات، شكراً لك" قال سبايد وتوقف بعدها عن الابتسام، بارتعاشة أصابت الجانب الأيسر من شفته العليا. ضاقت عيناه وصار صوته أجش عميقاً منافساً نبرة الملازم.

"لا أرتاح لطريقة إدارتكما للحوار، ماذا تخبئان؟ أخبراني أو دعاني أذهب للنوم."

"من يكون ثورزبي؟" سأل داندي بنبرة أمرّة.

"لقد أخبرت توم بكل ما أعرفه عنه."

"ما أخبرت به توم قليل جداً."

"ما أعرفه عنه قليل جداً."

"لماذا كنتما تتبعانه؟"

"لم أكن أتبعه، بل كان مايلز.. وذلك بسبب داعٍ جداً وهو حفنة جيدة من الدولارات دفعتها لنا زبونة بهدف أن نتبعه."

"مَن كانت هذه الزبونة؟"

كست الشجاعة وجه سبايد وصوته مجددًا وقال مؤنّبًا: "تعرف أنني لا يمكنني إخبارك بذلك قبل مناقشته معها أولاً."

"إن لم نخبرنا عنه الآن، سنضطر للإخبار عنه في المحكمة، هذه جريمة قتل لا تنسى ذلك" .. قال داندي بحرارة.

"ربما، لكنّ هناك أمرًا آخر عليك أنت أن تذكره، سأقول ما أريد قوله في الوقت الذي أريد، إنني لا أتذكر آخر مرة أزعجتني فيها حقيقة أن هناك شرطياً ما لا يحبني."

ترك توم مجلسه على الأريكة، وجلس على إحدى قوائم السرير. كان وجهه الموحد مجهّدًا وغارقًا في تجاعيده.

"حاول أن تفكّر في الأمر بعقلانية يا سام". توّسل توم، "مدّ إلينا يد المساعدة، كيف يمكننا التوصل لأي شيء في أمر مقتل مايلز إن لم نخبرنا عمّا تعرفه؟"
 "لا تصدّعا رأسيكما بهذا الأمر، سأتولى أمره بنفسني". قال سبايد

جلس الملازم داندي ووضع يديه على ركبتيه مجددًا. كانت عيناه الخضراوان متقدتين.

"لقد ظننت بالطبع أنك لا بُدّ ستتولى الأمر، لهذا

تحديدًا نحن هنا، أليس كذلك يا توم؟”

تنهّد توم لكنه لم يقل شيئًا.

كان سبايد يراقب داندي بحذرٍ.

“كان هذا ما قلته بالضبط لتوم”.. وأكمل: “قلت له:

توم، إنني أملك حدسًا بأن سام سبايد سيبقي مشاكل

وأموار شركائه طي الكتمان وسيتولاها بنفسه. هذا

بالضبط ما قلته.”

اختفى الحذر من عيني سبايد وحلّ مكانه مللٌ

مقيمٌ. وتوجه نحو توم وسأل بلا مبالاة: “ماذا عساه

يزعج صديقك الحميم الآن؟”

قام داندي وظلّ يوكز صدر سبايد بإصبعيه، مع كل

كلمة ينطقها، محفزًا حروفه على الوصول لعقل سبايد

مصحوبة بالألم: “لقد قُتِلَ تورزبي بالرصاص أمام

الفندق بعد ثلاث وخمسين دقيقة من مغادرتك لشارع

بوريت.”

تكلم سبايد بحروفٍ بمثل وضوح حروف داندي،

وحملها كلّ ألمٍ استطاعه: “أبقى مخالبك اللعينة هذه

بعيدًا عني.”

سحب داندي إصبعيه ولكنه لم يغيّر نبرته: “قال توم

إنك كنت على عجلة من أمرك حتى إنك لم تتوقف

لإلقاء نظرة على جسد شريكك المسجى.”

زعم توم مبررًا: "اللعنة يا سام، لقد فررت فعلاً من المكان."

"ولم تزر زوجة آرتشر لإخبارها بخبر رحيله، لقد اتصلنا بتلك الفتاة في مكتبك وقالت إنك قد أرسلتها لزوجته لاطلاعها على النبأ."

أوما سبايد مؤكِّدًا بهدوء مزعج.

رفع داندي إصبعيه مجددًا نحو صدر سبايد، ثم خفضهما، وقال: "أتخيل أنك قد وصلت للهاتف وكلمت الفتاة في خلال عشر دقائق، ثم وصلت حيث يقطن ثورزبي في ليفينوورت في عشرة أخرى - خلال خمس عشرة دقيقة على الأكثر، مما يمنحك عشر أو خمس عشرة دقيقة لانتظاره حتى يظهر."

"تقول إذا إنني عرفت أين كان يسكن؟ وإنني توقعت أن يذهب إلى هناك بعد أن أطلق الرصاص على مايلز؟"

"لقد علمت ما علمت وتوقعت ما توقعتة" .. ردَّ داندي بعناد، "متى وصلت إلى المنزل؟"

"الرابعة إلا ثلث، كنت أتجول قليلاً محاولاً التفكير في الأمر."

"نعلم أنك لم تكن في المنزل في الثالثة والنصف، لقد حاولنا الاتصال بك، أين كنت تتجول تحديداً" ..

قال داندي.

“على طول شارع بوش.”

“هل شاهدك أحدهم بينما...”

“لا، لم يكن هناك شهودٌ” ابتسم سبايد في رضا،

“اجلس يا داندي وأنه شرابك، هات كأسك يا توم.”

“لا، أشكرك يا سام.”

جلس داندي غير مبالي على الإطلاق بكأس نبيذه.

ملاً سبايد كأسه، وشربه ووضعها فارغاً على الطاولة،

ثم عاد لمجلسه السابق على طرف السرير.

“فهمت الآن ما يجري.” قالها سبايد موزعاً نظراته

الوديّة بين المحققين، “أعتذر لأسلوبي اللفظ، ولكن

ظهوركما هنا ومحاولة اتهامي بهذا الأمر قد وترني،

ناهيك عن قتل مايلز، وكل تلك المناورات التي ظلمت

تمارسانها عليّ، ولكن كل شيء على ما يرام الآن، لقد

فهمت ما قصدتما.”

“لا تهتم” قال توم

بينما لم يتفوه الملازم بكلمة.

“هل مات ثورزبي؟” سأل سبايد

“نعم” أجاب توم عندما تردّد الملازم في الردّ.

غير أنه أضاف لإجابة توم: “وكما ربما تعرف.. فقد

مات قبل أن يخبر أحدًا بأي شيء.

كان سبايد يلف سيجارة. سأل دون أن يرفع عينيه عنها: ماذا تعني؟ أنني لا بُدَّ أعرف بأمر وفاته؟

ردَّ داندي بجرأة: "عني ما قلته".

رفع سبايد عينيه إلى داندي وابتسم بينما يحمل سيجارته الجاهزة في يد والقداحة في الأخرى.

"لا يمكنك القبض عليَّ بعدُ يا داندي، أليس كذلك؟"

حدَّق إليه الملازم بعينه الخضراوين القاسيتين، ولكنه لم يردَّ.

"إذًا، ليس لدي أي داعٍ للانشغال بما تعنيه أو تظنه، أليس كذلك يا داندي؟"

"تحلى ببعض من عقلانية يا سام". قال توم

وضع سبايد السيجارة في فمه، أشعلها ثم نفت دخانها من بين شفثيه المبتسمتين.

"سأحاول التحلي ببعض العقل". وعدَّ سبايد، "إذًا

أخبراني، كيف قتلت ذلك الرجل ثورزبي كما تظنان؟"

تمتم توم ساخطًا، وقال داندي: "لقد أطلق عليه

الرصاص أربع مرات من الخلف، بمسدس من عيار 44

أو 45، لم يكن هناك شهود، لكن هكذا كوَّنا الصورة."

"وكان يرتدي حافظة مسدسات حول كتفيه"، أضاف

توم، "لكنه لم يطلق منها أي رصاص".

"ماذا يعرف عنه العاملين بالفندق؟"

"لا شيء سوى أنه كان مقيمًا هناك منذ أسبوع".

"يقيم وحده؟"

"وحده.."

"ماذا عرفتم عنه؟ وهل وجدتم شيئًا في حجرته؟"

قلب داندي شفتيه وسأل: "ماذا كنت تريدنا أن نجد

هناك؟"

نفخ سبايد دخان سيجارته في دائرة مموهة وقال:

"أشياء تخبركم عن يكون، وما قصته، هل وجدتم

شيئًا كهذا؟"

"كنا نأمل أن تخبرنا أنت شيئًا عن هذا."

رفع سبايد عينيه الرماديتين المصفرتين بينما حملت

أكثر أمارات الصراحة: "لم أرَ ثورزبي في حياتي، لا حيًّا

ولا ميِّتًا."

قام الملازم داندي من جلسته يشع عدم الرضا من

عينيه، بينما وقف توم يمدد ذراعيه ويتشاءب.

"لقد انتهينا من سؤالك عمَّا جئنا من أجله" قال

داندي قاطبًا جبينه فوق عينيه القاسيتين كما الحصى

الأخضر، وأخرج جملته التالية من شفتيه السفلى،

لاصقًا شاربه بأسنانه في سخط، "لقد أخبرناك أصلاً
بأكثر مما أخبرتنا به، ولكن لا بأس. أنت تعرفني جيداً
يا سبايد، قتلته أم لم تفعل، سأعاملك بما تستحقه،
وستمنح فرصتك العادلة كاملة. لا أعلم إن كنت أملك
الكثير ضدك، ولكن ذلك لن يفلتك من قبضتي."

- "هذا موقف عادل بما يكفي فيما أظن"، ردَّ سبايد
في حيادية، "ولكنني سأشعر بأن الأمور أفضل فقط لو
تناولت شرابك."

التف الملازم داندي إلى حيث الطاولة، رفع كأسه،
وأفرغه عميقًا ببطءٍ في جوفه، ثم قال لسبايد: "ليلة
سعيدة"، ومدَّ يده مصافحًا. تصافح الجميع برسمية،
ثم انصرف الضيفان.

خلع سبايد ملابسه وأطفأ الأنوار ودخل إلى سريره.

الفصل الثالث

ثلاث نساء

عندما وصل سبايد مكتبه في العاشرة من صباح اليوم التالي، كانت إيفي برين جالسة على مكتبها تتفقد بريد الصباح. كان وجهها الصبياني شاحبًا تحت سمرته الحديدية بفعل الشمس. وضعت كومة الخطابات التي تحملها وسكينة فتحها وقالت: "إنها هنا"، كان صوتها منخفضًا ويحمل نبرة محدّرة.

"لقد طلبت منك أن تبقىها بعيدًا" اشتكى سبايد.

كانت عينا إيفي برين الواسعتان البينتان وصوتها منزعجًا تمامًا كما سبايد، "نعم لكنك لم تقل لي كيف أفعل هذا"، رمشت بعينيها للحظات في يأس، "لا تكن شكاءً يا سام، لقد تحمّلتها كفاية طيلة الليلة الماضية." قالت بنبرة تعب.

وقف سبايد بجانب الفتاة ووضع يداً حانية على رأسها، مسد فيها شعرها من مفارقه، "اعذريني يا ملاكي، لم..."

قطع حديثه انفتاح الباب، "أهلاً إيفاً"، قالها للمرأة التي فتحتة.

"سام" قالت المرأة.

كانت امرأة شقراء، تبلغ من العمر ما فوق الثلاثين ببضع سنوات. كانت أبهى سنوات حسنها قد ولت عنها منذ سنواتٍ خمس على الأقل، وكان جسدها صلبًا وإنما متناسقًا. ارتدت إيفا اللون الأسود من قبعتها حتى حذائها، وبدا زيُّ حدادها ذاك كما لو كان قد اختير بشكل ارتجالي. بعد كلمتها الأخيرة، تنحّت السيدة عن الباب ووقفت تنتظر دخول سبايد.

رفع سبايد يده عن شعر إيفا برين ودخل إلى مكتبه وأغلق الباب. هرعت إيفا إليه ورفعت وجهها الحزين في انتظار قبلته. طوقته ذراعيها قبل أن يمد هو إلى جسدها يداً. بعد أن تبادلًا قبلةً، قام سبايد بمبادرة محاولاً إزاحتها، ولكنها ألصقت وجهها بوجنته وبدأت في النحيب.

رَبَّت سبايد على ظهرها قائلاً: "مسكينة يا عزيزتي"، كان صوته رقيقًا. لمعت عيناه غضبًا بينما استطلعت مكتب شريكه من وراء ظهر إيفا. زم شفتيه عابسًا بلا صبر، وأزاح ذقنه محاولاً تفادي طرف قبعتها.

"هل أرسلت في طلب شقيق مايلز؟" سأل.

"نعم. لقد وصل هذا الصباح". كانت كلماتها مبهمة قليلاً بفعل نحيبها ومعطف سبايد الذي دفنت فيه وجهها.

عبس سبايد مجددًا ونظر في شك لساعة معصمه.
 كانت ذراعه اليسرى تطوقها، ويده على كتفها الأيسر.
 وكان كفه مرفوعًا لما فوق المعصم بما يكفي ليلقي
 نظرة على الوقت الذي أشارت إليه الساعة، العاشرة
 وعشر دقائق.

تحركت المرأة قليلًا بعد بين ذراعيه كانت عيناها
 الزرقاوان المدوّرتان مغرورقتين بالدموع ومحاطتين
 بهالات بيضاء. كان فمها رطبًا.

“سام”، ناحت المرأة، “هل قتلته؟”

حدّق سبايد في عينيها المنتفختين من أثر الدموع،
 واندهش للحظة. رفع عنها يديه ودفع نفسه خارج
 أحضانها ووقف بعيدًا. تابع تحديقه إلى وجهها
 وتنحنح.

تسمّرت ذراعها مرفوعتين على ذات الوضع بعد أن
 أزاحهما سبايد، ظلّ الإزعاج عينيها، اللتين ضاقتا قليلًا
 في أثر دهشتها، وارتعشت شفتاها الحمرأوان
 القاتمتان.

ضحك سبايد، “ها!”، وسار حتى النافذة ذات الستائر
 المنفوخة. وقف هناك يتابع ما وراء النافذة مديراً ظهره
 لها، حتى بدأت هي في التحرك نحوه، فانتفض سريعًا
 وسار نحو مكتبه، جلس سبايد مستندًا بمرفقيه على

المكتب، حاشراً ذقنه بين قبضتيه، وناظراً إلى إيفا بعينه الرماديتين المصفرتين اللتين تلمعان بين رموشه.

"من عساه قد أوحى إليك بهذه الفكرة المبهرة؟"
سأل بيروود.

"لقد ظننت..." رفعت يدها تداري فمها، وتسربت دموع جديدة إلى عينيها. وصلت إلى حيث جلس سبايد، تسير بخطى منتظمة واثقة بذلك الحذاء الذي تلبسه على صغر حجمه وارتفاع كعبيه.

"كن رحيماً بي يا سام". قالتها بتواضع.

ضحك منها سبايد، وعيناه ما زالتا تلمعان، وقلد صوتها ساخرًا: "لقد قتلت زوجي يا سام، كن رحيماً بي" ثم تابع سخريته مصفّقاً بكفيه، "يا إلهي!"

بدأت السيدة بالبكاء بصوتٍ مسموع، ودفنت وجهها في منديلها الأبيض.

قام سبايد ووقف خلفها، ثم ضمها، وقبل عنقها ما بين أذنيها وياقة معطفها.

"لا يا إيفا، توقفي عن البكاء". قال سبايد بينما وجهه خالٍ من كل تعبير.

عندما توقفت عن البكاء، اقترب منها سبايد وهمس في أذنها: "لم يكن عليك المجيء إلى هنا يا غاليّتي.

ليس من الحكمة أن تكوني هنا. لا يمكنك البقاء. يجب عليك العودة إلى المنزل.

التفتت لمواجهته بينما ظلت بين ذراعيه: "هل ستأتي الليلة؟"

هز رأسه برقعة: "لا ليس الليلة"

"عم قريب إذا؟"

"نعم.."

"متى تحديداً؟"

"بأقرب ما يمكنني."

قبّلها سبايد ثم سحبها حتى الباب، فتحه وقال لها مودعاً: إلى اللقاء يا إيفا"، ثم أغلق الباب خلفها وعاد إلى مكتبه.

أخرج التبغ وأوراق لفّ السجائر من جيوبه، غير أنه لم يبدأ كعادته في لف السيجارة، بل جلس حاملاً التبغ في يده والأوراق في الأخرى ونظر بعينين بائستين نحو مكتب شريكه.

فتحت إيفي برين الباب ودخلت. كانت عيناها البنيتان تنطق بالحيرة.

قالت بلا مبالاة: "وبعد؟"

لم يرد سبايد، فلم تفارق نظرتة البائسة مكتب

شريكه.

سارت الفتاة إليه واقتربت منه وكررت في نبذة أعلى: "وبعد؟ كيف سارت الأمور بينك وبين الأرملة؟" "تظن أنني من أطلقت الرصاص على مايلز".. قال من بين شفثيه بينما ظلّ هو على تمام وضعه السابق. "قالتها لتدفعك للزواج منها؟"

لم يرد سبايد على ذلك السؤال.

رفعت الفتاة القبعة عن رأسه ووضعتها على المكتب، ثم مالت فالتقطت من يده الخاملة لفافة التبغ والأوراق.

"تظن الشرطة أنني قد أطلقت النار على ثورزبي". قال سبايد.

"ومَن يكون؟" قالت بينما تفصل لفافة من أوراق السجائر عن أخرى وتحشوها بالتبغ.

"من منهم تظنينني قد أطلقت عليه الرصاص؟"

حينما تجاهلت الفتاة السؤال، قال: "ثورزبي هو الرجل الذي كان مايلز يتبعه لصالح الفتاة ووندولي".

أنهت الفتاة بأصابعها الرفيعة تجهيز السيجارة، لعقت طرفها، ثم ساوته بجسد السيجارة، وألقتها شفثي سبايد، الذي قال: "شكرًا يا حبيبتي".

لَفَّ سبَايِدُ ذِرَاعَهُ حَوْلَ خَصْرِهَا الرَّشِيقِ، وَأَرَاخَ
وَجَنَّتَهُ بِنَتَعِبٍ عَلَيْهِ: ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ بِنَتَعِبٍ.

“هل ستتزوج إيفا؟” سألت بينما تنظر إلى شعره
البنى الشاحب من عل.

“لا تكوني سخيقة”، قالها بينما تتراقص سيجارته
غير المشتعلة بين شفثيه كلما تحدّث.

“هي لا تظن هذا أمرًا سخيقةً! لماذا صبرت.. بالنظر
للطريقة التي تلاعبت بها معها؟”

“إنني أتمنى لو لم أقابلها أبدًا في حياتي”. قالها
سبايد متنهّدًا.

“ربما تتمنى ذلك الآن فقط”. ظهرت بوادر حقدٍ أريب
في صوت الفتاة بينما نطقت جملتها الأخيرة، “ولكن
كانت هناك أيامًا أخرى امتلكت فيها شعورًا مغايرًا”.

“لا أعلم عن أي طريقة يمكن مخاطبة النساء بها
سوى تلك الطريقة”. قال سبايد متذمّرًا، “كما أنني لم
أكن أطيق مايلز”

“حسنًا يا سام، هذه كذبة، أنت تعلم أنني أعتقد أنها
لعوب، ولكنني كنت سأصبح في مثل أخلاقها إن كنت
أمتلك جسدًا كجسدها”.

مسح سبايد وجهه في جسدها ولم يرد.

عضّت إيفي برين شفثها، وجعدت جبهتها: وانحنت

لتستطيع النظر إلى وجهه من زاوية أوضح، "هل تظن أنها ربما هي من قتلته؟"

رفع سبايد ظهره ورفع يده عن خصرها، ومنحها ابتسامة.

ابتسمت هي ردًا على ابتسامته..

التقط سبايد ولاعته، وأشعل سيجارته: "أنتِ ملاك"، قال لها برقّة نفثها مع دخانه.

"ملاك لطيف ذو عقل طائش غير حصيف".

ابتسمت إيفي ابتسامة بلمحة ساخرة قليلاً "هل أنا كذلك فعلاً؟ أعتقد أنني لم أخبرك أن فتاتك المحبوبة إيف كانت قد وصلت لتوّها إلى المنزل حينما حضرت لإبلاغها بخبر وفاة مايلز في الثالثة صباحًا".

"هل هذا حقيقي؟" كانت عيناه محدقتين فيها بانتباهٍ الآن على الرغم من أن ابتسامته ما زالت ملتصقة بشفتيه.

"لقد جعلتني أنتظرها على الباب حتى تنتهي من خلع ملابسها أو ارتدائها، لقد رأيت ملابسها ملقاة كما اتفق على المقعد عندما دخلت. كانت ملابسها الداخلية ما تزال دافئة من أثر جسدها وقبعتها والمعطف تحتها. قالت إنها كانت نائمة، ولكنها لم تكن كذلك، لقد أفسدت ترتيب السرير لتؤكد حجتها ولكن السرير كان مبعثرًا

عن عمدٍ."

أمسك سبايد بيد الفتاة وربّت عليها، "تصلحين لتكوني محققة يا حبيبتي، ولكن.. هزّ سبايد رأسه، ليست هي من فعلتها."

سحبت الفتاة يدها منه، "اللعب تريدك زوجًا يا سام". قالت بمرارة.

بعد أن مسحت يد سبايد على رأسه في دلالة على نفاذ صبره، عبست إيفي واستجوبته:

"هل قابلتها الليلة الماضية؟"

"لا".

"صدقًا؟"

"صدقًا. عزيزتي، إنك تتحولين إلى صورة من داندي".

"هل يلاحقك داندي؟"

"أينعم. لقد زارني هو وتوم بولهاوس بالأمس دون ميعاد في الرابعة فجرًا".

"هل يظنان أنك قد أطلقت الرصاص على ذلك الرجل.. ما اسمه؟"

"ثورزبي" ألقى سبايد ما تبقى من سيجارته في منفضة السجائر، وبدأ في لف واحدة أخرى.

“هل يظنان ذلك حقًا؟”

“الله وحده يعلم”. قال وعيناه مركبتان على لف السيجارة. “كانا يظنان ذلك فعلاً، كانت لديهما بعض الشكوك. لا أعلم عن قدر ما استطعت اقناعهما ببراءتي.”

“انظر إلي يا سام”

نظر إليها ضاحكًا، حتى تسربت لمحة سعادة واختلطت بشكلٍ ما بالقلق البادي على وجهها.

“أنت تثير قلقي” قالت وقد عادت الجدية إلى ملامحها بينما تتكلم. “تظن دائمًا أنك تعرف ما تفعله، ولكنك ماكر جدًا بما يضر بصالحك أحيانًا، وستكتشف ذلك يومًا ما في حينه.”

تنهد سبايد ساخرًا ومسح وجنته بذراعها. “هذا هو تمامًا ما يقوله لي داندي، فقط حاولي إبقاء إيفا بعيدًا عن طريقي، أما باقي مشاكلنا فإنا كفيل بها.”

وقف سبايد وارتدى قبعته.

“ارفعي الياقطة المعلقة على الباب” (سبايد وأرتشر)،
 “وضعي واحدة أخرى بدلاً عنها تحمل اسم “سامويل سبايد”، سأعود بعد ساعة أو سأتصل بك.”

ذهب سبايد إلى فندق سانت مارك، وسار في بهو

الفندق حتى مكتب الاستقبال وسأل العاملة ذات الشعر الأحمر إن كانت الأنسة ووندولي موجودة بغرفتها. غابت الفتاة وعادت تهز رأسها نافية وجودها، "لقد غادرت الفندق هذا الصباح يا سيد سبايد". شكرها سبايد ورحل.

في بهو الفندق، قصدَ سبايد مكتبًا جلس إليه رجلٌ سمينٌ في منتصف العمر يرتدي بذلة داكنة، على حافة المكتب رقدت يافطة نحاسية، نُقِشَ عليها بحروف واضحة "السيد فرييد". قام السيد السمين ولف حول المكتب ورفع يده ماديًا إياها لمصافحة سبايد، "لقد أسفت للغاية لسماع خبر وفاة مايلز"، قالها الرجل بنبرة من تعوّد على تقديم التعازي والمواساة. "لقد رأيت الخبر لتوّي في النشرة. كنت قد صادفته هنا الليلة الماضية".

"أشكرك يا فرييد، هل تحدثت معه؟"

"لا. لقد كان جالسًا هنا في اللوبي عندما حضرت في المساء، لم أتوقف للحديث إليه، تصورت أنه ربما كان في مهمة عملٍ، وأنا أعلم أنكم تحبون العمل في صمتٍ، هل كان لمهمته أي علاقة بأمر...؟"

"لا أعتقد. ولكننا لم نبحث في الأمر بعد، على كل حال، سأحرص على ألا تذكر سيرة مؤسستك في

الأمر.

“أشكرك..”

“لا مشكلة. هل يمكنك إمدادي ببعض المعلومات عن نزيلة سابقة ثم تنسى تمامًا أنني سألت؟”

“بالتأكيد.”

“لقد غادرت آنسة تدعى ووندولي الفندق هذا الصباح. أريد بعض المعلومات المزيدة عن هذا الأمر.”
“تعالّ معي، وسنرى ما يمكننا معرفته.”

وقف سبايد مصافحًا فرييد، وقال: “لا أريد أن أظهر في الصورة مؤقتًا”. أوما فرييد متفهمًا، ذهب بعدها لمكتب الاستقبال، توقف قليلًا في الطريق، ثم ما لبث أن عاد إلى سبايد.

“كان المحقق هاريمان في الخدمة الليلة الماضية، لا بدّ من أنه قد رأى آرتشر. هل أحذره بالأ يأتني على سيرة هذا الأمر؟”

نظر سبايد إلى فرييد من زاوية عينيه وقال “من الأفضل ألا تفعل. لن يشكّل هذا فارقًا طالما لا يمكن ربطه بووندولي. هاريمان شخص جيد، ولكنه يحب الثرثرة، لذا ليس علينا أن نمنحه موضوعًا ليثرثر بشأنه. أوما فرييد مجددًا ثم ذهب وعاد بعد خمس عشرة دقيقة.

“لقد وصلت هنا يوم الثلاثاء الماضي، ولقد حجزت غرفتها من نيويورك. لم تكن تحمل أيّ حقائب ضخمة، بعض الحقائب الصغيرة فقط. طبقًا لفاتورة إقامتها، لم تُقَم بأي اتصال من داخل الفندق، وفي الغالب لم تتلقَ الكثير منها أيضًا، ربما بعض البريد فقط. الشخص الوحيد الذي قد شوهدت معه، رجل طويل داكن البشرة في عمر السادسة والثلاثين تقريبًا. خرجت ووندولي في التاسعة والنصف من صباح اليوم، وعادت بعد ساعة، دفعت فاتورتها وطلبت أن تحمل حقائبها إلى عربة تنتظر خارجًا؛ يقول الحقال إن العربة كانت من طراز ناش، مستأجرة في الغالب. تركت الأتسة عنوانًا لإرسال أي رسائل قد ترد إليها، فندق الإمباسادور، لوس أنجلوس.

شكر سبايد فرييد وغادر الفندق.

عندما عاد سبايد إلى مكتبه، توقفت إيفي برين عن كتابة خطاب لتحديثه، “صديقك داندي كان هنا، ورغب في الاطلاع على مجموعة المسدسات الموجودة في المكتب.”

“وبعد؟”

“طلبت منه أن يعود في وقتٍ تكون فيه متواجدًا بالمكتب.”

“فتاة جيدة. إذا عاد مرة أخرى دعيه يطلع عليها.”

“اتصلت بك الآنسة ووندولي.”

“في وقتها أخيرًا. ماذا قالت؟”

“تريد مقابلتك”.. التقطت الفتاة قطعة من الورق من على مكتبها، دونت عليها ملاحظة بالقلم الرصاص: “إنها في كورونت بشارع كاليفورنيا. شقة رقم 1001. اسأل هناك عن الآنسة لوبلانك.”

“أعطني هذه الورقة” أمسكها سبايد وأحرقها بشعلة من قداحته حتى انكشيت كلها محترقة إلا من الطرف الذي يمسكه. أسقطها سبايد بعدها على الأرض ودهسها.

راقبته الفتاة بعين غير راضية عن فعلته.

“هكذا يجب علينا التعامل مع الأمر يا عزيزتي” قالها سبايد بابتسامة عريضة وغادر المكان.

الفصل الرابع الطائر الأسود

فتحت الأنسة ووندولي باب الشقة رقم 1001 في
بناية كورونت، مرتدية ثوبًا من الحرير الأخضر بحزام
لطيف يطوّق خصرها. كان وجهها محمّرًا، وشعرها
الأحمر مفروقًا من جهة اليسار، ويرتاح منسدلاً،
متموجًا بحرية على كتفها الأيمن.

خلع سبايد قبعته وألقى تحية الصباح.

تسببت ابتسامته في ظل ابتسامة لمعت على
شفتيها. أما عيناها الزرقاوان بلمحة قرمزية فلم تعد
ال نظرة المرتبكة. أخفضت رأسها وقالت في صوت
خفيض حيي: "تفضل سيد سبايد".

قادته عبر مطبخ مفتوح، حمام: وغرفة نوم
موصودة الأبواب، حتى وصلا إلى غرفة المعيشة، التي
اعتذرت عن مظهرها غير المرتب: "ما زالت الغرفة
مبعثرة بأشياءي. لم أنته بعد من إفراغ حقائبي".

وضعت قبعته على الطاولة وجلست على مقعد وثير،
وجلس سبايد على كرسيّ بظهرٍ بيضاوي في مقابلها
تمامًا.

نظرت الأنسة إلى أصابعها وعقدتها معًا بشكلٍ
عصبِيّ: "سيد سبايد، لدي اعتراف رهيب، رهيب جدًا

في الواقع، وعليّ أن أخبرك به.

“هذه.. القصة التي أخبرتكم بها بالأمس، كانت.. مجرد قصة”، تلعثت ووندولي بعدها واختلط الأسي بالخوف في عينيها.

“أها.. تقصدين تلك القصة” قال سبايد بهدوء. “لم نصدق قصتك تلك في واقع الأمر.”

“إذا لم... الآن فقط انضمت الحيرة لزحام المشاعر التي تجمعت في عينيها.

“لقد صدقنا المائتي دولار التي منحتينا.”

“هل تقصد...” بدا عليها أنها لا تعرف في الأصل ماذا يقصد.

“أقصد أنك قد دفعت أكثر مما كان سيتوجب عليك دفعه في حالة ما كنت تخبرين بالحقيقة” قال بصراحة، “لقد دفعت أكثر لتجعلينا نصدقك أكثر.”

لمعت عيناها فجأة. رفعت نفسها عن المقعد بضعة إنشات، ثم استقرت جالسة من جديد، سوّت تنورتها، مالت للأمام، وقالت بجرأة:

“وأنت مع هذا مستعد لاستكمال...”

أوقفها سبايد بإشارة من كف يده، وتجدد جبينه بينما ابتسم. “هذا يتوقف على حقيقة الأمر اللعينة، يا أنسة.. ووندولي هو أو لوبلانك؟”

توزد وجهها وتمتت: "أوشونسي. بريجيد أوشونسي".

"الأمر يتوقف على حقيقة الأمر اللعينة يا آنسة أوشونسي، لقد صار هناك قتيلان الآن، وتضارب الأمر بهذا الشكل جعل الكل مرتاعًا بشأن القضية، وجعل الشرطة تجاهد لبذل كل جهودها، وصارت معالجة الأمور أصعب وأكثر تكلفة، لم..."

توقف سبايد عن الحديث كونه لاحظ أنها لم تعد تستمع إليه بل تنتظر فقط حتى ينهي حديثه.

"سيد سبايد، أخبرني بالحقيقة" قالتها بنبرة مرتعشة على حافة انهيار كلي.

بمعزل عن عينيها اليائستين، كان وجهها منهكًا حقًا. "هل سيتم اتهامي وتحميلي وزر أي مما جرى بالأمس؟"

"ليس إن كان هناك أشياء لا أعرفها ولم تخبرينا عنها، لقد حذرتنا من كون ثورزي رجلاً في منتهى الخطورة. كذبت بالطبع حول قصة أختك وما شابه، ولكن لا بأس في هذا فلم نصدقه على أي حال." وهز كتفيه في يأس، "لا أظن أن ما جرى بالأمس يقع لومه عليك".

"شكرًا لك" قالتها برقة، وأومات برأسها في امتنان.

“ولكنني سأظل ألوم نفسي”، لمست حلقها في تأثر:
 “كان السيد آرتشر حيًا ما يزال بالأمس، كان في منتهى
 الحيوية، ودودًا و...”

“توقفي عن ذلك” أمرها سبايد. “كان يعلم تمامًا ما
 كان يفعله، هناك مساحة للخطر نعيها تمامًا بينما
 نمارس عملنا.”

“هل.. هل كان متزوجًا؟”

“نعم وكان مؤمنًا على حياته بعشرة آلاف دولار، لا
 أولاد، ولم تكن زوجته تحبه.”

“توقف من فضلك”.. همست..

تنهد سبايد مجددًا، “هذه الحقيقة كاملة”. ألقى نظرة
 خاطفة على ساعته، وتحرك من مقعده ليجلس
 بجوارها، “لا داعي للقلق حول تلك الأمور الآن”، كان
 صوته رقيقًا وإنما حازم. “هناك فِرَق كاملة من محققي
 الشرطة ووكلاء المحامي العام والمراسلين يجوبون
 الشوارع مقحمين أنوفهم في كل ما يظنونهم سيجلب
 إليهم أي معلومة أو يفيد، أخبريني ماذا تريدون أن
 نفعل؟”

“أريدك أن تنقذني من هذا.. كله” قالتها بصوت
 مرتجف، ولمست طرف معطفه برقة، “سيد سبايد، هل
 يعرفون أي شيء عني؟”

“ ليس بعد. رغبت في مقابلتك قبل أن أخبرهم بأي شيء.”

“ما.. ماذا قد يظنون بشأني إن علموا أنني قد لجأت إليكم وأخبرتكم بكل تلك الأكاذيب؟”

“ستثيرين شكوكهم بالطبع، لهذا السبب تحديداً تعمّدت تأجيل الحديث إليهم حتى أقابلك. تصوّرت أن هناك أمورًا سيكون علينا إخفاؤها عنهم. سيكون علينا تزييف قصة مقنعة ستجعلهم يحدون عنا نظرهم إن اضطررنا إلى ذلك.”

“أنت لا تظن أنني متورطة في أيّ من الجريمتين، أليس كذلك؟”

“لقد نسيت سؤالك عن هذا، هل لك بهذا أي علاقة؟”
سألها سبايد محدّقًا في عينيها.

“لا”

“جيد. الآن، بماذا سنخبر الشرطة؟”

تحركت بقلقي في نهاية مقعدها حيث جلست، وزاغت عيناها بين رمشات سريعة محاولة التخلص من أسر عينيه المحدثتين بها. بدت مقهورة، أقل حجمًا، وأصغر سنًا.

“هل يجب علينا إخبارهم بالأمر كاملاً؟ أظن أنني أفضل الموت على فعل ذلك سيد سبايد. لا يمكنني

شرح الأمر الآن. لكن، ألا يمكنك تدبير الأمر بحيث تحميني منهم، فلا أحتاج للإجابة عن كل أسئلتهم؟ لا أظنني أستطيع تحمّل الخضوع للاستجواب الآن. الموت حقًا أهوّن. هل يمكنك مساعدتي سيد سبايد؟”

”ربما“ أجابها سبايد، ”لكنني يجب أن أكون ملهمًا بالأمر بشكل كامل.“

ركعت الأنسة على ركبتيها ورفعت وجهها إليه. مشتتة، خائفة بيدين تقاطعتا واشتبكتا في توصل.

”لم أعش حياة جيدة“ بكّت، ”لقد كنت سيئة الأفعال – فوق ما قد تتصور – ولكنني لست بهذا السوء. انظر إليّ يا سيد سبايد، تعرف أنني لست شخصًا سيئًا تمامًا، أليس كذلك؟“ تستطيع رؤية ذلك، أليس كذلك؟ ألا تستطيع إذًا أن تمنحني قليلًا من ثقتك؟ آه، إنني حقًا وحيدة وخائفة، وإن رفضت مساعدتي فقد عدت الناس جميعًا. ربما ليس من حقي أن أطلب ثقتك إن كنت لم أمنحها لك في البداية، ولكنني أثق بك بالفعل، أنا فقط لا يمكنني إخبارك. ربما فيما بعد. عندما يمكنني. أنا مرتعبة يا سيد سبايد. خائفة من منحك ثقتي. لا لست أقصد هذا. أنا أثق فيك حقًا. لكنني – قد وثقت قبلاً بفلويد – والآن ليس لدي أحد، لا أحد. يمكنك مساعدتي سيد سبايد. لقد قلت إنه يمكنك، ولو

لم أصدقك حينها لكنك قد هربت اليوم إلى الأبد بدلًا من أن أرسل في طلبك لملاقاتي. إن كان لدي شخص آخر لأثق به، هل كنت سأجلس الآن تحت قدميك راحة هكذا؟ أعلم أن هذا ليس عدلًا من جانبي. لكن كن كريمًا معي سيد سبايد. لا تطلب مني أن أكون عادلة. أنت شخص قوي ووذو نفوذ وشجاع. يمكنك أن تمنحني القليل من هذا وبعضًا من ذلك. ساعدني يا سيد سبايد، أنا حقًا أحتاج للمساعدة، فإن لم تفعل فأين سأجد شخصًا يفعل ذلك من أجلي؟ ساعدني، على الرغم من أنني لا أملك الحق في أن أطلب منك أن تفعل ذلك عن جهلٍ تامٍ بأمري، ولكن ها أنا أفعل. كن كريمًا سيد سبايد. تستطيع مساعدتي. ساعدني."

أما سبايد الذي كان قد حبس أنفاسه طوال الفترة التي تحدثت فيها: قد أخرج أخيرًا زفيره من أعماق رئتيه: "لن تحتاجي حقًا إلى مساعدة أحد. أنت جيدة. جيدة جدًا، إنها عيناك فيما أظن؟ أو لعله الخفقان الذي يصاحب كلماتك وصوتك كمثّل ما قلت: "كن كريمًا سيد سبايد".

هبت واقفة من فورها، احمرّ وجهها بالدم، ولكنها أبقت رأسها مرفوعًا وسددت نظرة مباشرة إلى عيني سبايد.

“أستحق ذلك، أستحقه منك بالفعل، ولكن.. آه.. لقد رغبت حقًا في مساعدتك. أريدها، وأحتاجها، جدًّا. كمنت الكذبة في الطريقة التي أخبرتك بها عن حاجتي لمساعدتك، ولكني لم أكذب في قدر حاجتي إليها. التفت مبتعدة، وقد خفضت رأسها تلك التي قد جاهدت منذ قليل لتبقيها مرفوعة.

“إنها غلطتي أنك لا يمكنك تصديقي الآن.”

احمرّ وجه سبايد وخفض بصره إلى الأرض متمتمًا: “أنتِ حقًا امرأة خطيرة.”

ذهبت بريجيد أوشونسي حتى الطاولة ورفعت عنها قبعة سبايد. وقفت أمام سبايد بعدها ممسكة بقبعته دون أن تقدمها له، ليأخذها إن أراد. كان وجهها أبيض ورفيع. سأل سبايد “ماذا حدث الليلة الماضية؟”

وصل فلويد إلى الفندق في تمام التاسعة مساءً، وذهبنا للتمشية قليلًا، اقترحت ذلك حتى يستطيع السيد آرتشر مراقبته. توقفنا عند مطعم في شارع جيرى، أعتقد أنه كان مطعمًا وصالة للرقص، عدنا للفندق بعدها في الحادية عشرة والنصف. تركني فلويد عند الباب، وقفت في الداخل أراقبه يرحل والسيد آرتشر يسير في إثره حتى نهاية الشارع من الجهة المقابلة للرصيف.

”نهاية الشارع؟ تقصدين شارع ماركت؟“

”نعم“

”هل تعرفين ماذا كان عساهما يفعلان في المنطقة ما بين بوش وستوكتون، حيث قُتل آرتشر؟“

”هل كان المكان قريبًا من حيث سكن فلويد؟“

”لا، إن كان متوجهًا إلى حيث يقيم بعد أن تركك، فالمنطقة الأخرى تبعد عن طريقه بما يقارب اثنا عشر شارعًا، ماذا فعلت بعد أن ذهب؟“

”خلدت إلى النوم. وعندما استيقظت لتناول الإفطار هذا الصباح رأيت الخبر في الصحف وعلمت بأنه.. تعرف! ثم ذهبت إلى يونيون ستريت، حيث صادفت هناك ذات مرة معرضًا لتأجير السيارات، وأجرت سيارة وعدت بها إلى الفندق لإحضار حقائبي. بعد أن علمت أن حجرتي قد تم تفتيشها، كنت قد اتخذت قرارًا بالرحيل عن الفندق، ووجدت هذا المكان في هذه البناية عصرًا. لذلك انتقلت إلى هنا واتصلت بعدها بمكتبك لأترك لك رسالة.“

”غرفتك في فندق سانت مارك قد قُتشت؟“

”نعم. أثناء زيارتي لك في مكتبك،“ عضت بريجيد شفتيها. ”هذه معلومة قد تفوّهت بها عن غير قصد.“

”يعني هذا أنه لا يمكنني سؤالك عن هذا الأمر“

بالتفصيل؟”

أومات بريجيد بخجل، وعبس سبايد.

ضحك بانعدام صبر وقال: “توقفي عن التلويح بقبعتي لألتقطها وأرحل، ها أنا أقدم ما في وسعي.”

ابتسمت معتذرة. وضعت القبعة حيث كانت ثم عادت للجلوس بجواره على مقعدها.

“ليس لدي أي مشكلة في مساعدتك بينما أجهل كل ما يكون عن أمرك، غير أن هذا الوضع سيمنعني من تقديم أي مساعدة حقيقية، على سبيل المثال، عليّ أن أعلم القليل عن صديقك فلويد تورزبي ذاك.”

“قابله في الشرق الأقصى” تحدثت ببطء، بينما تتابع أصابعها التي عبثت في يد المقعد، “لقد وصلنا هنا من هونج كونج الأسبوع الماضي. كان.. لقد وعدني بأن يساعدي، لقد استغل ثقتي فيه واتكالي عليه وخانني”

“ماذا تقصدين بأنه خانك؟”

هزت رأسها ولم تزد.

عبس سبايد مجددًا بقلة صبر، وسأل: “لماذا أردت أن نتبعه؟”

“أردت أن أعرف عن تطورات أمره. لقد رفض إخباري حتى عن المكان الذي يقيم فيه. أردت أن

أعرف ماذا يفعل، ومن يقابل وهكذا أشياء.”

“هل قتل آرتشر؟”

نظرت إليه وقد فاجأها سؤاله: “بالطبع فعل.”

“كان يحمل مسدس ألمانيا من نوع لوغر في جرابه،

قتل آرتشر بنوع مختلف من المسدسات” قال سبايد

“كان لديه مسدس آخر في جيب معطفه.”

“هل رأيته بعينك؟”

“نعم. اعتدت على رؤيته يحمله، لم أره معه بالأمس،

ولكنني أعلم أنه لا يرتدي معطفه إلا وهو يضعه في

جيبه.”

“لماذا يحمل هذا الكم من المسدسات؟”

“كانت وظيفته تتطلب ذلك. ترددت عن أصله حكاية

في هونج كونج، ذلك أنه قد قدم إلى هناك بصحبة أحد

لاعبي القمار المشهورين والذي اضطر للهرب من

الولايات المتحدة، كان فلويد حارسه الشخصي. اختفى

ذلك الشخص بعد فترة، ويقال إن فلويد كان له علاقة

باختفائه. لا أدري عن هذا، ولكنني أعلم أنه كان يسير

دائمًا مدججًا بالسلاح، ولم يكن يخلد إلى النوم قبل أن

يكوم بعض الجرائد ويجعدها على الأرض وصولاً إلى

سريره، حتى لا يفاجئه أحد بينما هو نائم.

“يالاه من شريك عمل ذاك الذي اخترته!”

“فقط رجل من هذا النوع كان يمكنه مساعدتي”
 قالت ببساطة “ليته فقط كان مخلصًا”.

“ نعم.. ليته”. اعتصر سبايد شفته السفلى بين
 سبابته وإبهامه ونظر إليها مستاءً، بينما ضاق وتجعّد
 ما بين حاجبيه. “ما مدى خطورة وضعك؟”
 “في غاية الخطورة”.

“خطر جسدي؟”

“لا أدعي البطولة، ولا أظن أن هناك ما هو أسوأ من
 الموت.”

“معرضة للقتل إذًا. متأكدة؟”

“نعم. كما أنا متأكدة من وجودنا هنا الآن.” -
 ارتجفت - “إلا لو ساعدتني.”

ترك سبايد شفتيه وبدأ يعبت في شعره.

“لست ربًا يمكنني إنقاذ الناس من الموت” قال
 بانزعاج، “لا يمكنني خلق المعجزات من عدم”. نظر
 بعدها في ساعته. “اليوم أوشك على الانتهاء، ولم
 أحصل منك على أي شيء قد يفيد لأعمل عليه. من
 قتل تورزبي؟”

“لا أدري” قالتها بينما جعلت مندليها ووضعته على
 فمها وخرجت كلماتها من بين طياتها.

“أعداؤك أم أعداؤه؟”

“لا أعلم - أعداؤه فيما أتمنى - لكنني خائفة - لا أعلم”

“كيف كان يجدر به مساعدتك؟ لماذا جلبته معك من هونج كونج؟”

داومت على النظر إليه بعيون خائفة، هزت رأسها بعدها ولم تنطق. كان وجهها شاحبًا وعنيديًا بدرجة تشير الشفقة لا الغضب.

وقف سبايد، وضع يديه في جيوبه ونظر إليها قائلاً بقسوة: “لا أمل، لا يمكنني عمل أي شيء هنا، ولا حتى أدري ما الذي تريد من الخلاص منه، ولست متأكدًا إن كنت أنت نفسك تدرين.”

وضعت رأسها بين كفيها وبكت. اعترض سبايد بصوت أجش خرج مستهزئًا من حنجرتة، وسار حتى الطاولة ليقلب قبعته.

“هل ستذهب إلى الشرطة؟” سألت في صوت ضعيف مخنوق، دون أن ترفع رأسها.

“أذهب إلى الشرطة؟” قال بنبرة غاضبة، “لم تتوقف الشرطة عن ملاحقتي منذ الرابعة من صباح اليوم. يعلم الله وحده كم أوقعت نفسي في المشاكل بينما أحاول إبعادهم، ومن أجل ماذا؟ من أجل ظن مجنون

من طرفك بأنني يمكنني مساعدتك. لا أستطيع، حتى إنني لن أحاول" وضع سبايد قبعته وقوم طرفها. "أذهب إليهم؟ كل ما عليّ فعله هو البقاء ثابتًا مكاني وسأجدهم حولي في كل مكان ساعين إليّ من كل طرف. سأخبرهم حينها بكل ما أعرفه، وسيكون عليك أن تواجهي احتمالات ما سيحدث لك حينها."

وقفت بريجيد محاولة أن تبدو ثابتة أمام سبايد، غير أن ركبتيها كانتا ترتعشان، ورفعت إليه وجهها الذي رؤّعه الخوف حتى إنها لم تستطع السيطرة على الارتعاشات التي أصابت عضلات فمها وذقنها.

"لقد كنت صبورًا، وحاولت مساعدتي. لا أمل هناك ولا فائدة فيما أظن." قالت ومدّت يدها لتصافح سبايد، "أشكرك لكل ما فعلت، سيكون عليّ تحمّل النتائج فيما يبدو."

اعترض سبايد بذاك الصوت الغاضب الصادر من أقصى حنجرته مجددًا، وجلس على المقعد.

"كم تبقى معك من المال؟" سألها

فاجأها السؤال. عضّت شفتها السفلى وأجابت على

مضض: "تبقى لدي ما يقارب خمسمائة دولار"

"أعطني إياهم"

ترددت، ونظرت إليه باستحياء، زمّ شفتيه وحاجبيه

وعقدَ يديه وكتفيه في غضبٍ. ذهبت حتى غرفة النوم،
وعادت من فورها برزمة من المال.

استلم سبايد منها المال الذي أتت به، عدّه، وقال:
"هذه أربعمئة فقط"

"عليّ أن أبقى بعض المال لأنفق على نفسي"

"ألا يمكنك الحصول على المزيد؟"

"لا."

"ألا تملكين أيّ أصول أو ممتلكات يمكن أن تجني
من ورائها بعض المال؟"

"بعض الخواتم، القليل من المجوهرات."

"سيكون عليك إذا أن ترهني بعضها إذا، محل "ذا
ريميديال" في تقاطع ميشن والحي الخامس هو أفضل
مكان لهذه المهمة" قالها ومدّ يديه طلبًا للورقة النقدية
الخامسة.

نظرت إليه بعيون متوسّلة. كانت عيناه الرماديتان
قاسيتين لا يبدو فيهما أي نية لتغيير رأيه. وضعت
يدها ببطءٍ داخل فتحة ثوبها ما تحت عنقها، وأخرجت
منها رزمة مطوية من النقود وسلّمَتْها إلى يده الممتدة
في غير صبر.

مسّد سبايد الورقات الملفوفة وعدّها، أربع ورقات
بعشرين، وأربع عشرات، وخمسة واحدة. أعاد لها

ورقتين من فئة العشرة والورقة الوحيدة من فئة الخمس دولارات. وضع الباقي في جيبه. وقف سبايد بعدها وقال: "سأخرج الآن لأرى ما يمكنني فعله من أجلك. سأعود بأسرع ما يمكنني بأخبار لطيفة. سأضرب جرس الباب لمرات أربع.. رنة طويلة، ثم أخرى قصيرة، طويلة وأخيراً قصيرة.. حتى تعرفي أنه أنا من الباب. لا توصليني حتى الباب، أعرف طريقي جيداً. تركها سبايد واقفة في منتصف الغرفة تتبعه نظراتها وعيناها الزرقاوان.

وصل سبايد إلى غرفة استقبال كُتِبَ على مدخلها "وايز ميريكان أند وايز". استقبلت الفتاة الصهباء الجالسة على المكتب في واجهة الغرفة سبايد بترحاب: "أهلاً سيد سبايد."

- "أهلاً بك عزيزتي، هل السيد هنا؟"

وقف سبايد بجانبها ويد ودودة على كتفها، بينما كانت تتحدث في الهاتف: "السيد سبايد هنا لرؤيتك يا سيد وايز". نظرت بعدها إلى سبايد ومنحته الإذن بالدخول.

ضغط على كتفها علامة تقدير لجهدا، ثم قطع الردهة بضوءها الخافت الممل حتى غرفة ممّوه بابها

يخفي ما وراءه، دخل سبايد إلى المكتب حيث وقف لاستقباله رجلٌ رفيع ذو وجه بيضاوي متعب بشعر داكن حطت عليه قشرة الشعر واستقرت. وقف الرجل خلف مكتب ضخم بأكوام وأكوام من الأوراق ترقد على سطحه.

قدم الرجل لسبايد سيجارًا وقال: "اجلس يا سبايد. لقد تلقى مايلز ضربة قاضية ليلة أمس إذًا؟" لم يبدُ على وجهه المتعب ولا صوته المتطفل أيُّ اختلاجات قد تحركها ما قال لتوه.

"أينعم. هذا ما جاء بي إلى هنا في الواقع." عبس سبايد وتنحنح. "أعتقد أنه سيكون عليّ إخبار المحقق في الجريمة برغبتني في أن يذهب إلى الجحيم يا سيد، هل سيمكنني الاعتراض على أسئلتهم والاختباء خلف حرمة أسرار وهويات موكلّي، كالحق الذي يملكه القديس أو المحامي؟"

رفع سيد وايز كتفيه وخفض شفته السفلى: "ولم لا؟ التحقيق الأوّلي لا تجرى عليه قواعد المحاكمات. يمكنك المحاولة، لقد استطعت الإفلات في مواقف أصعب فيما مضى."

"أعلم ذلك، لكن داندي ما زال يحاول حشر أنفه في أموري، وأعتقد أن الأمور أشد تعقيدًا هذه المرة. اجلب

قبعتك يا سيد، علينا مقابلة بعض الأشخاص المعنيين
بالأمر. أريد أن أصير في أمان."

نظر سيد وايز إلى تلال الأوراق المتراسة أمامه،
التي تحتاجه لإنهائها، ولكنه قام على كل حال من
مقعده وفتح الخزانة بجانب النافذة. "أنت شخص
لعين حقًا يا سامي"، قالها وايز ورفع قبعته عن
المشجب.

عاد سبايد إلى مكتبه في تمام العاشرة وخمس
دقائق مساءً. كانت إيفي برين جالسة على مكتبه تقرأ
جريدة التايم. جلس سبايد على حافة المكتب وسأل:

"هل هناك أخبار مثيرة عن العالم في الجريدة؟"

"لا أخبار مثيرة هنا. ولكنك فيما يبدو قد منحت
إثارة عظيمة أو ربما ثروة"

"أعتقد أنه سيكون للمكتب مستقبلًا مزهرا. لطالما
اعتقدت أنه إذا رحل مايلز أو توفي بشكل ما، سيتمكننا
الاهتمام بشأن الأعمال بشكل أفضل، هلا تتكفلين
بإرسال الأزهار نيابة عني؟"

"لقد فعلت."

"أنت ملاكي الغالي، كيف حال حدسك العظيم بشأن
النساء اليوم؟"

“لماذا؟”

“ماذا تظنين في ووندرلي؟”

“أنا في صفها”. قالت الفتاة دون تردد.

“تملك العديد من الأسماء، ووندرلي، لوبلانك، حتى

إنها تقول إن اسمها الحقيقي الآن هو أوشونسي.”

“لا أهتم إن كانت تحمل كل اسم كُتب في دليل

الهاتف، هي فتاة جيدة، وأنت تعرف ذلك.”

“ما زلت أفكر بهذا الشأن”. رمش سبايد بعينين

ناعستين وتلجلجان. “على كل حال، لقد منحتنا

سبعمئة دولار في يومين وذلك أمر جيد قطعًا.”

رفعت إيفي برين جسدها لتواجه سبايد وقالت:

“سام، هذه الفتاة في خطر، فإن خذلتها، أو استغللت

وضعها لتخرجها أو توّرطها، فلن أسامحك أبدًا. سأفقد

كل احترام حملته لك يومًا حتى يوم مماتي.”

ابتسم سبايد بافتعال ثم عبس بذات الافتعال. فتح

فمه بعدها ليتكلم غير أن صوت دخول أحدهم إلى

الردهة قد أوقفه.

وقفت إيفي برين وخرجت حتى غرفة الاستقبال.

خلع سبايد قبعته وجلس في كرسيه. عادت الفتاة

ببطاقة نقش عليها اسم السيد جويل كايرو.

“له هيئة رجل مُريب(1). من هؤلاء القوم فيما يبدو”

قالت .

“إذا أدخليه يا عزيزتي” قال سبايد.

كان السيد جويل كايرو رجل صغير الحجم، داكن البشرة، متوسط الطول، له شعر أسود، مسرّح بعناية وذو لمعة. وغلبت على ملامحه أصولاً شرقية. لمعت ياقوته مربعة، مزينة أطرافها الأربعة بقطع من الألماس وتقاطع ضيائها مع لون ربطة عنقه الخضراء. كان معطفه المفضل ببراعة ضيقاً عند كتفيه وفضفاضاً يغطي أفخازه المنتفخة قليلاً، أما بنطاله فأضيق قليلاً مما تفترض الموضة الرائجة للرجال. كان أعلى حذائه مغطى بطماق، وحمل قبعته بيديه القابعة في قفازين من الشمواه. اقترب السيد كايرو من سبايد في خطوات قصيرة متتدة مرحة. وانتشر في الجو عبق من رائحة عطر “شبير” كان هو مصدره.

أوماً سبايد لضيفه مرحباً ثم أشار للمقعد داعياً إياه للجلوس، “تفضل يا سيد كايرو”. انحنى كايرو بعدها وقال بصوت رفيع: “شكراً.”

جلس كايرو معتدلاً، يريح أحد كاحليه فوق الآخر، وترقد قبعته على ركبتيه، ثم بدأ بعدها في خلع قفازيه.

“والآن كيف يمكنني مساعدتك سيد كايرو؟”، كانت

الطريقة التي جلس فيها سبايد على كرسيه بسلاسة، وحياديته وحتى طريقة طرحه للسؤال تدفع بالذاكرة إلى اليوم الذي سأل فيه بريجيد أوشونسي ذات السؤال بذات السلوك.

قلب كايرو قبعته ووضع قفازيه بداخلها، ثم وضعها بجواره على حافة المكتب. لمعت ماسات على إصبعيه الثاني والرابع من يده اليسرى، وتناسقت ياقوتة ارتداها في إصبعه الثالث من يده اليمنى مع تلك التي لمعت في ربطة عنقه وسط الماسات. كانت يداه ناعمتين، وعلى الرغم من أنهما لم تبدوا بتلك الضخامة، غير أن أصابعه المنتفخة جعلت يديه تبدو أن خرقاوتين بشكل ما. فركهما السيد كايرو وقال مصاحبًا لصوت احتكاكهما:

“هل يمكنك تقبل العزاء في وفاة شريكك من رجل غريب؟”

“أشكرك.”

“هل يمكنني أن أسألك سيد سبايد، إن كانت هناك علاقة حقًا - كما تزعم الصحف - بوجود علاقة بين وفاة شريكك ومقتل ذلك الرجل المدعو ثورزبي؟”

لم يرد سبايد سوى بوجهه الواثق الخالي من أي تعبير.

وقف كايرو وانحنى. "أعتذر منك"، جلس بعدها ووضع يديه متجاورتين على طرف جانب مكتب سبايد، "لقد دفعني للسؤال عن هذا ما هو أكثر من الفضول البحت يا سيد سبايد. إنني أحاول استرجاع.. آه.. تحفة ما.. دعنا نقول إنها قد فارقت محلها الأساسي؟ وقد ظننت أنه ربما يمكنك مساعدتي."

هز سبايد رأسه ورفع حاجبيه في إشارة لكونه مصغياً تماماً لحديث الرجل.

"التحفة المذكورة هي في الواقع، تمثال" أكمل كايرو محاولاً اختيار كلماته بقدرٍ عالٍ من الوضوح. "تمثال لطائر أسود."

أوما سبايد مجدداً باهتمام مهذب.

"أنا مستعد لدفع مبلغ خمسة آلاف دولار، في سبيل ردّه لصاحبه الأصلي." رفع كايرو إحدى يديه المستندة إلى المكتب، وأشار في الهواء بطرف ظفر مقلّم على قمة إصبع سمين قبيح، "ويمكنني أن أمنحك وعدًا - بهذا الذي يطلقون عليه - ألا نتدخل في التفاصيل". أعاد وضع يده على المكتب ثم نظر مبتسماً ببشاشة إلى سبايد.

"خمسة آلاف من الدولارات هو مبلغ كبير". علق سبايد على العرض بينما ينظر لكايرو متفحصاً هيئته.

قاطعت سبايد طرقات خفيفة على الباب، أطلت بعدها إيفي برين من خارج المكتب بقبعة صغيرة ومعطف داكن برقبة من الفرو الرمادي.

“هل هناك شيء آخر تريده مني؟”

“لا. عمت مساء يا إيفي. تأكدي فقط من إغلاق الباب وراءك قبل أن ترحلي.”

التف سبايد بكرسيه مجددًا في مواجهة كايرو وأكمل الحديث الذي قاعته طرقات إيفي، “طائر أسود، أمر مثير للاهتمام.”

وصل إليهم صوت رحيل إيفي بعد أن أغلقت الباب خلفها. ابتسم كايرو عندها وأخرج من جيبه الداخلي مسدسًا صغيرًا، “ستقوم الآن سيد سبايد فضلًا، بوضع يديك متقاطعتين خلف عنقك.”

“(1) “Queer”

المقصود بها أن الرجل مثلي الميول كما يبدو على مظهره، ولكن الكلمة لم تكن تستخدم بهذا الوضوح في زمن كتابة الرواية”

الفصل الخامس

الشرقي

لم ينظر سبايد حتى إلى المسدس، بل رفع ذراعيه ومال بكرسيه إلى الوراء، ووضع يديه شابكًا أصابعها خلف رأسه. لم تكن عيناه تحملان أيّ تعبير، وظلت مركزة على وجه كايرو. سعل كايرو بإحراج وابتسم بعصبية، كانت شفتاه قد شحبتا قليلاً، بينما كانت عيناه مدمعتين خجلتين وجادتين جدًّا.

“إنني أنوي أن أفتش مكتبك يا سيد سبايد، ودعني أحذرك أنني لن أتردد في إطلاق النار عليك إن حاولت منعي”.

“بل تفضّل” كان صوت سبايد هو الآخر خاليًا من أي رنة.

“ستتفضل بالوقوف” وجه سبايد الرجل إلى كان يحمل مسدسًا مصوبًا تمامًا نحو صدره، “عليّ أن أتأكد من كونك لست مسلحًا”.

وقف سبايد مفرقًا ما بين ساقيه. وقف كايرو خلفه، وبدّل المسدس من يده اليمنى إلى اليسرى. رفع ذيل معطف سبايد ونظر من تحته موجّهًا المسدس نحو ظهره، وضع يده اليمنى نحو أحد جوانب سبايد مرتبًا عليه مستطعًا وجود أي شيء. كان وجهه الشرقي الآن

يكمن تمامًا تحت مرفق سبايد الأيمن بما يوازي ستة إنشات.

التف سبايد نحو اليمين قليلاً مما دفع الرجل لإزاحة وجهه قليلاً للخلف. في حركة خاطفة، ثبت سبايد الرجل بوضع كعب حذائه فوق مقدمة الحذاء الفاخر ذي الطماق، ثم ضربه بمرفقه الأيمن على وجنته ضربة كانت لتطيح به إلى الأرض لو لم يكن سبايد ما يزال مثبتًا إياه بكعبه. كان وجه كايرو المندهش يراقب مرفق سبايد الذي مرَّ بمحاذاة وجهه مجددًا وعبس حينما مدَّ سبايد يده نحو المسدس، الذي تركه على الفور ما إن لمستته يد سبايد وحازته وبدا صغيرًا جدًا بين أصابعها.

حزَّ سبايد مقدمة حذاء كايرو ليتفرَّغ لخطه تجاه وجهه. قبض سبايد على ياقة معطف الرجل الصغير بيده اليسرى، حتى إن الياقوتة كانت تحتك بذقنه الآن.. بينما وضع السلاح بيده اليمنى في جيب معطفه. كانت عينا سبايد الرماديتان المصفرتان تتقدان بنار الغضب. كان وجهه متخشبًا، متجهماً، بينما كان وجه كايرو منهأراً من الألم، ولمعت عيناه بالدموع. كانت بشرته نقية صافية إلا من بقعة حمرة قد تأثرت بفعل الضربة التي وجهها إليه سبايد بمرفقه.

سحب سبايد الرجل الشرقي بقبضته التي أحكمت زمام معطفه ودفعه للخلف حتى المقعد الذي احتوى جسده منذ قليل. تبدلت نظرة الألم في عيني الرجل ذي الوجه المتباينة ألوانه، وحلّ محلها نظرة حيرى. ابتسم سبايد ابتسامة رقيقة بل ساحرة. ورفع كتفه الأيمن قليلاً وارتفعت ذراعه، وتوحدت القوة في معصمه، وساعده ومرفقه وقبضته مسددة لكمة عظيمة لوجه كايرو، تحديداً في جانب فمه، لكمة طالت معظم مساحة وجنته بين عظمة الخد وعظمة الفك. أغلق كايرو عينيه وفقد وعيه.

وضع سبايد جسد الرجل فاقد الوعي على المقعد، بينما سقطت يداه ورجلاه جانبه بلا حراك، وأسند سبايد رأسه إلى ظهر المقعد.

أفرغ سبايد جيوب الرجل الراقد واحداً تلو الآخر، فاحصاً محتوياتها بدقة، محرّكاً الرجل بين الفينة والأخرى للوصول إلى ذاك الجيب أو ذاك، ومكثاً أغراضه على المكتب بجواره. عندما انتهى من تفتيش جيبه الأخير، قام سبايد إلى مقعده وجلس، أوقد سيجارة وظلّ يتفحص غنيمته بصبرٍ وبغير عجلة. فحص سبايد محفظة كايرو الجلدية الضخمة، كان بها مبلغ ثلاثمائة وخمس وستون دولارًا أمريكيًا من فئات

مختلفة، تضمنت الكومة أيضًا جواز سفر يوناني بأختام سفر متعددة باسم كايرو وصورته، خمس ورقات مطويات رفيات جدًا أشبه بالرق، وتحمل كتابة بدت كما لو كتبت باللغة العربية، قصاصة من جريدة ما تحكي خبر مقتل آرتشر وثورزبي، بطاقة بريدية تحمل صورة امرأة بعين جريئة قاسية وفم رقيق. منديل حرير بلون أصفر، مجعد عند أطرافه. بعض من بطاقات عمل تحمل اسم السيد جويل كايرو، وتذكرة لحفل أوركسترا يقام في مسرح جيرى هذا المساء.

بجانب المحفظة ومحتوياتها، كان هناك ثلاثة مناديل حريرية ملونة ومعطرة بعبير "شبير"، ساعة لونجين بلاتينية بسلسلة من الذهب والبلاتين، على طرفها الآخر، تدلت علاقة مفاتيح معدنية، حفنة من العملات الأمريكية، والإنجليزية والفرنسية والصينية، حلقة معدنية بها نصف دستة من المفاتيح، قلم حبر، حافظتان من الجلد تحتوي إحداهما على مشط معدني والأخرى على عدّة لتقليم الأظافر. دليل الجيب لمدينة سان فرانسيسكو، بطاقة تفتيش أمتعة من شركة نقل ساوزرن باسيفيك، نصف علبة من حلوى باستيليا، بطاقة عمل تحمل اسم وكيل تأمينات في شانغهاي، وأربع ورقات بيضاء تحمل شعار فندق بيلفيدير، على

إحداها كَتَبَ اسم سامويل سبايد وعناوين مكتبه ومنزله. بعد أن انتهى من فحص كامل المحتويات السابق ذكرها جيدًا - حتى إنه قد فَتَّش ساعة الجيب ليتأكد أن حافظتها لا تخفي شيئًا - قام سبايد بفحص نبض الرجل فاقد الوعي، واضعًا معصمه ما بين سبابته وإبهامه. بعد أن تأكَّد، أسقط سبايد يد الرجل وعاد يغطس في مقعده مترقبًا وأشعل سيجارة أخرى.

بينما جلس يدخن، كان وجه سبايد رائعًا تمامًا إلا من حركات خفيفة بلا هدف ارتعشت بها شفته العليا، ولكن عندما بدأ كايرو يتأوّه في طريقه للاستيقاظ من غيبوبته، تحوّل وجه سبايد لوجه لطيف وارتسمت ابتسامة ودودة على شفتيه ولمعت في عينيه.

استيقظ كايرو ببطء. انفتحت عيناه أولاً، ولكن مرّت دقيقة كاملة قبل أن يستطيع تثبيت حدقتها على جزءٍ مُحدّدٍ من السقف ويراه بوضوح. أغلق فمه بعدها وابتلع ريقه، وأخذ شهيقًا عميقًا من أنفه. استند على الأرض بقدم واحدة ووضع يده خلف فخذه متوازنًا. ثم رفع رأسه عن المقعد، ودار ببصره في المكان بحيرة، رأى حينها سبايد فقام إليه. فتح فمه ليتكلم، ثم ربّت بيده على وجهه تمامًا حيث حلت قبضة سبايد وحيث خلّفت كدمة وردية. تحدث كايرو متألّمًا من بين

أسنانه: "كان يمكنني أن أطلق عليك الرصاص، سيد سبايد".

"كنت ستحاول فعل ذلك. نعم".

"ولكنني لم أحاول".

"أعلم".

"إذًا لماذا هاجمتني حتى بعد أن أخذت سلاحني؟"

"آسف" قالها سبايد وابتسم ابتسامة ذئبٍ ماكٍ أظهر فيها أسنانه متشفيًا، "ولكن تخيل صدمتي عندما علمت بأن عرض الخمسة آلاف دولار كان مجرد مزحة".

"أنت مخطئ يا سيد سبايد، لقد كان العرض حقيقيًا، في الحقيقة لا يزال قائمًا"

"اللعنة. ماذا تعني؟" كانت دهشة سبايد حقيقية.

"ما زلت مستعدًا لدفع الخمسة آلاف دولار في سبيل استرداد التحفة" قال كايرو رافعًا يده عن كدمة وجهه وجالسًا في استقامة للتحدث برسمية. "هل هي معك؟"

"لا"

"إن لم تكن القطعة هنا" كان كايرو يحاول أن يبدو في غاية التهذيب على الرغم من نبرته المتشككة، "لماذا خاطرت بإصابة مربعة قد تلحق بك لمجرد منعي"

من تفتيش المكان؟”

“إذا كان يفترض بي أن أجلس دون حركة وأتركك تفتش في مكتبي وأغراضي كما يحلو لك؟” طرقت سبايد بأصابعه مشيرًا لكومة حاجيات كايرو على المكتب، “لديك ها هنا عنوان منزلي، هل فتشته بعد؟”

“سيد سبايد، أنا حقًا مستعدٌ لدفع المبلغ في سبيل التمثال، ولكن ألا تظنه كان من واجبي أن أحاول في البداية الفوز لموكلي بحاجته دون أن أضطره لدفع المال مقابلها؟”

“مَن يكون؟”

هزّ كايرو رأسه وابتسم، “عليك أن تعذرني، لا يمكنني الإجابة عن هذا السؤال.”

“هل عليّ حقًا أن أعذرك؟” قالها سبايد مائلًا تجاه كايرو وقابضًا على كلماته، “لقد وصلت للمدينة وورطت نفسك بالفعل في جريمتي قتل. الآن عليك أن تشركني في الأمر. ليس لديك خيار.”

كانت ابتسامة كايرو رزينة وغير مثيرة للريبة بحال.

“لقد قمت ببحثٍ موسّع عنك قبل أن أتخذ أيّ خطوة بشأنك” قال كايرو “ ولقد كنت متأكدًا من كونك حصيفًا بما يكفي لكيلا تسمح لأي اعتباراتٍ بالتدخل في أمور العمل التي من شأنها أن تعود عليك بالفائدة.”

“وأين هي الدولارات التي تعدني بها” قال سبايد
 “لقد عرضت عليك خمسة آلاف من الدولارات من
 أجل...”

رَبَّتْ سبايد على محفظة كايرو قائلاً: “لا تحتوي
 حافظتك على ما يقارب هذا المبلغ حتى، أنت تقامر بما
 لا تملكه. يمكنك أن تعرض عليّ حتى مليون دولار في
 مقابل فيل قرمزي اللون، ولكنك تعرف أن هذا لا يعني
 أي شيء.”

“أفهم هذا. أفهم..” فكر كايرو جيداً، “تريد ضماناً
 على صدق نيتي.” فرك كايرو شفته السفلى بإبهامه
 وأكمل: “تريد دفعة مقدمة، هل سيكون ذلك مناسباً؟”
 “ربما.”

مدَّ كايرو يده إلى محفظته، تردّد، ثم أعادها مرة
 أخرى وقال: “ستقبل، مثلاً، بمائة دولار؟”
 التقط سبايد المحفظة وأخرج منها مائة دولار، ثم
 عبس فجأة قائلاً: “أعتقد أن مائتي دولار هو المبلغ
 المناسب” وأخرج المبلغ بالفعل من المحفظة.
 لم يَقُلْ كايرو أي شيء.

“أخبرك حدسك الأول إذا أنني أملك تمثال الطائر
 بالفعل” قال سبايد بينما وضع المال في جيبه وأسقط
 المحفظة مجدداً على المكتب. “ولقد أخطأ حدسك

الأول، ماذا بعد؟”

“إنك تعرف مكانه، أو على الأقل تعرف أين يمكنك إيجاده.”

لم ينكر سبايد حديث الرجل أو يؤكد. بدا على وجهه كأنما لم يسمع جملته الأخيرة أصلاً.

“أي دليل يمكنك أن تمنحني لأتأكد من أن رجلك هو المالك الأصلي للقطعة؟”

“أملك القليل من الأمارات للأسف. ولكن هذا هو واقع الأمر. لن تجد في الأصل من يمنحك أي دليل قاطع على امتلاك التمثال. وإن كنت على دراية بالأمر فيما أظن - وإلا ما كنت قد لجأت إليك - فيمكنك التأكد من الوسيلة التي وصلت بها القطعة إلى حيث هي الآن، من أن مالكة الحقيقي هو موكلي وليس السيد ثورزبي.”

“وماذا عن الفتاة شريكته؟” سأل سبايد.

أصابته كايرو دهشة عظيمة، جحظت لها عيناه وانفتح فمه لها عنوة، وتحول وجهه للون الأحمر، وقال بصوتٍ حادٍ: “ليس ثورزبي هو المالك!”

“حقاً!” قال سبايد بغموض

“هل الطائر هنا في سان فرانسيسكو الآن؟” سأل كايرو بصوت حاد مهتم.

رمش سبايد بعينه وقال: "أظنه من الأفضل أن نتكلم بصراحة وحرية في الأمر، وليكشف كل منا أوراقه ويقدم معلوماته".

"لا أظن أن تلك فكرة جيدة. صحيح أنني يمكنني أن أستفيد من معلومات قد تعرفها وأجهلها، وتستفيد أنت بقدر الخمسة آلاف دولار، ولكن هب أنك لا تعرف بالفعل أكثر مما أعرف، حينها سيكون مقدمي إليك غلطة فادحة، وسيزيدها سوءًا الامتثال لاقتراحك بكشف الأوراق".

أوما سبايد برأسه ولوّح بيده تجاه حاجيات كايرو على المكتب: "هاك حاجياتك"، وبينما كان كايرو يعيد أغراضه إلى حيث كانت، "نحن متفاهمون على أنك سوف تدفع كافة المصاريف التي ستلتزمها عملية إعادة الطائر الأسود، على أن تسلمني الآلاف الخمس فور انتهاء المهمة؟"

"نعم سيد سبايد، خمسة آلاف من الدولارات مخصوم منها ما قد قبضته كدفعة مقدمة لتوّك".

"صحيح وهذه صفقة عادلة." قال سبايد بوجه جادٍ "ولتعلم أنك لا تدفع لي لمساعدتك في أي عمليات قتل أو سرقة، وإنما لآتي لك بالتمثال إن استطعت بطريقة قانونية لا تُخلّ بالشرف".

“نعم إن استطعت”.. وافق كايرو، “وأكبر قدر من السرية إن أمكن”. وقف كايرو والتقط قبعته، “أقيم حاليًا في فندق بليفيدير، إن أردت الاتصال بي، رقم غرفتي هو 35-6، وإني أنتظر وأتمنى أن يحقق كلانا أقصى استفادة ممكنة من الوضع سيد سبايد.” ثم تردّد قليلاً وتابع: “هل يمكنك أن تعيد إليّ مسدسي؟”

“بالطبع، لقد نسيت هذا الأمر تمامًا.”

أخرج سبايد المسدس من معطفه وأعادَه لكايرو، الذي رفعه موجهًا إيّاه لصدر سبايد: “ستفضل برفع يديك ووضعها على المكتب أمامي، ذلك أنني أنوي تفتيش مكتبك.”

ضحك سبايد من أعماقه: “اللجنة! حسنًا يمكنك أن تفعل. لن أمنعك.”

الفصل السادس

ظُلُّ صَغِير

لنصف ساعة بعد رحيل جويل كايرو، ظلُّ سبايد جالسًا في مكتبه عابسًا لا يتحرك. قام بعدها وقال بصوت مسموع كمن ينفذ عن ظهره ذكرى مشكلة عويصة: "حسنًا، إنهم يتكفلون بالمصاريف، وهذا من المصاريف"، أخرج من درج المكتب زجاجة نبيذ ماركة مانهاتن وكوبًا ورقيًا. ملأ سبايد ثلثي الكوب، شربه ثم أعاد الزجاجة إلى موضعها، وألقى الكوب في سلة المهملات. ارتدى سبايد قبعته ومعطفه، أطفأ الأنوار وخرج إلى الشارع.

لاح تحت بناية سبايد، ظلُّ لشاب في حوالي العشرين أو الواحدة والعشرين من عمره. سار سبايد بطول شارع ساتر حتى كيرني، حيث دخل لدكان سجائر واشترى كيسين من تبغ بول درهام. عندما خرج، كان الشاب واحدًا من أربعة يقفون في انتظار سيارة أجرة على الجانب الآخر من الشارع. تناوَل سبايد عشاءه في هيربرت جريل في باول ستريت. عندما غادر المطعم في الثامنة إربع، كان الشاب يقف أمام محل هابرداشر مشاهدًا واجهته.

ذهب سبايد إلى فندق بيلفيدير، وسأل في صالة

الاستقبال عن السيد كايرو. أخبروه هناك أن السيد كايرو غير موجود. كان الشاب يجلس على مقعد بعيدًا في إحدى زاويات بهو الفندق. ذهب سبايد إلى مسرح جيرى، ولكنه لم يستطع رؤية كايرو في بهو المسرح. كان الشاب يتسكع مع آخرين أمام مطعم ماركوارد أسفل المسرح. في الثامنة وعشر دقائق، ظهر جويل كايرو ماديًا خطاه الصغيرة المتقافزة في طريقه إلى المسرح، وقد غفل عن رؤية سبايد فيما يبدو حتى لمس سبايد كتفه منبهاً إياه لوجوده. بدا كايرو متفاجئًا لظهور سبايد للحظة حتى أدرك: "آه. نعم. بالطبع. لقد رأيت التذكرة".

"أينعم. لدي شيء عليك أن تراه" سحبه سبايد حتى واجهه المسرح بعيدًا عن الضيوف الداخلين إليه. "الشاب ذو القبعة الواقف بالأسفل عند ماركوارد".

"سأبحث عنه" تمتم كايرو ونظر إلى ساعته. نظر كايرو محاولاً أن يجد الفتى الذي أخبر عنه سبايد، نظر بطول شارع جيرى، ثم إلى يافطة المسرح أمامه، التي صوّرت جورج آرليس مرتدياً ثوبه المسرحي متقمصاً شخصية شيلوك(2). ثم جال بنظره عميقاً بنظارته المعظمة حتى شاهد الفتى، بوجهه الشاحب وعينييه اللتين أخفضها ناظرًا إلى الأرض من تحته.

"مَن يكون؟" سأل سبايد

"لا أعرفه." ردَّ كايرو بابتسامة

"إنه يتبعني عبر المدينة."

مسح كايرو شفته السفلى بلسانه، ثم قال لسبايد:

"كيف ظننت إذا أنه من الحكمة أن يرانا معًا؟"

"كيف كان لي أن أعرف أنه ليس من طرفك؟! " ردَّ

سبايد، "على كل حال، سأتولى الأمر."

رفع كايرو قبعته ومسّد شعره من تحتها بيده القابضة

في قفازه ثم ارتدى القبعة مجددًا، وحمل كلماته كل

أمارات الصدق: "أصدقك القول بأني لا أعرفه مطلقًا،

ليس لي علاقة به على الإطلاق. لم أطلب مساعدة أحد

مطلقًا في الأمر الذي تحدثنا بشأنه إلّاك، أقسم

بشرفي."

"يعمل إذا لصالح الآخرين؟"

"هذا احتمال معقول."

"أردت فقط أن أتأكد، حتى إذا تسبّب لي في أي

مشاكل، سيكون عليّ التعامل معه."

"افعل ما تراه مناسبًا. لست أعرفه ولا أهتم لأمره."

"عظيم. ها هي الستارة تفتح. عمت مساءً." قال

سبايد ورحل. عبر سبايد الشارع وركب السيارة العامة،

لحق به الشاب وركب معه.

نزل سبايد في شارع هايد ستريت وصعد إلى منزله. كانت حجرات منزله غير مرتبة بشكل لطيف، ولكن آثار تفتيش دقيق قد ظهرت عليها بوضوح. أخذ سبايد حمامًا وارتدى قميصًا جديدًا. نزل إلى الشارع وسار حتى شارع ساتر ستريت، وركب سيارة أجرة عامة، وكالعادة استقلها معه الشاب نفسه.

نزل سبايد بعد فترة في مكان قريب من مجمعات كورونت السكنية، ودخل إلى ردهة مبنى بُني طويل. ضغط سبايد على أزرار ثلاث شقق بالبنائة دفعة واحدة. انفتح الباب. دخل سبايد إلى المبنى، عبر بجوار المصعد، ووصل إلى ردهة المبنى، لمح على جانبها بابًا خلفيًا، خرج منه سبايد إلى الشارع الخلفي، سار بعدها لمسافة شارعين، ثم عبر الطريق حتى شارع كاليفورنيا ووصل إلى بنايات كورونت. كانت الساعة التاسعة والنصف.

أظهرت الحفاوة التي قابلت بريجيد أوشونسي بها سبايد، أنها كانت غير واثقة بعد من أنه سيعود إليها. كانت ترتدي فستانًا من الساتان الأزرق اشتهر في ذلك الحين تحت اسم أرتواز. كانت غرفة المعيشة قد

أصبحت أكثر ترتيبًا الآن، ووزعت فيها أزهارًا في
 مزهريات سوداء وفضية. انتشر دفاء في المكان بفعل
 ثلاثة جذوع خشبية طقطقت بينما تحترق في المدفأة.
 نظر سبايد إليها متأملًا بينما كان يخلع معطفه وقبعته
 "هل أتيت إليّ بأخبار جيدة؟" سألت بريجيد بينما
 ظلّ القلق من ابتسامتها وانحبت أنفاسها في انتظار
 إجابة سبايد؟

"لن نضطر إلى الإفصاح عن أي معلومات ما تزال
 مجهولة حتى الآن."

"لن نضطر إلى إخبار الشرطة عن هويتي؟"

"لا"

تنفست بريجيد الصعداء وجلست مرتاحة الجسد
 والوجه على المقعد الوثير، وتطلعت بعين تقدير نحو
 سبايد. "كيف تمكنت من تحقيق ذلك؟"، كانت تسأل
 في عجب أكثر منه فضول.

"يمكننا التعامل مع كل الأمور في سان فرانسيسكو
 بالمال."

"ولن تقع حينها في مشاكل؟ تفضل بالجلوس"،
 قالتها وأفسحت له مكانًا بجوارها.

"لا أمانع الوقوع في بعض المشاكل" قالها سبايد بلا
 فخر متزايد.

وقف سبايد بجوار المدفأة متفحصًا الأنسة، ومقيمًا وحاكمًا عليها، ولم تخف عيناه في الواقع أيًا من نياته تلك. توردت وجنتاها قليلاً تحت جرأة عينيه الفاحصتين، ولكنها بدت واثقة من نفسها بدرجة أكبر مما كانت عليها بالأمس، على الرغم من بعض الخجل الذي لم يفارق عينيها. ظل سبايد واقفًا حتى صار واضحًا أنه يتجاهل عمدًا دعوتها له بالجلوس، سار بعدها نحو المقعد.

“أنت لست حقًا تلك الشخصية التي تدعين، أليس كذلك؟”

“لا أظن أنني أفهم تمامًا ما تقصده” قالتها بصوتها المنخفض وعينها المحتارة.

“شخصية الفتاة الخجولة البريئة”، شرح لها سبايد ما يقصده، “تخرجين وتتوردين خجلًا وما إلى ذلك.” تورد وجهها من جديد وقالت: “لقد أخبرتك من قبل أنني كنت فتاة سيئة - بأكثر مما تصوّر حتى.”

“هذا هو تمامًا ما أقصده، لقد أخبرتني ذلك تحديدًا المرة الماضية بنفس نبرة الصوت، بذات الكلمات. هذه خطبة تدربت عليها فيما يبدو لي.”

مرّت لحظة، لم تكن فيها الأنسة واثقة تمامًا مما عليها قوله، حائرة حدّ الدموع في عينيها. ضحكت

بعدها ثم قالت: "حسنًا يا سيد سبايد، لست حقًا تلك الشخصية التي أدعي أنني هي. أنا امرأة في الثمانين من عمري، ماكرة جدًا ولا أرحم. إن كنت تظن ما ينظر إلى وجهك الآن هو مجرد قناع، فهو القناع التي قد نشأت به ملازمًا لوجهي، وعليك إذا ألا تتوقع مني التخلي عنه فورًا أليس كذلك؟"

"لا بأس" طمأنها. "سيكون الوضع أصعب في الواقع إن كنت حقًا بتلك البراءة، لن ينقذنا ذلك."

"لن أتعامل ببراءة" وعدت مقسمة على قلبها.

"لقد قابلت جويل كايرو اليوم" قالها كمن يتبادل حديثًا عاديًا.

غادرت النظرة المرححة وجهها بلا رجعة، وحدقت في عيني سبايد بخوفٍ ثم بحذرٍ. كان سبايد قد مد ساقيه أمامه وبقي ناظرًا إلى قدميه المتقاطعتين. لم يُشِر وجهه إلى أنه كان يفكر في أي شيء بالتحديد. ظلّ القلق من عينيها وانحبت أنفاسها.. مجددًا.

امتد صمتها للحظات حتى قالت بريية: "أنت.. أنت تعرفه؟"

"لقد قابلته الليلة" لم يرفع سبايد عينيه وأبقى على نفس نبرته الهادئة، "كان في طريقه لمقابلة جورج آرليس".

“هل تعني أنك قد تحدثت إليه؟”

“لدقيقة أو اثنتين، حتى رفع الستار في المسرح.”

قامت من مقعدها حتى المدفأة، وبدأت في تقليب قطع الخشب، غيرت اتجاه إحدى التحف الموضوعة فوق المدفأة، ثم عبرت الغرفة لتأتي بصندوق السيجار، سوّت الستارة، ثم عادت إلى مقعدها. كان وجهها الآن هادئًا وغير منزعج.

نظر سبايد إليها وقال: “أنت جيدة. جيدة جدًا.”

لم يتغير وجهها، قالت: “ماذا قال؟”

“بشأن ماذا؟”

“بشأني” قالتها بعد تردد.

“لا شيء” ومال سبايد نحوها بقداحته ليشعل سيجارتها.

لمعت عيناها التي زينت وجهها الماكر المتخشب.

“حسنًا إذا ماذا قال؟” قالت بنبرة نصف جادة.

“لقد عرض عليّ خمسة آلاف دولار في مقابل الطائر

الأسود.”

انتفضت، وعضت شفتيها على نهاية السيجار وتحولت بعينيها عن سبايد بعد أن ظهر عليها شديد القلق.

"لن تقومي لتسوية النار وفرد الستائر مرة أخرى،
أليس كذلك؟" قال سبايد بكسل.

ضحكت ضحكة صافية، وأسقطت سيجارتها في
المنفضة، ونظرت إليه بعينين راثقتين. "لن أفعل".
وعدت. "وبماذا أجبتة؟"

"خمسة آلاف من الدولارات مبلغ كبير".

ابتسمت، ولكن حين لم يبادلها سبايد الابتسام، وإنما
ظل محدقًا في وجهها، تلاشت ابتسامتها، ونالت منها
حيرة عميقة. وحلّ محلها ألم عظيم وارتباك.

"أنت لا تفكر حقًا في عرضه".

"ولم لا؟ خمسة آلاف من الدولارات هو مبلغ كبير".

"ولكنك قد وعدت بمساعدتي سيد سبايد" كان
يذاها تلمسه الآن. "لقد وثقت بك.. لا يمكنك" سكتت،
ثم رفعت يدها عن يده.

ابتسم سبايد برقة لعينيها الحائرة.

- "دعينا نكتشف إلى أي درجة قد وثقتني بي! لقد
وعدت بمساعدتك بالفعل، ولكنك لم تخبريني أي شيء
يخص أي طائر أسود".

"ولكنك كنت لا بُدّ تعرف، وإلا لما ذكرت لي الأمر
الآن بتلك البساطة. أنت تعرف الآن في العموم.. ولن
تفعل.. لا يمكنك معاملتي على ذلك النحو" كانت

عينها تقطران دعوات وتوسلات بلون الكوبالت الأزرق.

“خمسة آلاف من الدولارات” قال مكرراً للمرة الثالثة، “هو مبلغ كبير جداً”

رفعت كتفيها علامة التسليم بالهزيمة أمام منطقته. “نعم هو مبلغ كبير جداً”، وافقت بصوت ملول. “إنه أكبر بكثير حتى مما يمكنني أن أقدمه لك إن اضطررت للمزايدة للاحتفاظ بولائك.”

ضحك سبايد. كانت ضحكته قصيرة ولها رنة مريرة بشكلي ما. “هذه حجة جيدة، وماذا قد منحني أصلاً سوى المال؟ هل منحني ثقتك؟ أو أيًا من الحقيقة الكاملة؟ أو أي مساعدة في محاولتي مساعدتك؟ ألم تحاولي في الأصل شراء ولائي بالمال وحده؟ إن كان الأمر هكذا، فلماذا من السوء أن أفكر قطعاً في تقديم ولائي للمزايد عليه برقم أعلى؟”

“لقد منحتك كل ما أملك من المال؟” قالت والدموع تتلألأ في عينها وبصوت مرتعش “لقد ارتميت مستنجدة برحمتك، أخبرتك أنني سأضيع حتماً بغير مساعدتك، ماذا كان عليّ أن أقدم بعد هذا؟”

انتفضت فجأة واقتربت من مجلسه على المقعد، “هل عليّ أن أشتري ولاءك ويكون الثمن جسدي؟”

كانت بضعة إنشآت تفصل وجهيهما. حمل سبايد وجهها بين يديه، وقبّلها بعنف، ثم عاد إلى الوراء قائلاً: "سأفكر في هذا الأمر". كان وجهه قاسياً شديداً.

كانت هي جالسة بلا حراك مخدرة الوجه من أثر لمسة سبايد له قبل قليل.

قام سبايد قائلاً: "يا إلهي، لا فائدة ترجى من هذا الأمر"، ثم مشى حتى المدفأة ووقف متأملاً الجذوع المحترقة، يعصر أسنانه غيظاً.

لم تتحرك بريجيد.

تحول إليها. كانت الخيوط فوق أنفه قد احمّرت وانتفخت، "لا أهتم حقاً لأمر ترهاتك تلك"، قالها محاولاً الحفاظ على هدوئه. "لا أعبأ حقاً بأيّ من الخطط والخدع التي تنوّن تنفيذها، ولا بأسرارك، ولكن يجب أن تمنحيني ما يجعلني أصدق بأنك تعرفين ما تفعلينه على الأقل".

"أنا أعلم ما أفعله فعلاً، عليك أن تصدقني، وما أفعله أفضل للجميع.. و..."

"اثبتني لي ذلك." أمرها. "أنا مستعد لتقديم المساعدة، ولقد فعلت ما بوسعي حتى الآن. إن كان الأمر ضرورياً سيمكنني العمل جاهلاً بالتفاصيل، لكنني لا أستطيع أن أفعل ذلك مجدداً بدون أن أثق بك وبما

تفعلينه. عليك أن تقنعيني بأنك تعلمين ما تفعلين،
بأنك لا تسيرين في هذا الأمر معتمدة على حدسك
وظنونك وأملاً في الله بأن تنصلح الأحوال وحدها في
النهاية بشكلٍ ما".

"هل يمكنك الانتظار قليلاً بعد؟"

"قليلاً حتى متى تحديداً؟ وما الذي تنتظرينه؟"

عصت بريجيد شفتيها ونظرت لقدميها. "عليّ أن
أتحدث إلى جويل كايرو"، قالتها بصوتٍ لا يكاد يسمع.
"يمكنك مقابلته الليلة"، قالها سبايد ونظر إلى
ساعته. "سينتهي العرض المسرحي الذي يشاهده الآن
في أي لحظة. يمكننا طلبه على هاتف الفندق حيث
يقيم.

رفعت عينيها منتبهة، "لكنه لا يمكنه أن يأتي إلى
هنا. لا يمكنني إخباره عن مكاني. أنا خائفة".

"نقابله في منزلي إذاً" اقترح سبايد

ترددت، بينما تقلّب شفتيها، وسألت: "هل تظنه
سيرضى بالذهاب إلى هناك؟"
أوماً سبايد بأن نعم.

"حسناً" قامت من فورها بعين متحمّسة. "هلا ذهبنا

الآن؟"

دخلت بريجيد للغرفة المجاورة. وقف سبايد عند الطاولة المجاورة، وفتح درجها بطيئًا بلا صوت. كان الدرج يحتوي على مجموعتين من أوراق اللعب، بطاقات تدوين نتائج بريدج، برغي صغير، قطعة من الخيط الأحمر، وقلم رصاص ذهبي اللون. عندما عادت يريجيت إلى الغرفة في قبعتها الداكنة ومعطفها من فرو الكيدسكين، كان سبايد قد أغلق الدرج بالفعل ووقف يشعل سيجار، حاملاً بيد قبعته ومعطفه.

وقفت سيارة الأجرة خلف سيارة سيدان داكنة كانت تنتظر عند مدخل بناية سبايد. كانت إيفا آرتشر داخل السيارة. رفع سبايد لها قبعته ودخل مع بريجيد أوشونسي إلى البناية. وقف سبايد بجانب أحد مقاعد الردهة داخل المبنى وسأل بريجيد: "هل تمانعين أن تنتظريني هنا للحظة؟ لن أتأخر."

"لا بأس على الإطلاق". قالتها بريجيد وجلست على المقعد. "لا تتكلف الاستعجال".

ذهب سبايد إلى سيارة إيفا، وعندما فتح بابها، قالت إيفا: "عليّ أن أتحدث إليك يا سام، ألا يمكننا الصعود إلى شقتك؟" كان صوتها شاحبًا وعصبيًا.

"ليس الآن لا"

"من تكون الفتاة؟" ضغطت إيفا على أسنانها في غل

“ليس لدي سوى دقيقة واحدة أمنحها لك يا إيفا”
قال سبايد بقلّة صبرٍ. “ما الأمر؟”

“مَن تكون الفتاة؟” كزّرت سؤالها بإيماءة وجهتها
ناحية باب البناية.

نظر سبايد بعيدًا عبر الشارع. كان الفتى ذو العشرين
أو الواحد وعشرين عامًا يقف هناك في طاقبته
الرمادية ومعطفه، مستندًا إلى الحائط. عبس سبايد ثم
عاد محددًا لوجه إيفا الملحّ.

“ما الأمر؟” سأل. “ما الذي حدث؟ لم يكن عليك
المجيء إلى هنا في مثل هذه الساعة.”

- “لقد بدأت في استيعاب غرضك من ذلك الآن”
قالت إيفا بشكوى، “قلت إنه لا ينبغي عليّ المجيء إلى
المكتب، والآن لم يكن ينبغي عليّ المجيء إلى هنا، هل
تقصد أنني يجب أن أتوقف عن ملاحقتك؟ إذا كان
ذلك ما قصدته، فلماذا لا تقول ذلك بصراحة؟”

“ليس لديك الحق في اتخاذ هذا الموقف مني يا
إيفا.”

“أعلم أنني لا أملك الحق في هذا، لا أملك الحق في
أي شيء على الإطلاق. لقد ظننت أنك تهتم، حقا
فعلت. لقد تظاهرت بأنك تحبني، وهذا قد جعلني...”

قال سبايد متعبًا: “هذا ليس الوقت المناسب

للحديث عن هذه الأمور يا غاليتي، ما الذي رغبت في أن تحدثيني بشأنه؟”

“ لا أستطيع الحديث هنا يا سام، هل يمكنني الصعود معك؟”

“ليس الآن.”

“لماذا؟”

لم يردّ سبايد.

مطت شففتيها في ألم، واعتدلت أمام مقود سيارتها، أدارت محرّك سيارتها السيدان بنظرة غاضبة نحو الطريق. عندما بدأت السيارة في التحرك، قال سبايد: “عُمت مساءً إيفا”، أغلق باب السيارة، ثم وقف منتظرًا رجيلها بقبعته في يده ما تزال، ثم دخل مجددًا إلى البناية.

وقفت بريجيد أوشونسي لقا رأت سبايد وابتسمت له، صعدا بعدها حتى شقته.

(2). إحدى شخصيات مسرحية شكسبير "تاجر

البندقية

الفصل السابع

حرف G رُسم في الهواء

في غرفة النوم، التي صارت الآن غرفة معيشة ذلك أن السرير القابل للطّي في الجدار كان مرفوعًا، أخذ سبايد قبعة يريجيت أوشونسي ومعطفها وأجلسها على مقعدٍ هزازٍ. اتصل سبايد بفندق بيلفيدير، وعرف أن كايرو لم يعد من المسرح بعد؛ لذلك ترك له رسالة تحوي رقم هاتفه وملاحظة بضرورة أن يتصل به كايرو فور أن يعود.

جلس سبايد في المقعد بجوار الطاولة، ودون أي تمهيدات، أو أي مقدمات من أي نوعٍ، بدأ يحكي للفتاة عن أمر ما قد حدث منذ سنوات في نورث ويست. تحدث سبايد بثقة وبصوت لا ينبئ إلا عن الحقائق، حرمة من أي انقطاعات أو تشديد بعينه على أي من مقاطعه، على الرغم من أنه أعاد جملة معينة لعددٍ من المرات، وإن تغيّر ترتيب كلماتها في كل مرة، كما لو أن كل تفصيل يذكره عليه أن يتم حكيه تمامًا بذلك الترتيب.

في البداية، استمعت بريجيد أوشونسي للقصة باهتمام جزئي، وكان داعي اهتمامها القليل بالطبع هو الاندهاش من اهتمامه بقص القصة عليها لا اهتمامها

هي الشخصي بما يقول. كان فضولها يبحث فيما وراء هدفه من الحكيم ولا يعني بالقصة ذاتها بأي شكل، ولكن، بينما امتدت الحكاية على لسان سبايد، استحوذت أحداثها كليًا على اهتمامها.

ذات يوم، غادر رجل يدعى "فليتكرافت" المكتب العقاري الذي يديره في توكوما، ليتناول غداءه ولم يعد بعدها أبدًا. على الرغم من أنه اهتم بحجز ميعاد للعب الجولف في الساعة الرابعة عصرًا قبل نصف ساعة تقريبًا من خروجه للغداء، إلا أنه قد فوّت ميعاد الحجز ولم يحضر. لم تره زوجته ولا أطفاله فيما بعد مطلقًا. كان على وفاق تام مع زوجته كما يفترض، وكان أبًا لولدين، أحدهما في الخامسة والآخر في الثالثة من عمره. كان يملك منزلًا لطيفًا في ضواحي تاكوما، وسيارة "باكارد" حديثة، وكل تلك الرفاهيات التي تمنحها الحياة الأمريكية كامتيازاتٍ أبدية. ورت فليتكرافت سبعين ألفًا من الدولارات عن أبيه، ناهيك عن نجاحه في العمل بمجال العقارات، وبلغ رأس ماله ما يوازي مائتي ألف دولار تقريبًا إبان وقت اختفائه. كانت كافة أموره مرتبة، غير أن بعض تعاملاته لم تكن قد أنهيت بعد، مما يوحي بأنه لم يأخذ حتى على عاتقه مهمة ترتيبها قبل الاختفاء. على سبيل المثال،

كان هناك صفقة ما، كان من شأنها أن تُدرّ عليه ربحًا وفيرًا، وكان مقرّرًا لها أن تُعقد في اليوم التالي لاختفائه. لم يكن هناك أي دليل على أنه كان يملك بحوزته وقت اختفائه ما هو أكثر من خمسين أو ستين دولار. كان سلوكه لشهور مضت ينفي أي احتمالية لأي شكوك حول تورطه في أمور سرية، أو علاقة بامرأة أخرى.

“اختفى له كل أثر” قال سبايد، “كما القبضه التي تختفي فور أن تفتحي أصابعك.” قالها ورنّ الهاتف في أثر جملته الأخيرة، “مرحبًا”، ردّ سبايد، “السيد كايرو؟”.. أنا سام سبايد، هل يمكنك المجيء إلى منزلي في شارع بوست الآن؟.. نعم أظنه كذلك”، نظر سبايد إلى الفتاة وأكمل حديثه مع الرجل: “الآنسة أوشونسي هنا وتريد رؤيتك”.

عبست بريجيد أوشونسي وتململت في كرسيها ولكنها لم تقل شيئًا.

وضع سبايد الهاتف وقال لها: “سيكون هنا في غضون دقائق. حدث ذلك الأمر في عام 1922. وفي عام 1927، وبينما كنت أعمل في إحدى وكالات التحريات، زارتنا السيدة فليتكرافت وقالت إن أحدهم أخبرها أنه قد رأى شخصًا في سبوكاين، يشبه زوجها

السيد فليتكرافت المختفي تمامًا. ذهبت إلى المدينة بالفعل، كان الرجل فعلاً هو فليتكرافت، وكان يعيش في سبوكاين منذ بضع سنوات تحت اسم تشارلز - وهو اسمه الأول الحقيقي - بيرس. كان يعمل في مشروعه الخاص في مجال بيع السيارات، مشروع لطيف دُرّ عليه ربحًا سنويًا بما يعادل عشرين إلى خمسة وعشرين ألف دولار، له زوجة وابنٌ رضيعٌ وكان يملك منزله الخاص في ضحايا سبوكيان، وقد اعتاد على ممارسة الجولف بشكل دوري في موعد محدّد، بعد الرابعة مساءً.

لم يكن لدى سبايد أي تعليمات بما عليه فعله إن وجد السيد فليتكرافت فعلاً. تحدثت سبايد معه في غرفته في دافينبورت. لم يكن فليتكرافت يشعر بأيّ من مشاعر الذنب. لقد ترك لأسرته ما يكفيهم لعيش حياة رغدة، وبالتالي كان ما فعله أمرًا مبرّرًا ومعقولاً للغاية. كان كل ما يؤرقه في الأمر هو أنه سيضطر الآن ليشرح معقولية قراره هذا لسبايد، لم يكن قد حكي هذا الأمر إلى أي شخص من قبل أو حاول إقناعه بجدواه ومعقوليته، أما الآن فهو مضطر للمحاولة.

"لقد تفهمت أمره تمامًا" شرح سبايد لبريجيد أوشونسي، "لكن السيدة فليتكرافت كان موقفها من

القصة مختلفًا. كان رأيها أن حجته تلك حجة سخيّة. وربما كانت كذلك فعلاً. على كل حال، انتهى الأمر على خير حال. لم ترد إثارة فضيحة، وقد تغيرت نظرتها إلى زوجها للأسوأ بعد خدعته تلك التي مارسها عليها وأسرتها. تطلقاً في هدوءٍ وسار كل شيء بطبيعية ويسر. "هاك ما حدث يوم اختفائه، عندما ذهب ليتناول غداءه، مرّ بيناية كانت ما تزال تحت التشييد. وقعت قطعة من الخشب أو شيء من هذا القبيل من ارتفاع ثمانية أو عشرة طوابق وتحطمت على الرصيف بجانبه مباشرة. كان محل ارتطامها بالرصيف قريباً جداً منه، ولكنها لم تلمسه، غير أنها قد هشمت بعضاً من الرصيف عندما وقعت عليه وتطايرت شظايا من الخرسانة وخدشت وجهه. لم تُصبه سوى بجرح سطحي إلا أنه قد خُلف ندبة، لمسها فليتكرافت غير مرّة باهتمام بينما كان يحكي لي القصة. كان قد تجمّد في مكانه من الخوف بالطبع، ولكن ذلك كان في الحقيقة بفعل الصدمة أكثر منه بفعل الخوف. شعر في تلك اللحظة كما لو أنّ أحدهم قد أزاح الستار عن الوجه الحقيقي للحياة وأراه كيف تجري الأمور. كان فليتكرافت مواطناً وزوجاً صالحاً، لأنه كان يشعر بعظيم الراحة في التماهي مع كل ما حوله. هكذا نشأ وعلى هذا المفهوم تربّى. كان الناس الذي يعرفهم

يعيشون بنفس الطريقة، والحياة التي يعرفها هي حياة منظمة مرتبة نظيفة تحمل قدرًا عظيمًا من المعقولية. غير أن ذلك الذي سقط من الأدوار العليا للبنية قد أقنعه أن الحياة ليست على هذه الشاكلة على الإطلاق ولا بأي حال. كان يمكن لهذا المواطن الزوج الأب الصالح أن يمحي من على وجه الأرض بينما هو في طريقه من مكتبه إلى المطعم بفعل ذلك الذي سقط بجواره. أدرك حينها أن الرجال قد يموتون في أثر صدف مربية كنتك، وقد يعودون إلى الحياة فقط إن قررت الصدف ذاتها العفو عنهم. لم يكن الظلم البين في تلك النظرية هو ما أقلقه: لقد رضى بمعقولية النظرية بعدما تجاوز صدمته الأولى. كانت ما أثار قلقه هو فكرة أنه إن أراد معادلة أموره فعليه إذًا أن يخالف الحياة وطبائع الأمور لا أن يجاريها. قال إنه بعدما غادر مكان الحادثة بعشرين قدمًا فقط، كان قد عرف أنه لن يعرف السلام مجددًا في حياته إن لم يوازن ويفسر تلك الإطالة الجديدة المكتشفة عن حقيقة الحياة. بمجرد انتهائه من تناول وجبة الغداء، كان قد توصل لطريقة معادلة وموازنة حياته. إن كان يمكن لحياته أن تنتهي بسقوط ذلك الشيء على رأسه بفعل الصدفة: فسيقوم هو أيضًا بغير ترتيبات مسبقة بتغيير حياته والرحيل بعيدًا. كان يحب أسرته، قال لي ذلك، بقدر ما

يمكن لهذا الأمر أن يكون طبيعيًا وفطريًا، ولكنه كان يعلم أنه قد ضمن لهم حياة رغدة من بعد رحيله، ولم تكن مشاعره نحوهم من النوع الذي قد يسبب له آلامًا في أثر فراقهم. ذهب فليتكرافت إلى سياتل عصر ذلك اليوم، ثم رحل عبر سفينة إلى سان فرانسيسكو. ظلّ لعامين كاملين بتنقل بغير استقرار، حتى عاد إلى نورث ويست، واستقر في سبوكاين وتزوج. لم تكن زوجته الثانية تشبه الأولى، ولكنه كان أكثر قربًا وشبهًا إليها وأقل اختلافًا عنها. كانت امرأة عادية ممن يلعبن الجولف والبريدج وكانت تحب تجميع وصفات السلطات والمقبلات. لم يشعر بالأسف مطلقًا نحو ما فعل. كان الأمر معقولًا جدًا في نظره. حتى إنه لم يدرك أنه قد أدخل نفسه في ذات المعتكز ونفس دورة الحياة التي كان قد هجرها في تاكوما، ولكن هذا هو تحديدًا الجزء الذي أحببته في القصة، لقد أخضع نفسه لقبول وقوع الصدف في حياته، ثم توقفت الصدف عن الحدوث، فأخضع نفسه مجددًا للرضا بحقيقة أنها توقفت عن الحدوث.

”يا لها من حكاية مذهلة“، قالت بريجيد أوشونسي. تركت مقعدها ووقفت أمامه، قريبًا منه، كانت عيناها واسعتين وعميقتين. ”أظن أنني لا أحتاج لأخبرك، أن

وجودي هنا مع السيد كايرو ليس في صالحني بحالٍ.“
ابتسم سبايد من خلف شفطيه موافقًا: “لا ليس هناك
داعٍ لإخباري بذلك.”

“وتعلم أنني لم أكن لأضع نفسي في هذا الموقف إلا
لو كنت أضع ثقتي الكاملة في شخصك” كان إبهامها
وسبابتها يتلاعبان بزر أسود من أزرار معطفه.
“آه، الثقة مجددًا” قالها سبايد ساخرًا.

“ولكنك تعلم أنني أعني ذلك” أصرّت هي
“لا! أنا لا أعلم” قالها مرتبًا على يدها التي تلاعبت
بزر معطفه.

“ما جاء بنا إلى هنا هو إصراري على أن تمنحيني
أسبابًا يمكنني بها الوثوق بك، دعينا لا نخلط الأمور،
أنت غير مضطرة إلى الوثوق بي طالما تفعلين كل ما
في وسعك لجعلي أثق بك.”

حدّقت فيه بريجيد وارتعشت ملامحها.

ضحك سبايد، وربّت على يدها مجددًا وقال: “لا
تقلقي بشأن ذلك الآن. الرجل على وشك الوصول.
انتهي من جميع أمورك العالقة معه، ثم سننظر بعدها
كيف علينا أن نتدبر ما بيننا.”

- “وستدعني أنتهي من جميع أموري معه.. على
طريقتي؟”

”بالتأكيد.“

حرّكت يدها لتطول أصابعه وتضغط عليها في تقدير.

”أنت هدية من السماء.“

”هذه مبالغة“ قال سبايد

نظرت إليه معاتبة، غير أنها كانت تبتسم. عادت بريجيد بعدها لمقعدها الهزاز.

كان جويل متحمسًا للغاية. كأنه لا يمكنك أن ترى من وجهه سوى عينيهِ المتحفّرتين ولا تلاحظ منه إلا صوته الرفيع والنبرة العالية التي طغّت على كلماته، التي كانت تتسابق على لسانه حتى من قبل أن يفتح سبايد الباب.

”ما زال الفتى واقفًا في مكانه يراقب المكان سيد سبايد، هذا الفتى الذي قد أشرت إليه أمام المسرح. ماذا عليّ أن أتوقع من فعله هذا؟ لقد أتيت بدافع من ثقتي ونيّتي الحسنة بلا أي ظنون مسبقة عن أي خدع أو فخاخ.“

”لقد تمت دعوتك بنية حسنة.“ قالها سبايد عابسًا، ”كان لا بُدَّ عليك أن تتوقع أنه سيكون موجودًا. هل رآك تدخل إلى هنا؟“

“بطبيعة الأمر. كان يمكنني الرحيل عندما رأيته، ولكنه لم يكن للأمر من فائدة في العموم، لقد جعلته يرانا سويًا من قبل بالفعل.”

دخلت بريجيد أوشونسي إلى المشهد وظهرت من خلف سبايد وسألت باهتمام: “أي فتى؟ ما الأمر؟”
رفع كايرو قبعته وانحنى في تهذيب، وقال في صوت رقيق: “إن أردت معرفة التفاصيل فليقصها عليك السيد سبايد، لقد علمت عن الأمر منه.”

“هناك فتى ما قد أخذ على عاتقه مهمة مراقبتي عبر المدينة طوال الليل.” قال سبايد بلا اهتمام وبدون أن يتوجه بناظره حتى إلى الفتاة السائلة. “لا فائدة من الحديث هكذا ليسمعنا الجيران.”

شدت بريجيد أوشونسي ذراع سبايد من فوق مرفقه وسألته: “هل تبعك حتى منزلي؟”

“لا لقد ضلته قبل أن أصل إلى بنايتك. لذلك تحديداً أظنه قد عاد إلى هنا، محاولاً اقتفاء أثري مجدداً.”

دخل كايرو إلى الشقة ممسكاً بقبعته بكلتا يديه. أغلق سبايد الباب خلفه، ودخل الجميع إلى غرفة المعيشة. انحنى كايرو مجدداً من فوق قبعته وقال في تهذيب: “أنا ممتن جداً لمقابلتك مرة أخرى آنسة أوشونسي”

“متأكدة من كونك ممتن لذلك يا جو” قالتها وقد مدّت يدها إليه ليقبّلها.

عادت بريجيد بعدها للجلوس في كرسيها الهزاز، وجلس كايرو في المقعد بجوار الطاولة. انتهى سبايد من تعليق قبعة ومعطف كايرو ثم ذهب وجلس في نهاية الأريكة أمام النافذة وراح يلف سيجارة.

قالت بريجيد أوشونسي موجهة حديثها إلى كايرو: “أخبرني سام عن عرضك مقابل الصقر. متى يمكنك تحضير المبلغ كاملاً؟”

ارتعش حاجبا كايرو. ابتسم. “المبلغ جاهز”، ظلّ يبتسم نحو الفتاة لفترة بعد أن أجابها ثم حوّل نظره نحو سبايد، الذي كان جالسًا يشعل سيجارته بوجه هادئ.

“المبلغ جاهز نقدًا؟” سألت الفتاة.

“نعم” ردّ كايرو.

عبست الفتاة، وبلل لسانها شفتيها، وقالت: “أنت على استعداد أن تدفع لنا خمسة آلاف من الدولارات الآن إن سلمناك الصقر؟”

رفع كايرو يداً تطلب التعقيب: “اعذريني، لكنني ظننت أن حديثي كان واضحًا. لم أكن أعني أنني أملك المبلغ الآن في جيوبي، ولكنني قلت إنني على استعداد

لتجهيزه خلال دقائق من الاتفاق، مع وضع ساعات العمل الرسمية للبنوك في الاعتبار بالطبع.”

“آه” قالت الفتاة ناظرة إلى سبايد.

نفخ سبايد دخان سيجارته عميقًا نحو أزرار سترته، وقال “هذا صحيح في الغالب. لم يكن يملك سوى بضعة مئات من الدولارات في جيوبه عندما فتشته هذا الصباح.”

عندما انفتحت عيناها في دهشة، ابتسم سبايد. مال الشرقي إلى الأمام بينما يزال جالسًا على كرسيه، ولم يستطع إخفاء اللهفة الطافحة من عينيه وفي صوته: “يمكنني أن أجلب لكم المال في غضون، لنقل، العاشرة والنصف من صباح الغد.. جيد؟”

ابتسمت له بريجيد أوشونسي وقالت: “ولكن الصقر ليس بحوزتي.”

أظلم وجه كايرو بفعل سحابة من الانزعاج. وضع يده على ذراع المقعد، وبقي جسده الصغير المنتصب غضبًا محشورًا بين ذراعه وذراه المقعد. كانت عيناها غاضبتين. لم ينطق حينها بحرف.

تلاعبت الفتاة بعينيها ساخرة من رد فعله: “سيكون بحوزتي في خلال أسبوع.”

“وأين هو الآن؟” سأل كايرو في تهذيب حاول أن

يخفي به أي نبرة شك.

”حيث خباه فلويد“. ردت

”فلويد؟ ثورزبي؟“

أومأت الفتاة.

”وأنت على علم بالمكان الذي خباه فيه؟“

”أعتقد ذلك“

”إذن لماذا علينا أن ننتظر أسبوعًا؟“

”ربما يمكنني إنهاء الأمر في أقل من أسبوع. لصالح

من تشتريه يا جو؟“

رفع كايرو حاجبيه في اندهاش: ”لقد أخبرت مستر

سبايد عن هذا. أشتريه لصالح مالكه الحقيقي.“

غمرت الدهشة وجه الفتاة: ”إذًا لقد عدت إليه؟“

”بالطبع فعلت.“

ضحكت الفتاة برقة وقالت: ”هذا مشهد كان يجب

علي رؤيته.“

استهجن كايرو موقفها: ”كان هذا هو التطور

الطبيعي للأمور“، مسد كايرو ظهر يده بباطن يده

الأخرى. وظللت رموشه عينيه برقة بينما نظر إلى

الفتاة مضيئًا: ”إن كان لي الحق الآن في السؤال، لماذا

تنوين بيع الصقر لي؟“

“أنا خائفة. خصوصًا بعد ما حدث لفلويد. لهذا لا أملك الصقر في حوزتي الآن. أخشى حتى لمسه، إلا في حالة إحضاره لتسليمه فورًا لشخص آخر.”

مستندًا بمرفقه على ذراع الأريكة، كان سبايد يستمع لحوار ضيفيه باهتمام جزئي. لم يظهر على جسده المتراخي، أو ملامحه الساكنة أي من بوادر الفضول أو حتى فراغ الصبر.

“ما ذلك الذي تقصدين بأنه قد حدث لفلويد؟” سأل كايرو بصوت منخفض.

رفعت بريجيد أوشونسي سبابتها ورسمت بها حرف “G” في الهواء.

“فهمت.”، غير أن ابتسامته حملت بعضًا من شك، “ولكن هل هو هنا؟”

“لا أعلم”، قالت بقلة صبر. “ما الفرق؟”

حملت ابتسامته الآن شكًا عميقًا واضحًا.

“فرق عظيم جدًا”، قالها وجلس عاقدًا يديه في حجره، بينما أشار أحد أصابعه، عن نية متعمدة كانت أو لا، نحو سبايد.

نظرت الفتاة إلى إصبعه المرفوع ذلك وقالت بنبرة ملول: “أو أنا، أو أنت.”

“بالضبط. ويمكننا أيضًا إضافة الفتى بالخارج

للقائمة؟”

”نعم“، ضحكت بريجيد، ”هذا إن لم يكن ذلك هو نفسه الفتى الذي أعجبت به في أسطنبول“.

احمرّ وجه كايرو في أثر الجملة، وقال بصوت غاضب: ”تقصدين الفتى الذي فشلت في إغوائه؟“

قفزت بريجيد من مقعدها. كانت أسنانها تعض على شفتيها في غلّ. كان وجهها أبيض وعيناها تتقدان شرارًا في وسطه. تقدمت نحو كايرو في خطوتين سريعتين. وبينما كان يحاول القيام من مقعده لمواجهتها، عاجلته هي بضربة بكفها على وجنته، تركت آثارًا لامعة من أصابعها عليها.

ردّ لها كايرو الصفعة، أطلقت بعدها بريجيد صرخة مكتومة.

قام سبايد من مجلسه على الأريكة، بوجهه الجامد واقترب منهما، وأمسك كايرو من رقبتة ضاغظًا عليها. تحشرج نفس كايرو ووضع يده داخل جيب معطفه. أمسك سبايد بمعصم الشرقي ولواه بعيدًا عن المعطف، ضاغظًا وعاصرًا قبضته قدر إمكانه، حتى انفكت القبضة أخيرًا طارحة المسدس الأسود الصغير إلى الأرض.

التقطت بريجيد أوثنونسي المسدس الذي سقط

سريعًا.

قال كايرو بصعوبة من بين حنجرته المنخنقة بفعل قبضة سبايد: "هذه المرة الثانية التي تهاجمني فيها." على الرغم من عينيه اللتين جحظت قليلًا بفعل الضغط على حنجرته، كانت عينا كايرو باردتين ومحذرتين بالخطر.

"نعم"، قال سبايد، "وعندما تتلقى صفة، ستحملها وستعجبك". أطلق سبايد بعضها معصم كايرو، وبيده الغليظة صفة ثلاث مرات بقسوة.

حاول كايرو أن يبصق في وجه سبايد، غير أن فمه الجاف منعه من ذلك، فلم تظهر من البصقة إلا بادرة غضب جافة. لطم سبايد فم الشرقي فأدمى شفته السفلى.

رن الجرس.

تركزت عينا كايرو على الردهة التي يقع الباب في نهايتها. كانت عيناه متعبتين وقد ذهب عنهما الغضب. انتفضت الفتاة ونظرت هي الأخرى نحو الردهة. كان وجهها خائفًا. نظر سبايد عابثًا للحظة للدماء التي تقطر من شفة كايرو، ثم ارتد للوراء، مخلصًا حنجرة كايرو من قبضته.

"من عساه يكون؟"، همست الفتاة، ونظرت عينا

كايرو إلى سبايد مُطلقة نفس التساؤل.

“لا أعلم” قالها سبايد غاضبًا.

رنَّ الجرس مرة أخرى في إصرارٍ.

“حسنًا اصمتا.” قالها سبايد وخرج مغلقًا الباب خلفه.

أوقد سبايد نور الردهة، وفتح الباب، كان الملازمان داندي وبولهاوس هما الضيفان على الباب.

“أهلاً يا سام” قال توم، “لقد اعتقدنا أنك ربما تكون ما زلت مستيقظًا.”

هز داندي رأسه ولم يضيف حرفًا.

قال سبايد بنبرة طبيعية بعض الشيء: “مرحبًا. أنتما معتادان على اختيار أوقات عصيبة للزيارة. ما الأمر هذه المرة؟”

“نريد التحدث إليك يا سبايد.” قال داندي بهدوءٍ.

“حسنًا” قال سبايد بينما حجب مدخل منزله من

ألمم الباب بجسده، “تحدثا إذا.”

“هل يجب علينا التحدث في الأمر بينما نحن

واقفين هنا؟” قال توم بولهاوس

لم يتحرك سبايد وقال: “لا يمكنكما الدخول”، كانت

نبرته تحمل نبرة اعتذار طفيفة.

على الرغم مما بدا على ملامح توم الغليظة من ودِّ،

إلا أنّ بريقًا قد سطع في عينيه الصغيرتين الذكيتين.
 "اللعنة يا سام، ماذا تفعل؟"، قال توم معترضًا وحاول
 مازحًا إزاحة سبايد بيده الضخمة، التي انحنى سبايد
 محاولًا تفاديها، وابتسم بمكرٍ وسأل: "هل تنوي
 استخدام قوتك ضدي يا توم؟"

زفر توم، "حبًا بالله يا سبايد"، رفع يده عن سبايد
 بعدها.

قال داندي من بين أسنانه، "دعنا ندخل".

ارتعشت شفة سبايد السفلى تلك التي تغطي نابيه،
 "لن تدخلنا. ماذا يمكنكما أن تفعلًا حيال ذلك؟ تحاولان
 الدخول رغما؟ أو تنهيان حديثكما ها هنا؟ أو ترحلان
 إلى الجحيم ربما؟"

زفر توم مجددًا.

قال داندي بكلماته التي ما تزال تخرج محشورة من
 بين أسنانه: "سيتطلب منك الأمر أن تجارينا قليلاً يا
 سام، لقد أفلتت من قبل من أمور مشابهة مرّة بعد مرّة،
 لكن لا يمكنك أن تظل بمأمن للأبد."

"يمكنك أن تمنعني حين تستطيع فعل ذلك" قال
 سبايد بغرور.

"هذا ما سوف أفعله"، وضع المحقق داندي يديه
 خلف ظهره واقترب مواجهًا سبايد بوجهه محتدًا:

“هناك بعض الأقاويل التي تدعي أنك كنت على علاقة
بزوجة آر تشر من خلف ظهره.”

“يبدو ذلك كإشاعة قد أطلقتها على عامدًا” ضحك
سبايد.

“إذًا لا صحة لتلك الادعاءات مطلقًا؟”

“مطلقًا.”

“تقول المعلومات أنها حاولت الحصول على طلاق
من آر تشر لتتزوجك، ولكنه رفض الطلاق، لا صحة لتلك
الافتراضات أيضًا؟” قال داندي

“لا..”

“هناك أقاويل تثار أيضًا حول كون ذلك هو السبب
تحديدًا في مقتله” أصر داندي على استكمال مسار
الحديث.

بدا سبايد مستمتعًا بذلك المسار، “لا تكن أحمق”، ردّ
سبايد، “لا يمكنك أن تلصق بي أكثر من تهمة واحدة
في ذلك الشأن. كانت فكرتك الأولى تنص على أنني قد
قتلت ثورزبي انتقامًا لقتله مايلز، مما يخل بقوامها
اتهامك لي الآن بقتل مايلز نفسه.”

“لم تسمعي أتهمك بقتل أحدٍ” قال داندي. “أنت من
تصر على اتهام نفسك بهذه الأمور، ولكن لنفترض أنني
فعلت، يمكنك أن تكون المتهم في الجريمتين ويمكنني

بسهولة اكتشاف كيف فعلت.

“أينعم. يمكن أن أكون قد قتلت مايلز لأحظى بزوجته، ثم أقتل تورزبي بعدها لأحمّله وزرّ قتل مايلز. هذه نظرية عبثية للغاية. أو ستضحى أكثر عبثية حين أقوم عما قريب بقتل شخص آخر لأحمّله وزرّ قتل تورزبي. إلى متى تظنني قادرًا على استكمال سلسلة هذه الأفعال الشنيعة في ظنك؟ هل تنوي لومي على كل جريمة قتل ستحدث فيما بعد في سان فرانسيسكو؟

“توقف عن المزاح السخيف يا توم. تعلم تمام العلم بأننا نكره القيام بذلك بقدر ما تبغضه، ولكننا نؤدي واجبنا.” ردّ توم.

“أتمنى أن يكون لديكم بالفعل ما تفعلونه سوى أن تظهروا على بابي كل صباح بدون ميعاد حاملين مثل تلك ترهات وافتراسات سخيفة.”

“أو أن نستقبل ردًا عليها مثل تلك إجابات كاذبة.”

قال داندي

“كف عن ذلك.” قال سبايد محدّدًا.

نظر إليه سبايد من أعلى رأسه وحتى أخمص قدميه ثم عاد يحدّق في عينيه بتحدّد.

“إن كنت تقول إنه لم يكن هناك أي علاقة بينك

وبين زوجة آر تشر، قال داندي، "فأنت كاذب. وها أنا أخبرك بهذا صراحة."

انتفضت عينا توم الضيقتان.

بلل سبايد شفثيه الجافتين بلسانه وسأل: "هل هذه هي كل المعلومات الهامة جدًا التي وصلتك ودفعتك للمجيء إلى بابي في هذه الساعة غير المناسب؟"
 "هذه إحداها فقط"

"والباقي؟"

تململ داندي. "دعنا ندخل"، قال داندي مشيرًا إلى ردهة منزل سبايد التي يحجبها بجسده.
 عبس سبايد وهز رأسه رافضًا.

ابتسم داندي في رضا، ووجه حديثه إلى توم: "لا بُدَّ أن في الأمر شيئًا"

هز توم قدميه، بدون أن يرفع نظره إلى كليهما وتمتم: "من يدري؟"

"ما هذا؟" "تمارسان فصلًا من مسرحية ربما؟"

"حسنًا يا سبايد، نحن راحلان." زرر داندي معطفه.
 "سوف نتوقف لزيارتك بين كل فترة وأخرى. ربما لك الحق في مواجعتنا، لكن فكر في الأمر مجددًا."

"سمعتك" قال سبايد مبتسمًا. "سعيد لرؤيتك في

كل وقت أيها الملازم. وسأكون أسعد باستقبالك حينما أكون متفرغًا.

صرخ صوت من غرفة المعيشة في منزل سبايد: "النجدة! النجدة! الشرطة! النجدة!" كان الصوت الرفيع والحاد الذي انطلق لتوّه هو صوت جويل كايرو.

التف الملازم داندي عائدًا في مواجهة سبايد عند الباب، وقال بحسم: "أعتقد أننا سندخل الآن."

وصل إليهم مقاومة عنيفة، وصوت ارتطام تبعته صرخة ضعيفة.

تحوّل وجه سبايد في استياء وقال: "نعم أظنكم ستفعلون" وانزاح بجسده عن الباب.

أغلق سبايد الباب خلف الملازمين اللذين دخلا من فورهما وتبعهما إلى حيث غرفة المعيشة.

الفصل الثامن

ريشات حسان (3)

كانت بريجيد أوشونسي تجلس مقرفة على المقعد، يرقد وجهها بين كفيها، ويختفي النصف الأسفل من وجهها من خلف ركبتيها المضمومتين إلى صدرها. كانت عيناها تشعان رعبًا.

كان جويل كايرو يقف أمامها ممسكًا بمسدسه الصغير الذي كان سبايد قد أسقطه منه على الأرض قبل أن يخرج لفتح الباب. كانت يد جويل الثانية الحرة ملصقة بجبهته تخفي أثر جرح تقطر منه الدماء وتغطي أصابعه متجاوزاها حتى عينيه، بينما صنع الجرح الصغير عند شفتيه ثلاثة خطوط دامية نزولًا حتى ذقنه. لم يبال كايرو على الإطلاق بوجود المحققين، كان مركزًا ناظره على الفتاة أمامه، وكانت شفتيه متشنجتين تتحركان بأصوات غير مفهومة.

وقف داندي، أول الداخلين إلى الغرفة، بجوار كايرو، بيد على مسدسه من تحت معطفه، ويد على معصم كايرو: "ما الذي تفعله؟"

رفع كايرو يده المغطاة بالدماء عن جبهته وقربها من وجه الملازم ليراها جيدًا، جبهته التي ظهر عليها جرح قطعي بقدر ثلاثة إنشات تقريبًا. "هذا الذي تراه من

فعلها" صرخ. "انظر إليه".

اعتدلت الفتاة وأنزلت ساقها إلى الأرض بينما نظرت بتوتر نحو داندي الممسك بمعصم كايرو، ثم إلى توم بولهاوس الواقف خلفه، وأخيرًا إلى سبايد الذي يقف مستندًا إلى حلق الباب. كان وجه سبايد هادئًا جدًّا، وقد لمعت لمحة ساخرة في عينيه الرماديتين عندما تلاقت أعينهما قبل أن تعود ملامحه لعهدا الخالي من التعبير مجددًا.

"هل أنتِ من فعل ذلك؟" سأل داندي الفتاة مشيرًا برأسه للجرح في جبهة كايرو.

نظرت الفتاة نحو سبايد مجددًا. لم يستجب حينها بأي شكلٍ للرجاء الذي توصلته إليه عيناها. كان سبايد يقف مستندًا إلى الباب ينظر إلى شاغلي الحجرة بهدوءٍ مراقب لا يد له فيما يجري. تحولت الفتاة بعينيها نحو داندي من جديد، كانت حدقتا عينيها على اتساعهما من فرط الترقب. "كنت مضطرة"، قالت في صوت مضطرب خافت. "لقد كنت هنا بمفردي عندما حاول مهاجمتي. لم أستطع.. حاولت إبعاده عني. أنا.. لم أستطع حقًا إطلاق النار عليه."

"كاذبة" صرخ كايرو، محاولًا انتزاع معصمه الذي يقبض عليه داندي بلا فائدة. "أيتها الكاذبة القذرة"، ثم

التف مواجهًا داندي. "إنها تكذب ببشاعة. لقد جئت هنا بنية طيبة ولقد تهجم كلاهما عليّ، وعندما حضرتما خرج هو للتحديث إليكما تاركًا إياها هنا معي وبحوزتها المسدس، ثم قالت لي إنهما سيقومان بقتلي بعد أن ترحلا، لذلك صرخت طلبًا للنجدة، حتى لا ترحلا وتتركاني هنا فيقتلاني، وحينها ضربتني على رأسي بالمسدس."

"أعطني هذا الشيء"، قال داندي وسحب المسدس من يد كايرو. "والآن أخبرني لأي هدفٍ حضرت إلي هنا في الأصل؟"

"لقد طلب هو حضوري إلى هنا"، التف كايرو برأسه مشيرًا إلى سبايد وناظرًا إلى عينيه.

نظر سبايد إلى وجهه الشرقي بلا تعبير مُحدّد ولم يقل شيئًا.

سأل داندي: "ولماذا أراد حضورك إلى هنا؟"

تأخر كايرو في الإجابة على سؤال المحقق، حتى أخرج منديلًا حريريًا له رائحة اللافندر مسح به جبهته الدامية. خلال تلك الفترة كان كايرو قد هدأ قليلاً واسترد إحساسه الحذر. "لقد كان - كانوا - يريدون رؤيتي. لا أعلم السبب."

أخفض توم بولهاوز رأسه متشممًا عبق عطر "شبير"

الذي انتشر في الهواء بفعل المنديل الحريري الذي أخرجته كايرو من جيبه، التف توم ناظرًا بشك إلى سبايد. غمز له سبايد وراح يلف سيجارة.

“حسنًا، وماذا حدث بعدها؟” سأل داندي

“هاجماني بعدها. هي ضربتني أولاً، ثم قام هو بخنقي وأخذ المسدس الصغير من جيبى. لا أدري ماذا كانا سيفعلان بي إن لم تظهرا في تلك اللحظة عند الباب وتضربا الجرس. أجرؤ على التخمين بأنهما كانا ليقتلاني في التو واللحظة. عندما خرج ليستطلع أمر الجرس، تركها هنا والمسدس بحوزتها لمراقبتي.”

قفزت بريجيد أوشونسي عن مقعدها صارخة: “لماذا لا تجبره على قول الحقيقة؟” وشفعت كايرو على خذّه.

صرخ كايرو فزعًا.

دفع داندي الفتاة إلى حيث كان مجلسها بيده الحرة وزمجر: “لا أسمح بالمزيد من ذلك الآن.”

ابتسم سبايد بينما كان يشعل سيجارته، وقال لتوم بين دخان نفثته شفتاه: “إنها مندفعة للغاية”
 “نعم”.. ردّ توم.

نظر داندي إلى الفتاة وقال: “ما هي الحقيقة التي ترغبين أن نتعرف إليها؟”

"حسنًا، ما قاله" ردت الفتاة، "ليس كل ما قاله صحيحًا"، نظرت إلى سبايد مستشهدة، "أليس كذلك؟" "وكيف لي أن أعرف؟" ردَّ سبايد، "لقد كنت في المطبخ أصنع بعض الأومليت حينما حدث ذلك كله، أليس كذلك؟"

تقاطع حاجباها وتعددت خطوط جبهتها، وحاولت دراسة ما قال لتوّه بوجه عابس وعينين تظللها الحيرة. تململ توم مستاءً.

سأل داندي الذي ما يزال موجهًا نظره وحديثه إلى الفتاة، ومتجاهلاً حديث سبايد: "إن لم تكن الحقيقة هي ما أخبر عنها، فكيف سمعناه يصرخ طالباً للنجدة بينما لم تفعلي أنت؟"

"لقد كان خائفًا حين هاجمته" ردّت بينما تنظر بازدراء إلى الشرقيّ.

اهتاج وجه كايرو واحمرّ حتى في الأماكن التي لم يكن الدم الأحمر يغطّيها بالفعل، واستطرد: "أوف، هذه كذبة أخرى".

ضربت بريجيد الرجل الشرقيّ في ساقه، أصاب الكعب العالي لحذاءها الأزرق المنطقة تحت ركبته. شدّه داندي بعيدًا عنها بينما وقف توم بجسده الضخم قريبًا من الفتاة متمتمًا: "كوني مهذبة يا عزيزة، ليس هذا

تصرفًا صائبًا.

“إِذَا أُجْبِرَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِيقَةِ”. رَدَّتْ بِتَحَدٍّ.

“سَنَفْعَلُ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ” وَعَدَهَا، “لَكِنْ لَا تَتَصَرَّفِي

بِقَسْوَةٍ”

نَظَرَ دَانْدِي بَعْيُونَهُ الْخَضْرَاءَ الْقَاسِيَةَ نَحْوَ سَبَايِدِ، ثُمَّ

وَجَّهَ كَلَامَهُ لِمَرُؤُوسِهِ قَائِلًا: “حَسَنًا يَا تَوْمِ، أَظْنَهُ عَيْنِ

الصَّوَابِ أَنْ نَقُودَ الْجَمِيعَ نَحْوَ مَكْتَبِ التَّحْقِيقَاتِ.”

أَوْمَأَ تَوْمٌ بِرَأْسِهِ عَابِسًا.

تَحَرَّكَ سَبَايِدٌ أَحْيَرًا مِنْ جَوَارِ الْبَابِ حَتَّى مَنْتَصَفِ

الْغُرْفَةِ، أَطْفَأَ سِيَجَارَتَهُ فِي الْمَنْفُضَةِ عَلَى الطَّائِلَةِ. كَانَ

يَتَصَرَّفُ وَيَبْتَسِمُ بِلَطْفٍ. “لَا تَسْتَعْجَلِ الْذَهَابَ، يُمْكِنُنَا

تَفْسِيرَ كُلِّ شَيْءٍ” قَالَ.

“أَرَاهَنَ بِالطَّبَعِ أَنَّ لَدَيْكَ تَفْسِيرًا لِهَذَا”. وَافَقَ دَانْدِي

سَاخِرًا.

انْحَنَى سَبَايِدٌ لِلْفَتَاةِ. “الآنسة أوشونسي”، قَالَ، “أَقْدَمُ

لَكَ الْمَلَاذِمَ دَانْدِي وَالْمَحَقِّقَ بُولِهَاوَسَ”. انْحَنَى بَعْدَهَا

بِالتَّبَعِيَّةِ لِدَانْدِي.

-“الآنسة أوشونسي تعمل في خدمتي.”

اعْتَرَضَ جَوِيلُ كَايْرُو غَاضِبًا: “هَذِهِ لَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ.

إِنهَا..”

قاطعته سبايد في نبرة عالية ولكنها ودودة ما تزال:
 "لقد عيّنتها مؤخرًا، بالأمس القريب فقط. هذا هو
 السيد جويل كايرو، صديق - أو رفيق مقرب، بدرجة
 ما - من السيد ثورزبي. لقد زارني ظهيرة اليوم بهدف
 أن أساعده في الحصول على غرض ما، كان بالفرض
 بحوزة السيد ثورزبي عندما قتل. كان عرضه غريبًا
 بالطريقة التي شرح بها الأمر لي، لذلك لم أقبله. أشهر
 بعدها مسدسه.. ولكن هذه تفصيلا غير هامة الآن إلا
 في حالة ما أردت تقديم شكوى بشأن تهجمه عليّ.
 على العموم، بعدما تناقشت في الأمر مع الانسة
 أوشونسي، رأيت أنني ربما يمكنني استجوابه قليلا
 علني أصل من حديثه إلى أي معلومات بخصوص
 مقتل مايلز وثورزبي، لذلك استدعيتته إلى هنا. ربما
 قسونا عليه قليلاً في عملية الاستجواب، ولكننا لم
 نؤذّه أبدًا لدرجة تستدعي طلبه النجدة، ولكنني
 اضطررت مجددًا إلى سحب المسدس منه."

كان التوتر ينساب مندفعًا بين ملامح كايرو على
 طول الفترة التي تحدث فيها سبايد، وكانت عيناه
 ترتعشان بين مقلتيه، وما تنفك نظراته تتأرجح بين
 أرض الحجرة وبين وجه سبايد.

واجه داندي كايرو وسأل بحزم: "حسنًا! هل لديك ما

تقوله بشأن إفادة السيد سبايد؟”

لم يكن لدى كايرو ما يقوله، وظلَّ صامتًا لدقيقة كاملة، دون أن يرفع عينيه عن صدر الملازم داندي. عندما رفع رأسه أخيرًا، كانت عيناه خجلتين تعبتين. “لا أعلم ما الذي عليّ قوله”، تمتم، بدا إحراجه من الموقف صادقًا.

“عليك أن تخبر عن الحقيقة” اقترح داندي

“الحقيقة؟” ارتعشت عيون كايرو عبر حدقته التي كان ينظر بها محملًا للملازم. “وكيف لي أن أتأكد بأنكم ستصدقون نسختي من القصة؟”

“توقف عن المماطلة. كل ما عليك قوله إنهم قد هاجمواك فعلاً، وسيقوم المكتب بإصدار أمر ضبط يلقيهم في الزنزانة على الفور.”

“لتفعل يا كايرو. أسعد السيد داندي ونفِّذ اقتراحه، وحينها سنرفع نحن أيضًا شكوى مماثلة، مما سيمنحهم الفرصة لإلقائنا جميعًا في ذات الزنزانة التي ذكر.”

سعل كايرو وأدار بصره عبر الغرفة بتوتر، دون أن يلاقي بنظره أي من الواقفين في الغرفة.

نفخ داندي عميقًا من أنفة زفرة ضيف وقال: “فليرتد كل قبعتة.”

تلاقت عين كايرو المحتارة ونظرة سبايد الساخرة.

غمز له سبايد وجلس على يد المقعد. "حسنًا سيداتي أنساتي، لقد انطلت عليهم الحيلة جيدًا فيما يبدو." قالها بينما نظر مبتسمًا إلى الفتاة والرجل الشرقي بصوتٍ لا يخلو من مرح.

أظلم وجه داندي بهيئته المربعة. كرر داندي بنبرة قاطعة: "فليرتد كل قبعتته".

حوّل سبايد وجهه المبتسم نحو الملازم، واعتدل على يد الكرسي لوضع أكثر راحة، وسأل بكسل: "ألا يمكنك أن تدرك الفرق حين يمارس أحدهم خدعته عليك؟"

لمع وجه توم بولهاوس واحمرّ، بينما ظلّ وجه داندي مظلمًا على حاله، وقد تسمرت ملامحه إلا من شفثيه التي تحركت متصلبة: "لا، ولكن يمكننا تأجيل ذلك حتى نصل إلى المكتب."

وقف سبايد واضعًا يده في جيوبه، منتصبًا بقامته إلى أعلى قدر يمكنه من النظر إلى داندي من علّ. كانت ابتسامته هازئة، وقد تجملت ملامحه بغايات لا تدحض من الثقة بالنفس. "أتجداك أن تلقي القبض علينا يا داندي. سنسخر منك في كل جريدة في سان فرانسيسكو. أنت حقًا لا تظن أن أيًا منّا سيقدم شكوى ضد الآخر، أليس كذلك؟ استيقظ يا عزيزي. لقد كان

الأمر كله مجرد مزحة. عندما رن الجرس، قلت للآنسة أوشونسي والسيد كايرو "إنهم هؤلاء المزعجين مرة أخرى. لقد أصبحت تصرفاتهم مثيرة للحنق والغثيان. سنقوم بخداعهم قليلاً. عندما تسمعونهم قد قرروا الرحيل، ليصرخ أحدكم، وسنرى إلى أي مدى يمكننا حبك الأمر عليهم قبل أن ينهاروا، ثم..."

مالت بريجيد أوشونسي إلى الأمام مستغرقة في ضحكة هستيرية.

بدأ كايرو بعدها هو الآخر في رسم ابتسامة عريضة على شفثيه. لم تكن ابتسامته حقيقية بما يكفي ولكنه ثبتها بتصميم على وجهه.

حلق فيهم توم بسخط وزمجر: "توقف عن هذا الهراء يا سام".

ضحك سبايد وقال: "ولكن هذه هي الحقيقة، لقد كنا..."

"وماذا عن الجرح في جبهته وشفثيه؟" سأل داندي بازدرء عمّ ملامحه. "ما مصدرهما؟"

"اسأله" اقترح سبايد، "ربما جرح نفسه أثناء الحلاقة".

أجاب سبايد بسرعة قبل أن يتم استجوابه من قبل داندي، وارتعشت عضلات وجهه تحت ضغط محاولاته

الحفاظ على ابنتسامته بينما يتحدث. "لقد وقعت. كنا قد قررنا أن نبدو كما لو كنا نتصارع على المسدس عند دخولكم إلى الغرفة، ولكنني وقعت، تعثرت في نهاية السجادة، بينما كنا نحاول التظاهر بأننا نتشاجر."

"هراء". قال داندي

"لا بأس يا داندي. لتصدق الأمر أو تكذِّبه. خلاصة الأمر أن تلك هي قصتنا وستمسك بها كما هي. ستطبعها الصحف كتصريحات جاءت على لساننا سواء صدَّقوها أو لا، وستصبح وجهة نظر غريبة أمام وجهة نظر أخرى تتبنوها أنتم. ماذا ستفعل حيال لك؟ المزاح مع الشرطة ليس جريمة، أليس كذلك؟ ليس لديك أي شيء ضد أي شخص في هذه الغرفة. كل ما أخبرناك به مسبقًا كان جزءًا من المزحة. ماذا يمكنك أن تفعل؟"

التف داندي معطيًا ظهره لسبايد وأمسك كايرو من كتفيه، "لن يمكنك الفرار بفعلتك تلك"، قالها مزمجراً بينما يهز جسد كايرو بين يديه، "لقد صرخت طالبا للنجدة وعليك أن تتمسك بطلبك لها."

"لا يا سيدي"، تلعثم كايرو قليلاً، "لقد كانت مزحة، قال السيد سبايد أنكم أصدقاؤه وستتفهمون الأمر".

ضحك سبايد.

شدَّ داندي كايرو بقسوة، ممسكاً به من معصمه ومن

رقبته. "سأقبض عليك لحوزتك المسدس على كل حال." قال داندي. "وسأقبض عليكم جميعًا لنبحث عن سيضحك على مزحتكم اللطيفة."

انتبهت عينا كايرو ونظر إلى سبايد.

"لا تكن أحمق يا داندي" كان المسدس جزءًا من الخطة. إنه يخصني. أمر في غاية السوء كونه من عيار اثنين وثلاثين، وإلا كنت قد ربطت بينه وبين مقتل مايلز أو ثورزبي."

أفلت داندي كايرو من قبضته، وشبّ قليلاً موجهًا قبضته اليمنى نحو ذقن سبايد.

صدرت عن بريجيد أوشونسي صرخة ضعيفة.

اختفت ابتسامة سبايد للحظة في أثر القبضة، ثم ما لبثت أن عادت بابتسامة حالمة لا مبالية. اعتدل بخطوة إلى الوراء وهز كتفيه الضخمين تحت معطفه، وقبل أن تصل قبضته إلى داندي، وقف توم بولهاوس بجسده السمين بين الرجلين حاجزًا ذراع سبايد حبيسًا إليه.

"لا، حبًا بالله" توّسل توم.

ارتخت عضلات سبايد خلال لحظة طالت للأبد

"إذًا أخرجه من هنا حالًا" قال سبايد وقد اختفت

ابتسامته مجددًا، وصار متجهًا وشاحبًا بدرجة ما.

بقي توم قريبًا من سبايد، حاجزًا ذراع توم بذراعه، ثم التفت لينظر خلف كتفيه لزميله الملازم داندي، الذي سطع اللوم بعينه.

كانت قبضتا توم مشدودتين إلى جسده، بينما ساقيه منفرجتان مثبتتان بعزم إلى الأرض في وضع متحفز، وقد ظهر الغضب في تلك الخطوط البيضاء التي انتشرت ما بين حدقتي عينيه الخضراوين وجفنه العلوي.

“خذ قائمة بأسمائهم والعناوين.” أمر داندي.

نظر توم إلى كايرو الذي أجاب سريعًا: “جويل كايرو، فندق بليفيدير.”

ردّ سبايد قبل أن يتمكن توم من طرح سؤاله على الفتاة: “يمكنك دائمًا التواصل مع الأنسة أوشونسي من خلالي.”

نظر توم إلى داندي، الذي زفر في غضب: “اكتب عنوانها.”

“اكتب أن عنوانها هو عنوان مكتبي.” قال سبايد.

تقدّم داندي وتوقف أمام الفتاة. “أين تسكنين؟”

تحدث سبايد عندها إلى توم: “أخرجه من هنا، لقد احتملته بما فيه الكفاية.”

نظر توم إلى عيني سبايد اللتين اتقدتا بلمعة قاسية،

ثم تمتم: "لتهدأ قليلاً يا سام".

زرر توم معطفه، وسأل في صوت أراده أن يبدو طبيعياً، "هل هذا كل شيء؟" ثم تقدم نحو الباب. فشل وجه داندي العابس على احتواء حيرته وتردده.

تحرك كايرو هو الآخر نحو الباب قائلاً: "سأذهب أنا أيضاً، إن سمح السيد سبايد وناولني معطفي وقبعتي." "لماذا العجلة؟" سأل سبايد

قال داندي بغضب: "إذاً كان الأمر كله مجرد مزحة، ولكنك ما زلت خائفاً من البقاء هنا وحيداً معهم بعد انصرافنا".

"على الإطلاق"، قال الشرقي، متملماً، دون أن ينظر إلى أيٍّ منهما، "ولكن الوقت متأخر.. وأنا قررت أن أرحل، وسأرحل الآن معك، إن لم يكن لديك مانع." عَض داندي على شفثيه في حزم ولم يزد. لمع ضوء ما في عيونه الخضراء.

ذهب سبايد حتى الخزانة في ردهة منزله وأحضر منها قبعة كايرو ومعطفه. كان وجه سبايد لا يُشي بأيّ تعبير، كما صوته الذي توجه به إلى توم بعد أن ساعد الشرقي في ارتداء ملابسه: "اطلب منه أن يترك المسدس".

أخرج داندي المسدس من معطفه وتركه على الطاولة، وخرج أولاً وكايرو في أعقابهم. وقف توم أمام سبايد: "أتمنى من الله أن تكون مدرّكاً لما تفعله."، لم يرد سبايد، فتنهد توم وخرج بدوره من المنزل. تبعهم بايد حتى رحلوا إلى ما بعد ردهة البناية.

(3). جاءت في النص - horse feathers - كما عنوان الفصل، والتي تعني "هراء".

الفصل التاسع

بريجيد

عاد سبايد إلى الغرفة وجلس عند نهاية الأريكة، يستند مرفقيه على ركبتيه، ويرتاح وجهه بين كفيه، ناظرًا إلى الأرض لا إلى عيني بريجيد أوشونسي التي تبتسم إليه بضعف من مقعدها حيث تجلس. كانت عيناه متقدتين، والتجاعيد بين حاجبيه قد صارت عميقة. وقد تحركت أرنبتني أنفه بتوتر بينما كان يتنفس زافرًا بعمق.

عندما بدا لبريجيد أوشونسي أنه لن يبادلها النظرات قريبًا، توقفت عن الابتسام وظلت تنظر إليه بقلق متزايد. أصاب ملامحه فجأة غضبٌ عارمٌ وبدأ يتحدث بصوت قاسٍ صدرَ عن أعرق نقطة في حنجرته الصارخة. بينما لا يزال وجهه راقدًا بين كفيه، ناظرًا إلى الأرض، بدأ سبايد يصرخ لاعنًا داندي، بسبّة فاحشة تلو سبّة، بتكرارٍ لا يملُّ، بصوتٍ قاسٍ صدرَ عن أعرق نقطة في حنجرته الصارخة.

رفع سبايد بعدها وجهه إلى الفتاة وابتسم بسخاء للفتاة: "رد فعلٍ طفوليٍّ؟ أليس كذلك؟ أعرف. لكم أكره أن يهاجمني أحدهم دون أن أستطيع رد الضربة. لمس بعدها ذقنه محاذرًا الألم، "بصرف النظر عن أنها لم تكن

لكمة قوية إلى ذلك الحد". ضحك سبايد ومال بجسده إلى ظهر الأريكة ماذًا ساقيه إلى الأمام متقاطعتين. "تمن بخس أدفعه في سبيل الانتصار"، ثم عقد حاجبيه قائلاً: "لكني سأذكرها أبدًا".

ابتسمت الفتاة مجددًا، وانتقلت إلى جواره على الأريكة: "لم أقابل في حياتي مَنْ هو أكثر جموحًا منك. هل تتعامل مع الجميع بهذا الاعتداد بالنفس طوال الوقت؟"

"لقد تركته يهاجمني، أليس كذلك؟"
 "نعم لكنه رجل شرطة".

"ليست هذه هي الفكرة"، شرح سبايد، "الخسارة أمامه كانت متعمّدة، عندما وجّه إليّ قبضته، كان قد خسر بتهوره، إذ قرر استخدام يده في الحوار. إن رددت عليه لم يكن شيئًا ليقفّه، كان سيصر على ما أراد، وكنا سنضطر إلى الذهاب إلى مكتب الشرطة وقص قصتنا السخيفة تلك". سأل سبايد الفتاة "ماذا فعلت لكايرو؟"

"لا شيء" توّرد وجه الفتاة. "لقد حاولت إخافته حتى يظل ساكنًا بينما يرحل الرجال، وربما قد روّعه الخوف أو أصابه العند فصرخ بعدها".

"بعدها هاجمته بضربة المسدس على رأسه؟"

”كنت مضطرة. لقد هاجمني.“

”أنت لا تعرفين ما تفعلينه حقًا.“ لم تستطع ابتسامه سبايد إخفاء ضيقه. ”كما أخبرتك كم قبل: ما زلت تتخبطين معتمدة على حدسك وظنونك وأملًا في الله أن يصلح الأحوال.“

”آسفة سام“، قالتها بصوت خفيض رقيق منكسر.

”بالطبع أنتِ آسفة“، قال سبايد وقد أخرج لفافة التبغ وأوراق السجائر من جيوبه وبدأ في لف سيجارة. ”ها قد حظيت بفرصتك في الحديث إلى كايرو، الآن يمكنك التحدث إليّ.“

لمست بربجيد شفتيها بطرف إصبعها، وحملت في الغرفة بعينيها الواسعتين، ثم ضيّقت عينيها ناظرة إلى سبايد، الذي كان مستغرقًا بالكلية في لف السيجارة. ”آه. نعم، بالطبع..“، ثم رفعت إصبعها عن شفتيها ومسدت رداءها الأزرق فوق ركبتيها ونظرت إليهما عابسة.

لعق سبايد طرف سيجارته، وسأل: ”حسنًا؟“ بينما يتحسس جيوبه بحثًا عن قداحته.

”ولكني لم أحصل“، قالت وكلماتها تتقطع، كما لو كانت تختارها بشديد عناية، ”على تلك الفرصة في الحديث إليه بعدُ.“ توقفت عن النظر لركبتيها ورفعت

إلى سبايد عيونًا صادقة: "لقد تمت مقاطعتنا قبل أن نبدأ حتى في الحديث في أمورنا."

أشعل سبايد سيجارته وأخرج دفقة الدخان الأولى من فمه بينما ضحك لعبارتها: "هل تريدني مني الاتصال به ليأتي وتستكملا حديثكما؟"

هزّت رأسها بغير ابتسامة. تحركت عيناها في حيرة بين أجفانها ولم تعاود الابتسام بينما هزّت رأسها من جديد، مسلطة عينيها هذه المرة على عيني سبايد. كانت عيناها تحملان غاية الفضول.

لف سبايد ذراعه حول ظهرها، وأراح يده على كتفها الناعم. مالت الفتاة معتدلة داخل محيط زراع التي افترشت كتفيها. قال سبايد: "حسنًا! أنا أسمعك".

أدارت رأسها ناظرة إليه مبتسمة بعينين عابثة قادرتين.

"وهل وضعية ذراعك تلك ضرورية لعملية الاستماع؟"

"لا" قالها ورفع ذراعه عن كتفيها وأسقطها على الأريكة خلفها.

"أنت شخص لا يمكن توقع ردود أفعاله على الإطلاق يا سيد سبايد." تمتمت

أوماً سبايد برأسه وقال بوذّ: "مازلت أنتظر سماعك"

“انظر إلى الوقت”، قالتها مشيرة بإصبعها للساعة التي أشارت بدورها لتمام الساعة الثانية وخمسون دقيقة.

“نعم. لقد كانت ليلة حافلة.”

“عليّ أن أرحل”، قامت الفتاة فجأة. “تأخر الوقت.”
لم يتحرك سبايد وإنما هزّ رأسه: “ليس قبل أن تخبريني بكل شيء.”

“ولكن انظر إلى الوقت”، اعترضت، “قد يحتاج الأمر مني ساعات لحكي الأمر كله.”
“علينا أن نبدأ فورًا إذًا.”

“هل أنا سجين هنا؟” قالت بمرح.

“ناهيك عن وجود ذلك الفتى بالخارج. ربما لم يرحل بعد.”

اختفى كل ظلّ للمرح على وجهها. “هل تظنه ما زال هناك؟”

“غالبًا هو كذلك.”

ارتجفت، “هل يمكنك استطلاع الأمر؟”

“يمكنني أن أنزل وأتأكد”

“هلا فعلت؟”

تطلع سبايد إلى ملامحها المتحمسة، وقام من مجلسه قائلاً: "بالطبع". التقط قبعته ومعطفه من الخزانة، "سأغيب لعشر دقائق".

"خذ حذرك"، توصلت إليه بينما تبعته حتى الردهة.

"سأفعل" قالها وخرج.

كان شارع بوست خاليًا من المارة حينما وصل إليه سبايد، سار شرقًا لمسافة شارع واحد، ثم عبر الطريق، وسار لمسافة شارعين آخرين غربًا، ثم عبر الطريق مجددًا، عاد بعدها إلى بنايته، لم يلمح خلالها سوى رجلين يعملان على تصليح عربة في مرآب ما.

عندما فتح سبايد الباب إلى شقته، كانت بريجيد أوشونسي واقفة في مدخله، تحمل بين أصابعها مسدس كايرو الصغير.

"ما يزال هذا هنا". قال سبايد

عضت الفتاة على شفتها وعادت ببطء إلى غرفة المعيشة. تبعها سبايد، واضعًا قبعته ومعطفه على المقعد، قائلاً: "لدينا كل الوقت اللازم لتحدث"، دخل بعدها إلى المطبخ.

كان سبايد قد وضع سطل القهوة على الموقد وبدأ في تقطيع بعض من شرائح الخبر الفرنسي عندما ظهرت بريجيد عند الباب. داعبت أصابع يدها اليسرى

جسد المسدس وتفاصيله الذي كان ما يزال راقداً بين راحة يدها اليمنى.

“تجدين مفرش الطاولة ها هنا”، قال سبايد مشيراً بسكين الخبز نحو خزانة المطبخ التي حوت زاوية لتناول الإفطار.

جهّزت الفتاة الطاولة بينما كان سبايد يضع بعضاً من نقانق الكبد على بعض شرائح الخبز، أو يرص بعضاً من شرائح اللحم البقري البارد بين قطع الخبز التي قطعها. صبّ سبايد بعدها القهوة وأضاف لها قطرات من البراندي، ثم جلسا إلى الطاولة.

“يمكنك البدء بالحديث الآن” قال سبايد بين قضمات تناولها من شطيرته.

“أنت أكثر من عرفتهم إلحاحاً” قالتها بوجه عاتب وقضمت قطعة من شطيرتها.

“نعم وأكثرهم جموحاً، كما لا يمكنك توقع ردود أفعالي. ما حكاية ذلك الطائر؟ هذا الصقر، الذي يثير اهتمام الجميع؟”

مضغت الفتاة قطعة الخبز باللحم، ابتلعتها، ثم نظرت بتمعن لأثر قضمتها على الشطيرة، التي أحدثت فراغاً في الشطيرة أشبه بالهلال، وسألت: “لنفترض أنني لن أخبرك، لنفترض أنني لم أخبرك بأي شيء، ماذا

ستفعل؟”

”تقصدين عن أمر الطير؟”

”أقصد عن الأمر برمته.”

”لن يفاجئني ذلك كثيرًا” قالها مبتسمًا بشدة حتى بانّت نواجذها، ”ذلك أنني أعلم حينها ماذا سأفعل.”

”وما هو ذلك الذي ستفعله؟”، تحوّل جل تركيزها الآن من الشطيرة إلى وجهه. ”هذا ما أردت معرفته: ماذا ستفعل حينها؟”

هزّ سبايد رأسه.

رقصت ابتسامة ساخرة على وجهها، ”ستتخذ إجراءات جامحة وغير متوقعة ربما؟”

”ربما. لكنني لا أرى فائدة في إصرارك على مداراة الأمر حتى الآن، ذلك أنه صار يتكشف خطوة بخطوة، هناك الكثير حول هذا الأمر مما لا أعلم بشأنه، أعني أنني أعرف أشياء معينة، ويمكنني تخمين الباقي، امنحيني يومًا آخر فقط، وسأصل لمعرفة بعض الأمور التي قد تجهلينها أنت شخصيًا.”

”أعتقد أنك تعرف فعلاً”، قالت وقد عادت بنظراتها إلى الشطيرة في يدها، كان وجهها جادًا. ”ولكن.. آه.. أنا متعبة جدًا من جراء هذا الأمر، وأكره الحديث عنه.. أليس.. ألا يمكننا ألا نحكي عنه ونتركك لتكتشفه كما

قلت؟”

ضحك سبايد، “لا أدري. عليك أن تقرري ذلك بنفسك. إن طريقيتني الجامحة غير المتوقعة المتلاعبة تكفيني، تناسبني وتزيد، لكن عليك أن تكوني متأكدة أن طريقيتني تلك لن تؤذيك بأي من انفجاراتها المتتابعة وشظاياها.”

حرّكت الفتاة كتفها في انزعاج، ولكنها لم تقل شيئاً. لدقائق عديدة لم يقل أحد أي شيء، ظلاً جالسين في صمت يتناولان طعامهما، هو بفضاظة وهي برقة. تحدث بعدها الفتاة في صوت خفيض: “أنا أخشاك يا سيد سبايد. هذه هي الحقيقة.”

“هذه ليست الحقيقة.”

“بل هي كذلك”، أصرت بذات النبرة الخفيضة، “هناك رجلان اثنان أخشاهما أشد الخشية، وقد كنت بصحبتهم اليوم في نفس الغرفة.”

“يمكنني تفهم خوفك من كايرو. لا يمكنك السيطرة عليه.”

“أليس ذلك حالي معك؟”

“أنا مختلفٌ” قالها مبتسماً.

تورّد وجه الفتاة، ثم تناولت شطيرة محلاة بنقانق الكبد الرمادية. وضعتها على الطبق، وتجمعت جبهتها

البيضاء بينما قالت: "إنه مجسم ذو لون أسود، كما لا بُدَّ
 خفنت، ناعم ولامع، مجسم لطير، صقر أو نسر، طويل
 بهذا القدر تقريبًا" قالتها ورفعت يدين يفصل ما بينها
 قدر قدم.

"ما قدر أهميته؟"

رشفت رشفة من كوب القهوة المحلّى بالبراندي
 وقالت قبل أن تهزّ رأسها: "لا أدري، لم يخبرني بذلك
 أحد. لقد وعدوني بخمسمائة دولار في مقابله إن
 ساعدتهم في الحصول عليه. ثم بعد أن قابلنا جو، قال
 فلويد إنه سيمنحني سبعمائة وخمسين دولارًا ثمنا له.
 "إذا لا بُدَّ أن يساوي كما هو أكثر من ذلك الذي
 عرضه عليك."

"نعم. أكثر بكثير بالطبع. لم يحاول أيّ منهم التظاهر
 بأنهم يقتسمون ثمنه فيما بيننا. كانوا واضحين في
 طلبهم، أرادوا مني مساعدتهم في الحصول عليه."
 "وكيف كان يفترض بك مساعدتهم؟"

رفعت الفتاة كوب القهوة لتشرب مجددًا، وبدأ سبايد
 في لف سيجارة دون أن يرفع عينه الرمادية المصفرة
 عنها، ومن ورائهم كان سطل القهوة يفور على الموقد.
 "كان يفترض بي مساعدتهم في الحصول عليه ممن
 كان التمثال بحوزته، رجل روسي اسمه كيمييدوف."

”كيف تحديداً؟“

”ليس مهمًا أن تعرف“، اعترضت، ”ولن يساعدك معرفة ذلك في مهمتك“ ابتسمت بوقاحة.. ”كما أنه ليس من شأنك على الإطلاق“.

”كان ذلك في إسطنبول“

ترددت، ثم أومأت برأسها: ”مارمورة“.

أشار لها بيده التي تحمل السيجارة، ”أكملي، ماذا حدث بعدها؟“

”ولكن هذا هو كل ما في الأمر. أخبرتك أنهم قد وعدوا بمنحي خمسمائة دولار لمساعدتهم، ولقد فعلت، بعدها اكتشفنا أن كايرو كان ينوي أن يخدعنا ويتركنا دون التمثال أو المال. لذلك عاملناه بالمثل تمامًا وهربنا، لكنني كنت قد هربت إلى وضع ليس بأيسر أو أفضل مما كنت فيه أصلاً، ذلك أن فلويد لم يكن ينوي أن يدفع لي السبعمائة وخمسين دولارًا التي وعدت من الأصل. علمت ذلك بمجرد وصولنا إلى هنا. قال إننا سنذهب إلى نيويورك، حيث سيبيعه ثم يعطيني نصيبها بعدها، ولكنني شعرت أنه لم يكن يخبرني بنواياه الحقيقية.“ كان الاستياء قد حال عينيها إلى لون قرمزي ساخط. ”لهذا لجأت إليك على أمل أن أعرف أين خبأ فلويد الصقر“.

“وبفرض أنك قد علمت وصار بحوزتك، ماذا كنت ستفعلين؟”

“كنت حينها سأفرض شروطي الخاصة على السيد فلويد ثورزبي”.

نظر إليها سبايد متفحصًا وقال: “ولكنك ستظلين مع هذا جاهلة بأي طريقة تجلب لك ثمنًا أعلى مما اقترحه عليك فلويد، الثمن الأعلى الذي توقعت أنه لا يُدَّ يساويه؟”

“نعم. كنت جاهلة بذلك كله”.

حدَّق سبايد إلى الرماد على طبقه من أثر سجائره. “لماذا يساوي المجسم هذا المال كله في الأصل؟، لا بُدَّ أنك تعرفين، أو على الأقل تملكين تخمينًا ما”.

“ليست لدي أدنى فكرة”.

حوَّل سبايد نظرتة إليها: “ما هي الخامة التي صنع منها التمثال؟”

“البورسلين أو حجر أسود مشابه. لا أعلم. لم ألمسه قط. لقد رأيته مرة واحدة فقط. أراني فلويد إياه حين استطاع الحصول عليه”.

أطفأ سبايد سيجارته في الطبق وتناول رشفة من كوب القهوة بالبراندي. كانت نظراته المتفحَّصة المفكرة قد زالت عن ملامحه. مسح فمه بمنديل، ثم تركه

مكوّراً على الطاولة، وقال بطبيعية: "أنت كاذبة".

قامت الفتاة ووقفت عند نهاية الطاولة تنظر إليه وهو جالس بملامح وعيون خجلة ووجه متورّد. "أنا كاذبة. لطالما كنت كذلك".

"لا تتفاخري. هذا سخيف وطفولي".. كان صوته مرخاً بشكل ما. قام بعدها من على الطاولة.

- "هل هناك أي حقيقة فيما أخبرتني به لتوك؟"

لمعت سذاجة في عينيها، "بعض الحقيقة". همست.
"بأي قدر؟"

"قدر قليل جدّاً من الحقيقة".

وضع سبايد كفه المنبسطة تحت ذقنها ثم رفع إليه وجهها، وابتسم لعينيها الدامعتين، "لدينا الليل بطوله. سأضع المزيد من البراندي في المزيد من أكواب القهوة وسنحاول مجدداً".

أخفضت عينيها مجدداً: "آه. أنا تعبّة" قالتها مرتعشة، "تعبّة من الأمر كله، من الكذب ومحاولة اختلاق الأمور، من الحيرة بين الحقيقة والكذب. أتمنى فقط لو..."

حملت بريجيد وجه سبايد بين كفيها، وألصقت شفتيها بشفتيه في قسوة، وجسدها بجسده.

التفت ذراعي سبايد من حولها، تضمها إليه،
وتنضغط لحرركته عضلات ذراعه بارزة من قميصه
الأزرق، بينما مسدت يده شعرها، واختفت أصابعه على
طول خصلاتها الحمراء، وكانت أصابع يده الأخرى
تضغط قابضة على ظهرها الرشيق، واشتعلت الرغبة
في عينيه الرماديتين بلون أصفر زاهٍ.

الفصل العاشر

فندق بليفارد

استيقظ سبايد بينما انبلج الفجر حسيبًا من بين ظلمات الليلة السابقة. رقدت بريجيد أوشونسي بجانبه تغط في نوم عميق وتتنفس بوداعة. خرج سبايد من الغرفة بعد أن قام من على السرير بمنتهى الهدوء ذاته، الذي أغلق به الباب من خلفه. ارتدى ملابسه في الحمام، ثم فحص ملابس الفتاة النائمة وأخرج من جيب معطفها مفتاحًا نحاسيًا مسطحًا، ثم خرج من الشقة. وصل سبايد إلى بنايات الكورونت، وأدخل نفسه لشقة بريجيد مستخدمًا المفتاح. دخل سبايد إلى الشقة بطريقة سلسة ليس من شأنها أن تثير ريبة أي شخص قد يراه، دخل إليها مباشرة بكل جرأة، وخطأ بلا صوت تقريبًا قد ينتبه إليه أحد. أثار سبايد أضواء شقة الفتاة كاملة. وفتش المكان من أعلاه حتى أسفله، تحرّكت أصابعه التخينة تفتش كل إنش دون لحظة تردد أو تراجع، تستقصي، وتمحص، وتختبر كل ما تجده بعين خبير. فتش سبايد كل درج، خزانة، مكتب، صندوق، حقيبة أو حاوية - مغلقة بأقفال كانت أو مفتوحة - ولم يغفل حتى عن فحص محتويات كل ما سبق بعينه ولمساته. اختبر سبايد بيديه كل قطعة

ملابس بحثًا عن أي انتفاخات في جيوبها، وبأذانه ترقب صدور أي خشخشات لأوراق ربما اختفت بين طياتها. رفع عن السرير أغطيته وملاءاته، وبحث تحت السجاجيد وتحت كل قطعة أثاث. أنزل الستائر المطوية لأعلى ليتأكد أنه لم يتم إخفاء أي شيء بين ألواحها قبل رفعها. نظر من النافذة ليتأكد أنه لم يتم تعليق شيء بإطاراتها الخارجية ليتدلى بالخارج. فحص حاويات بودرة الماكياج والكريمات باستخدام شوكة، ورفع الزجاجات وحاويات العطر مقابل ضوء ساطع ليتأكد من خلوّها من أي شيء غير سائل. فحص الأطباق والطاسات والطعام ومعلباته. أفرغ محتويات صندوق القمامة على صفحات من الجرائد. فتح صندوق طرد المياه في الحمام، أفرغه من محتواه، ثم أعاد فحصه. تأكد من أن الماسورة المعدنية التي تحمل ستارة الحمام، خالية تمامًا ولا يحوي تجويفها أي شيء، فحص وعاء الغسل، المفصلة، وحوض الغسيل. لم يجد سبايد الطائر الأسود. لم يجد أي شيء يمكن ربطه بالطائر الأسود. كانت الورقة الوحيدة التي وجدها هي إيصال تأجير الشقة باسم بريجيد أوشونسي. كان الشيء الوحيد الذي أثار اهتمامه في كل ما وجد، وتأخرت عملية بحثه بينما جلس يطلعه، هو صندوق أنيق به ملء قبضتين من المجوهرات رقد

في سلام على طاولة تزيين غرفة النوم. حينما انتهى من كل شيء، صنع لنفسه كوبًا من القهوة، ثم فتح بعدها قفل نافذة المطبخ، وشوّهه قليلاً باستخدام سكين الجيب الذي يملكه، فتح النافذة.. التقط معطفه وقبعته، وخرج.. عبر مخرج طوارئ الحريق.. تمامًا كما دخل. توقف سبايد في طريق عودته للمنزل عند أحد المحال، واشترى من صاحبه السمين ذي العينين المنتفختين، برتقالًا وبيضًا، وزبدًا وقشدة.

دخل سبايد بهدوء إلى شقته، ولكن قبل أن يغلق الباب خلفه، صرخت بريجيد أوشونسي: "مَن هنا؟"
 "سبايد اللطيف أحضر إفطارًا."
 "لقد أخفتني."

كان باب غرفة النوم الذي أغلقه قبل أن يخرج مفتوحًا، وكانت الفتاة تجلس على طرف السرير، ترتعش، بينما يدها تختفي تحت وسادة. وضع سبايد حمولته على طاولة المطبخ ودخل إلى غرفة النوم، جلس إلى جوارها، وقبل كنفها الناعم، وقال: "أردت أن أتأكد إن كان الفتى ما يزال يراقبنا، وأحضرت بعض الأغراض للإفطار."

"هل ما يزال هناك؟"

“لا”

تنهدت ومالت مستندة إليه. “لقد استيقظت ولم أجدك وسمعت بعدها صوت أحدهم يدخل إلى المكان فارتعبت”.

أعاد سبايد خصلات شعرها الحمراء المتدلّية على وجهها إلى الخلف وقال: “أنا آسف يا ملاكي، لقد ظننتك ستظلين نائمة حتى أعود، هل ظل هذا المسدس تحت الوسادة طوال الليل؟”

“تعلم أنني لم أحتفظ به هنا، ولكنني هرعت لجلبه فور أن سمعت صوت الباب”.

جَهَّز سبايد بعض طعام للإفطار.. وأعاد مفتاح شقتها إلى جيب معطفها.. بينما كانت تستحم.

خرجت الفتاة من الحمام تغني لحن En Cuba وسألت: “هل عليّ إعادة ترتيب السرير؟”

“سيكون هذا رائع. ما يزال البيض بحاجة لدقيقتين لتمام طهوه على كل حال”.

كان الإفطار مَعْدًا على المائدة عندما عادت. جلس الاثنان يتناولان الإفطار في مشهد مماثل لوجبتهما السابقة في الليلة الماضية.

“والآن بخصوص الطائر؟” اقترح سبايد موضوعًا للحديث بينما يأكلان.

وضعت الفتاة شوكتها ونظرت إليه، انعقد حاجباها وزمّت شفّتها. "لا يمكنك سؤالني عن ذلك اليوم من بين كل الأيام. لا أريد الحديث عن هذا الأمر ولن أفعل".

"فتاة جريئة عنيدة"، قالها سبايد بحزن ووضع قطعة من البيض المطهي في فمه.

لم يظهر الفتى الذي كان يراقب سبايد في المشهد بينما كان سبايد وبريجيد أوشونسي يعبران الطريق ووقفا بعدها في انتظار سيارة أجرة. لم يتبعهما أحد عندما ركبا السيارة. حين وصلت السيارة إلى بناية الكورونت، لم يكن في انتظارهما أحدًا لا الفتى المراقب ولا أي متسكع آخر على مدد النظر.

لم تسمح بريجيد أوشونسي لسبايد بدخول المبنى. "يبدو الأمر سيئًا بما يكفي كوني أعود إلى منزلي في الصباح بفستان سهرة ناهيك عن اصطحاب أحدهم إلى بيتي. أتمنى ألا أقابل أحدًا في طريقي إلى الشقة.

"نتناول العشاء سوياً الليلة؟"

"نعم"

تبادلا قبلة، ذهبت بعدها الفتاة وقال سبايد موجهًا السائق: "فندق بليفيدير من فضلك".

عندما وصل سبايد إلى الفندق، وجد الفتى جالسًا في البهو على أريكة تسمح له بمراقبة المصاعد. كان الفتى يطالع جريدة ما. سأل سبايد عن كايرو في مكتب الاستقبال وعلم أنه ليس موجودًا، عبس وعض شفتيه السفلى، وظهرت لمعة صفراء لعينه الرمادية. "أشكرك"، قالها بلطف لموظف الاستقبال وعاد أدراجه.

تمشى سبايد بعادية حتى الأريكة التي كانت في مواجهة المصاعد، وجلس بجوار الفتى بمسافة لا تزيد عن قدم واحد، الفتى الذي كان جالسًا حينها يطالع جريدة ما. لم يرفع الفتى الشاب عيونه عن الجريدة، وبنظرة ألقاها سبايد من ذلك القرب، كان عمر الفتى لا يزيد بحال عن العشرين عامًا، كان ملامحه متضائلة كحجمه وهيئته، وبشرته ناعمة، وكان بياض خديه ناصعًا لا تعبت به محاولات لحية صغيرة تستعصي على النمو، ولا وهج دماء الشباب الذي لا بُدَّ يسري في عروقه. لم تبدُ ملبسه مسايرة لآخر الصيحات ولا حتى عادية، ولكنها بدت منتقاة بحس أنيق نظيف.

سأل سبايد: "أين هو؟"، قالها بطبيعية بينما كان يفرغ بعضًا من التبغ في ورقة، حملت مطوية لتلتقط دفقاته. أنزل الفتى جريدته ونظر حوله، ببطءٍ متعمدٍ، كأنما يدور برأسه باحثًا عن شيءٍ حوله، ثم نظر إلى

سبايد بعينيه الضيقتين اللتين لمعتا بلون العسل من تحت رموشه الطويلة. "ماذا تقول؟"

"أين هو؟"، كان سبايد مشغولاً ما يزال يلف سيجاره.

"من تقصد؟"

"الجني."

حدّق الفتى ذو العيون بلون العسل بربطة عنق سبايد ذات اللون الكستنائي، "ماذا تظن أنك تفعل يا هذا؟" سأل الفتى بنيرة أمرة، "هل تمزح معي؟"

"سأخبرك حين أفعل"، لعق سبايد سيجاره ونظر إلى الفتى بودّ، "من نيويورك، أليس كذلك؟"

ظلت أنظار الفتى محدّقة بربطة عنق سبايد لا تتزحزح. هزّ سبايد رأسه كما لو أن الفتى قد أجابه بالإيجاب، "هارب من حقى بومس (4)؟"

رفع الفتى عينيه عن ربطة عنق سبايد بعد لحظة، ثم عاد لقراءة جريدته. "اغرب عن وجهي"، قالها بزاوية فمه.

أشعل سبايد سيجارته، وارتاح على ظهر الأريكة، وتكلم بلا مبالاة بدت غير متقصدة: "ستحتاجون للحديث معي يا بني اللطيف.. بعضكم على الأقل سيحاول، ويمكنك أن تخبر G بما أخبرتك به لتوي."

أنزل الفتى جريدته سريعًا وواجه سبايد، محملاً مرة أخرى في ربطة عنقه بعينين عسليتين وأسعتين. كانت يدا الفتى الصغيرتان مفرودتين على بطنه. "ما تزال تطلب ما سيصيبك حتمًا"، "الكثير منه سيصيبك"، قالها الفتى بصوت خفيض، منذر. "أخبرتكم أن تغرب عن وجهي، اغرب عن هنا".

انتظر سبايد حتى مر رجل سمين بنظارة طبية مصطحبًا فتاة بسيقان رفيعة كانا يسيران بجوارهما، ثم ضحك وقال: "يمكن لحيلتك تلك أن تنطلي على الناس في سيفينث أفنيو، ولكنك لست في رومفيل الآن، أنت هنا في منطقتي". أخذ سبايد نفسًا عميقًا من سيجارته ثم أخرجه في شكل سحابة طويلة شاحبة. "حسنًا! أين هو؟"

ردّ الفتى بكلمتين، الكلمة الأولى نابية جاءت من أقصى مكان في حلقه والثانية أشار بها لسبايد. "قد يفقد أحدهم أسنانه مقابل شبة كهذه"، كان وجه سبايد متخشبًا وإن كانت نبرته ودودةً ما زالت. "إن أردت أن تبقى هنا فلتكن مهذبًا".

أعاد الفتى الكلمتين على مسامع سبايد.

ألقي سبايد بسيجارته في وعاءٍ حجريٍّ طويلٍ وُضِعَ كزينة بجوار الأريكة، وأشار بيده اليسرى لرجل كان

واقفًا منذ عدة دقائق بجوار منصة لبيع السجائر. هزَّ الرجل رأسه وسار نحو سبايد. كان الرجل متوسط الطول في منتصف العمر، سمينًا بوجه منتفخ، يرتدي زيًّا داكنًا.

“مرحبًا سام”، قال.

تصافح الاثنان، وقال لوك: “لقد أحزنتني ذلك الذي جرى لمايلز”.

“نعم! حظ سيء”.. هزَّ سبايد رأسه مشيرًا إلى الفتة الجالس بجواره على الأريكة. “لماذا تسمحون لهؤلاء المسلحين الأقدار بالجلوس هكذا في بهو الفندق؟ بينما أسلحتهم تكاد تخرق ملابسهم ظاهرة من تحتها؟”

فحص لوك الفتى بعينين خبيرتين بنية تتوسط وجهه القاسي، “ماذا تفعل هنا؟”

قام الفتى، وكذلك فعل سبايد. نظر الفتى إلى الرجلين أمامه، إلى ربطات عنقهما بالأحمر، كانت ربطة عنق لوك ذات لون أسود. بدا الفتى كتلميذٍ صغيرٍ بينما وقف بين الرجلين على طولهما وحجم كل منهما.

“حسنًا! إن لم يكن هناك داعٍ لجلوسك هنا، لترحل الآن ولا تغد”. قال لوك

“لن أنساكما يا رفاق”، قالها الفتى ورحل.

راقباه الرجلان بينما يرحل، ثم خلع سبايد قبعته

ومسح جبهته بمنديل.

قال المحقق الذي يعمل لحساب الفندق: "ماذا كان هذا؟"

"ليتني أعرف"، ردَّ سبايد، "لقد لمحته لتؤي، هل تعرف أيّ شيءٍ عن جويل كايرو الذي يشغل الغرفة 635؟"

"آه. ذلك الرجل" غمز المحقق لسبايد بعينه

"كم مرّة على إقامته ها هنا؟"

"أربعة أيام، واليوم هو الخامس."

"ماذا تعرف عنه؟"

"صدقني يا سام، لا أملك أيّ شيءٍ ضده سوى مظهره المريب هذا"

"تحري إن كان قد عاد للمبيت هنا الليلة الماضية؟"

"سأحاول"، وعد المحقق وذهب، بينما جلس سبايد في انتظاره حتى عاد، "لا لم يبيت في غرفته الليلة الماضية، ما خطبه؟" قال المحقق

"لا شيء"

"أخبرني صراحة بالأمر، تعلم أنني سأحفظ السر، ولكننا يجب أن نعلم إن كان هناك خطبٌ بشأنه حتى يمكننا تحصيل الفاتورة قبلها".

“لا يوجد ما يستدعي قلقك بشأن ذلك”.. أكد له سبايد.. “في الواقع، أنا أقوم بمساعدته في أداء بعض المهام، وبالتالي سأطلعك في حالة ما كان هناك أي أمرٍ سيءٍ بشأنه.”

“عليك أن تفعل ذلك في حينه. هل تريد مني إبقائه تحت نظري؟”

“أشكرك يا لوك. نعم افعل، لا يمكن للمرء أن يثق كثيرًا بمن يعمل لحسابهم هذه الأيام.”

كانت الساعة المعلقة فوق المصاعد تشير إلى الحادية عشرة وواحد وعشرين دقيقة عندما دخل جويل كايرو إلى الفندق. كانت جبهته مربوطة، وقد تهدل هندام ملابسه من أثر ارتدائه لها لساعاتٍ طويلةٍ متتالية. كان وجهه شاحبًا وجفونه وفمه يتدليان في تعب.

قابله سبايد عند مكتب الاستقبال، “صباح الخير.” قال سبايد.

رفع كايرو جسده وانتصبت قامته وانفردت خيوط جبهته التي تدلت في أثر إرهاقه. “صباح الخير”، قالها بدون حماس.

ثم تلت فترة صمت.

“دعنا نذهب إلى مكانٍ ما يمكننا التحدث فيه.” قال

سبايد

رفع كايرو ذقنه. "لتعذرني فضلًا، ولكن محادثتنا الأخيرة لم تكن مشجعة بالقدر الكافي لتترك لي أي رغبة في استكمالها، لتعذر صراحتي، ولكن هذه هي الحقيقة بعينها".

"تقصد محادثتنا في الليلة الماضية؟" قالها سبايد بهزة من رأسه ويده أنبأت عن قلة صبر. "ماذا كان عليّ أن أفعل؟ لقد اعتقدت أنك فهمت ما فعلته. إذا تعمدت أن تتشاجر معها أو تركتها تفتعل مشاجرة معك، فعلي أن أقف في صفها. لا أدري عن مكان الطائر اللعين، وأنت لا تدري أيضًا، بينما هي وحدها تعرف، كيف سيمكننا معرفة مكانه أو الحصول عليه إن لم أجارها؟" تردد كايرو، وقال بريية: "لديك دائمًا - وعليّ أن أعترف - تبرير لطيف متقن لكل أفعالك".

عبس سبايد. "ماذا تريد مني أن أفعل إذا؟ أتعلم كيف أتلعثم في الرد؟ يمكننا أن نتكلم هناك" قاده سبايد حتى الأريكة، وعندما جلسا سأل: "هل اصطحك داندي لمكتب التحقيقات؟"

"نعم.."

كم استغرق وقت التحقيق؟

"خرجت من هناك لتوى، وقد احتجزوني هناك رغمًا

عني بالتأكيد" تبدي الألم والسخط في صوت كايرو وعلى ملامحه. "سوف أرفع الأمر قطعًا إلى سفارتنا في اليونان، وسأبحث فيه مع محامٍ".

"افعل ذلك، ولنرى أي نتيجة قد تصل إليها، إلى أي درجة تخليت لهم عن معلومات؟"

لمعت ابتسامة رضا في وجه كايرو. "لم أخبرهم بأي شيء. لقد التزمت بمسار القصة التي اقترحت في منزلك مؤخرًا" ثم غابت ابتسامته. "غير أنني وددت بالطبع لو كنت قد ارتجلت قصة أكثر معقولة. لقد شعرت بسخافة متناهية بينما رددتها".

ضحك سبايد ساخرًا. "اتفهم. لكن سخافة القصة هو ما جعلها مناسبة تمامًا للتعامل مع الموقف. أنت واثق من أنك لم تخبرهم أي شيء؟"

"يمكنك الاعتماد على ذلك سيد سبايد. لم أفعل".

طرق سبايد بأصابعه على مسند المقعد الجلدي الذي يفصل بينهما، "ستسمع من داندي مجددًا، تمسك بموقفك تجاه الأمر وستكون بخير، ولا تقلق بشأن سخافة القصة، أيُّ تفسيرٍ معقول لما حدث ذلك اليوم كان ليضعنا جميعًا وراء القضبان"، وقف سبايد بعدها، "ستحتاج لقسط لطيف من النوم طالما قد قضيت ليلتك في مواجهة عاصفة مع الشرطة. أراك فيما بعد".

كانت إيفي برين تتحدث عبر الهاتف قائلة: "لا، ليس بعد"، بينما دخل سبايد إلى مكتبه. نظرت إيفي إليه وتمتمت بفمها كلمة صدرت بلا صوت "إيفا". هزّ سبايد رأسه.

"نعم، سأجعله يتصل بك فور وصوله"، أغلقت بعدها الخط ووضعت السماعة. "هذه المرة الثالثة التي تتصل فيها منذ الصباح" قالت إيفي برين موجهة حديثها لسبايد.

أصدر سبايد زمجرة غاضبة ملولة.

أشارت الفتاة بعينيها البنيتين نحو المكتب. "آنستك العزيزة أوشونسي تنتظرك بالداخل منذ ما بعد التاسعة بدقائق معدودة".

أوماً سبايد رأسه كما لو أنه توقع الأمر، "وماذا غير ذلك؟"

"اتصل المحقق بولهاوس، ولم يترك أي رسالة"

"اطلبيه"

"اتصل بك G"

لمعت عينا سبايد، "من اتصل؟"

"G، هكذا عرّف نفسه"، قالتها الفتاة دون أي اختلاف

أو اهتمام في نبرتها، "عندما أخبرته بأنك غير موجود، قال لي " هلا أخبرتيه فضلًا أن G قد استلم رسالته واتصل به وسوف يعاود الاتصال؟"

تحركت شفتا سبايد كأنها تعلق طعامًا محببًا، "أشكرك يا عزيزتي، هلا حاولتِ الاتصال بتوم بولهاوس؟" دخل سبايد إلى غرفة مكتبه وأغلق الباب من خلفه. وقفت بريجيد أوشونسي فور أن رأته وهرعت إليه، كانت ترتدي ذات الملابس التي ارتدتها يوم تقابلا في المكتب للمرة الأولى. "لقد دخل أحدهم إلى شقتي في غيابي"، شرحت له، "لقد قلبوها رأسًا على عقب، بكل طريقة ممكنة".

أظهر سبايد دهشة معتدلة. "هل أخذوا أي شيء؟" "لا أعتقد. لا أعرف. لقد خشيت البقاء هناك وحدي، بدلت ملابسني بأسرع ما أمكنني ثم غادرت. لا بُدَّ أنك تركت ذلك الفتى يتبعك إلى هناك!"

هزَّ سبايد رأسه، "لا يا ملاكي"، أخرج سبايد من جيبه نسخةً من جريدة اليوم، فتحها، ولفت نظرها إلى عامود صغير كان معنونًا "صرخة تهزم لص".

استيقظت سيدة شابة تدعى كارولين بيلى على أصوات لأشخاص يتحركون في غرفة نومها، كانت السيدة تعيش وحيدة في شارع ساتر. صرخت السيدة،

فهرب اللص.

اكتشفت سيدتان تقطنان في نفس البناية، فيما بعد بعض آثارٍ دلّت على زيارة لص دخيل إلى شقة كل منهما، غير أن السيدات لم يفقدن أيًا من ممتلكات منازلهن.

“لقد ضللته إلى هناك”، شرح سبايد، “لقد دخلت إلى ذلك المبنى، ثم رحلت منه عبر الباب الخلفي، لقد كان يبحث عن شقتك؛ لذلك كانت النساء المعتدى على منازلهن يعشن بمفردهن، لقد حاول تخمين مكانك عبر اختياره لأسماء السيدات من دليل السكان على الباب.”
 “ولكنه كان يراقب منزلك عندما وصلنا إلى هناك”، اعترضت بريجيد.

استنكر سبايد، “ليس لدينا داعٍ للاعتقاد بأنه يعمل وحده، أو ربما قد ذهب لاستطلاع الشقق في شارع ساتر بعدما ظن أنك ستبيتين الليلة في منزلي، هناك احتمالات عديدة في العموم، ليس من بينها أنني قد قدته إلى كورونت.”

لم ترتج الفتاة لتفسيره هذا. “ولكنه وصل إلى المكان، أو وصل أحد ما إليه.”

“بالطبع”، عبس سبايد ناظرًا إلى الأسفل، “أتساءل إن كان كايرو هو من فعل ذلك. لم يبيت في فندقه ليلة

أمس، ولم يصل إلى هناك حتى دقائق قليلة مضت. قال لي إنه قد قضى الليلة في مكتب التحقيقات. أتساءل إن كان صادقًا". ثم التف سبايد وفتح الباب وسأل إيفي برين: "هل أمكنك الوصول لتوم بعد؟"

"لم أجده. سأعود الاتصال به خلال دقائق".

"أشكرك"، أغلق سبايد الباب وعاد لمواجهة بريجيد أوشونسي.

نظرت إليه بعينين غائمتين: "هل ذهبت لملاقة جو هذا الصباح؟" سألت.

"نعم" ..

"لماذا؟" ترددت قبل أن تسأله.

"لماذا؟"، ابتسم ناظرًا إليها. "لسبب وجيه يا حبي الغالي، ذلك أنني عليّ أن أبقى على اتصال بكافة أطراف هذا الأمر المحير المعقد إن كنت أنوي الوصول إلى شيء من ورائه." وضع بعدها ذراعه حول كتفها ثم قادها حتى كرسيه. جلس سبايد على طرف المكتب في مقابلها. "أظن أن علينا أن نبحث لك عن مكان تعيشين فيه، أليس كذلك؟"

أومأت بحماس: "نعم. لن أعود إلى هناك".

رَبَّت سبايد على المكتب بجزاره بيضع طرقات وابتسم لها بحفاوة.

“أعتقد أنني أعلم المكان المناسب. انتظريني لحظة”، قالها وخرج وأغلق الباب من خلفه. رفعت إيفي برين السماعة وقالت: “سأحاول مجددًا”.

“فيما بعد. أما تزال حاستك الأنثوية تخبرك أن الفتاة قديسة أو ما شابه؟” نظرت إليه إيفي برين متمعنة في وجهه.

“ما أزال أظن أنه مهما كانت المشاكل التي قد أوقعت نفسها فيها، فهي ما تزال فتاة طيبة. إن كان هذا ما تقصده.”

“هذا هو ما أقصده، أتظنين أن لديك القوة لتساعديها قليلاً ربما؟”

“وكيف أفعل؟”

“هل يمكنك تحمّلها لبضعة أيام؟”

“تقصد استضافتها في المنزل؟”

“نعم. لقد اقترح أحدهم المكان حيث تسكن، وتلك كانت ثاني محاولة للاقتحام تتعرض لها خلال أسبوع. أظنه من الأفضل ألا تبقى في أيّ مكانٍ بمفردها، يمكنك المساعدة إن وافقتِ على استضافتها”.

مالت إيفي برين تسأل باهتمام:

“هل هي حقًا في خطرٍ يا سام؟”

“أظن ذلك. نعم.”

“سيخيف ذلك أُمي إلى أبعد حدٍّ. أظن أنني عليّ أن أبلغها أنها شاهدة في قضية ما، وتحتمي بمنزلنا متخفية حتى لحظة ظهورها في المحكمة مثلاً.”

“أنتِ فعلاً ملاك، من الأفضل أن تصحبها الآن. سأخذ منها مفتاح شقتها وأحضر لها بنفسني من هناك كل ما قد تحتاجه. يجب ألا يراكما أحدٌ تغادران سوياً. اذهبي إلى المنزل الآن. استقلي سيارة أجرة. ولكن تأكدي أنه ليس هناك من يتبعك. في الغالب لن يتبعك أحدٌ، ولكن خذي حذرك في العموم. سأرسلها في سيارة أخرى إلى منزلك، حينما أتأكد أنه لا يتبعها أحدٌ.

(4) يقصد سبايد التلميح بأن الفتى ربما يكون هارباً من "حمى بومس"، وهو قانون أُصدر عام 1962 في نيويورك، يقضي بالسجن المؤبد التلقائي لأي مجرم يتم إدانته بأكثر من ثلاث جنایات منفصلة.

الفصل الحادي عشر

الرجل السمين

كانت الهاتف يرن في المكتب، عندما عاد سبايد بعد أن أرسل بريجيد أوشونسي إلى منزل إيفي برين في سيارة أجرة. رفع سبايد الهاتف، "مرحبًا.. نعم، أنا هو سبايد.. تسلمت الرسالة. لقد كنت أنتظر أن تحدثني.. من؟.. السيد جوتمان؟ آه. نعم. بالطبع.. الآن.. كلما كان الميعاد أقرب كان ذلك أفضل.. الثاني عشر سي.. حسنًا.. لنقل خمس عشرة دقيقة. نعم".

جلس سبايد على طرف مكتبه بجانب الهاتف ولف سيجارة. كان يبتسم راضيًا عن نفسه بينما يراقب بعين غير منتبهة أصابعه التي قد بدأت في لف السيجارة. انفتح الباب ودخلت إيفا آرتشر.

قال سبايد: "مرحبًا عزيزتي"، بصوت حاول الحفاظ على ملمحه الودّي الذي تلبّسه وجهه أيضًا بعد المفاجأة.

"آه. سامحني يا سام. سامحني!" بكت إيفا بصوتٍ مختنق. كانت تقف بالباب ما تزال، بينما حملت يداها القابعتان في قفاها منديلًا ذا لون أسود، واستمرت تحدّق إليه بعينين خائفتين متورمتين ومحمّرتين.

لم يَقم سبايد من حيث جلس على المكتب. قال:

“بالطبع. لا بأس. انسي الأمر.”

ولكنها استمرت في نحيبها.

“ولكنني قد أرسلت إليك هذين الشرطيين يا سام. لقد كنت غاضبة، أكاد أجن من الغيرة، ولقد أخبرتهم عبر الهاتف أنهم لا بُدَّ سيعلمون شيئًا عن مقتل مايلز إن قاموا بزيارتك.”

“وما الذي جعلك تفكرين في هذا؟”

“آه. لم أفكر في أي من هذا، ولكنني كنت غاضبة يا سام، ولقد أردت إيذاءك.”

“لقد جعل ذلك الأمور في غاية التعقيد”، وضع سبايد ذراعه حولها وقربها منه، “ولكن الأمور أفضل الآن، فقط حاولي ألا تفقدي عقلك مرة أخرى.”

“لن أفعل”، وعدت، “أبدًا. ولكنك لم تكن لطيفًا معي بالأمس. كنت باردًا وبعيدًا، وأردت التخلص مني، بينما كنت قد جئت لمنزلك وانتظرتك لمدة طويلة فقط لتحذيرك، ولكنك...”

“تحذّريني من ماذا تحديدًا؟”

“من “فيل”. لقد علم عن.. عن مشاعرك نحوي، وكان مايلز قد أخبره بأنني قد سألته أن يطلقني، غير أن مايلز بالطبع لم يعلم أبدًا السبب وراء طلبي، والآن “فيل” يظن أننا.. أنك قد قتلت أخاه لأنه لم يوافق

على تطليقي لنتزوج. قال لي إن تلك النتيجة التي قد توصل إليها، ولقد ذهب بالأمس إلى الشرطة وأخبرهم بهذا كله".

"جميل" قال سبايد برقة. "ولقد أتيت لتحذيري، ولأنني كنت مشغولاً بأمرٍ ما، كانت خطوتك الأولى هي أن تطلبي الشرطة وتساعدتهم على تصديق نظرية فيل آرتشر اللعين لتتصعد الأمور أكثر".

"أنا آسفة"، تمت، "أعلم أنك لن تسامحني. أنا.. أنا آسفة، آسفة، آسفة".

"عليك أن تكوني كذلك، عليك أن تأسفي لحالك كما لحالي. هل حاول داندي أو أي شخص آخر من الشرطة مقابلتك منذ زيارة فيل لهم؟"

"لا"، تنبعت فجأة لمقصده واتسعت عيناها وتدلّى فمها.

"سوف يفعلون عما قريب، وسيكون من الأفضل ألا يجدوك هنا في أي وقت، هل أخبرتهم عن شخصيتك عبر الهاتف حين حدثتهم؟"

"لا! لقد أخبرتهم فقط أنهم إن حاولوا زيارة شقتك في هذه الساعة، سيتوصلون إلى بعض المعلومات عن جريمة القتل، ثم وضعت السماعة".

"من أين اتصلت؟"

“من الصيدلية التي تقع في بنايتك، سام العزيز أنا...”

رَبَّتْ سايد على كتفها برضا، “لا بأس، لقد كانت حيلة غبية، ولكن كل شيء انتهى الآن. يستحسن أن تعودى للمنزل وتفكري فيما ستخبرينهم به إن حاولوا الاتصال بك. سيحاولون قطعًا التواصل معك. ربما يمكنك الرد بـ “لا” قاطعة على كل ما يحاولون اتهامك به”. ركز سام بصره عابثًا على نقطة ما وراء إيفا مفكرًا. “أو ربما عليك مقابلة سيد وايز أولًا”، أزاح سبايد ذراعه عنها، وأخرج من جيبه بطاقة، وكتب شيئًا ذا ثلاثة سطور على ظهرها وأعطائها إياها. “يمكنك إخبار سيد بكل شيء”. عبس سبايد مجددًا. “أو ربما كل شيء تقريبًا، أين كنت ليلة مقتل مايلز؟”

“في البيت”، قالتها بلا تردد.

هزَّ سبايد رأسه مبتسمًا إليها.

“كنت هناك حقًا”.. أصرت.

“ليس صحيحًا، ولكن إن كانت تلك قصتك فلا بأس. اذهبي لمقابلة سيد، إنه في نهاية الشارع، المبنى ذو اللون المائل للوردي، غرفة 8-20-7”

حاولت عيناها الزرقاوان اختراق ما وراء عينيه الرماديتين.

“ما الذي يجعلك تظن أنني لم أكن بالمنزل ليلتها؟”
سألت بهدوء.

“لا شيء تحديداً. أنا فقط أعرف ذلك.”

“ولكنني كنت هناك، كنت هناك”.. لوت شفتيها
وصارت ظلال عينيها داكنتين. “إيفي برين هي من
قالت لك أنني لم أكن بالمنزل”، تنهدت ساخطة، “لقد
رأيتها تتفحص ملابسي وتنظر حولها في ريبة. أنت
تعلم أنها لا تحبني يا سام، فلم تصدقها بينما تعلم أنها
قد تقول أي شيء لتوقعني فقط في المشاكل؟”

“يا للنساء!” قال سبايد بنبرة محايدة. نظر بعدها إلى
ساعة معصمه. “عليك أن تذهبي يا غاليتي. لقد تأخرت
على مواعيدي الآن. يمكنك أن تقرري ما تشاءين، ولكن
إن كنت مكانك، فسأخبر سيد بالحقيقة ولا شيء
غيرها، أقصد أنك يمكنك تجاهل بعض الأشياء التي
ترغبين في إخفائها، لكن لا تختلقين أشياء أخرى غير
حقيقية لاستبدالها بينما تحكين.”

“أنا لا أكذب عليك يا سام” اعترضت إيفا.

“بل تفعلين بمنتهى المهارة” قال سبايد وقام واقفاً.
وقفت إيفا على أطراف أصابعها لتتمكن من لصق
وجهها بوجهه. “أنت لا تصدقني؟” همست
“أنا لا أصدقك.”

“ولن تسامحنى على.. على ما فعلت؟”
 “بل أسامحك بالطبع”، مال برأسه وقبّلها. “كل شيء
 على ما يرام الآن، يمكنك أن تذهبي”.
 وضعت ذراعها حوله.

“ألن تأتي معي لمقابلة السيد وايز؟”
 “لا أستطيع. لدي ميعاد”، ربّت على ذراعيها ثم فك
 أسره من بينها، وقبّل معصمها ما بين القفاز ونهاية كم
 الفستان. أمسك سبايد بأكتافها ووجهها برقة في
 مواجهة الباب، ثم أفلتها تجاهه. “اذهبي. هيّا” أمرها
 بلطف.

انفتح باب جناح C-12 في فندق الأكساندريا، وأطل
 من خلفه الفتى الشاب الذي تبادل سبايد معه الحديث
 القصير في بهو فندق بليفارد. قال سبايد بلطف:
 “مرحبًا”. لم يرد الفتى بحرف، واكتفى بوقوفه مفسحًا
 الطريق لسبايد، الذي دخل إلى الجناح. خرج شخص
 سمين من إحدى غرف الجناح لمقابلة سبايد.

كان رجلًا رخو البنية، متهدلاً، منتفخ الوجنتين
 والشفتين والذقن والرقبة، وله معدة منتفخة احتلت
 معظم بنيته، وبدت ذراعه وساقاه كأقماع تتدلى على
 جانبي جسده المنتفخ كبالون. بينما تقدم الرجل

لملاقاة سبايد كانت كل تفصيلة وترهل من جسده يسير ويهتز بشكل منفصل، وبدا كفقاعة صابون قد انحسرت في طرف ماسورة، بعدما أجهد الشخص على طرفها الآخر في نفخها لتتحرر. كانت عيون صغيرة داكنة وماكرة، بهالات منتفخة من حولها، وانتشرت خصلات رفيعة من شعره فوق صلعته. كان يرتدي معطفًا أسود، وصديرية بذات اللون، وكذلك كانت ربطة عنقه التي لمعت على قماشها الساتان لؤلؤة وردية. ارتدى الرجل بنطالاً رماديًا مخططًا، وحذاء جلدًا.

كان صوته يخرج عميقًا من حنجرتة. "أهلاً سيد سبايد"، قال بحماس، ومدّ يده الوردية الضخمة.

صافحه سبايد وابتسم قائلاً: "كيف حالك سيد جوتمان؟"

التف الرجل بينما يمسك يد سبايد ووقف إلى جواره وشد بيده الأخرى على مرفق سبايد، ثم خطا الرجلان فوق سجادة خضراء، قاد جوتمان سبايد بعدها إلى كرسي أخضر رقد بجوار طاولة حملت صينية، رص عليها بعض الأكواب، وزجاجة من نبيذ جوني ووكر، صندوق سيجار ماركة كوروناز ديل ريتز- جريدتان، وصندوق أصفر الحجر الأملس. جلس سبايد في المقعد الأخضر، ثم بدأ الرجل في صب النبيذ والثلج إلى

الأكواب. اختفى الفتى الشاب عن الأنظار. كانت الغرفة الثلاث في الجناح موصدة الأبواب، وقد طلّت النافذة في الحائط من وراء سبايد على شارع جيري.

“لنبدأ جلستنا بوافق يا سيد سبايد”، قال الرجل وهو يمد يده لسبايد بكأس النبيذ، “إنني أفقد ثقتي بالرجل الذي يرفض احتساء النبيذ بينما يتكلم، خوفًا من أن يفرط بالحديث لتأثير النبيذ فيه”.

التقط سبايد الكأس، مبتسمًا، وانحنى للرجل السمين.

رفع الرجل السمين كأسه عاليًا في مواجهة سبايد والضوء الساقط إلى الغرفة من النافذة خلفه. ثم أومأ ناظرًا إلى كأسه الذي علت سطحه فقاعات رغوة النبيذ، “لنشرب احتفاءً بالتفاهم وبالصراحة”.

شرب الرجلين وأخفضا كأسيهما.

نظر الرجل السمين إلى سبايد متفحصًا: “هل أنت رجل كتوم؟”

“أنا أقدر المناقشات الصريحة”.

“أفضل وأفضل”، أضاف الرجل، “إنني لا أثق بالشخص الكتوم. ذلك أنه يختار الوقت غير المناسب للحديث ثم يبدأ في اختيار أسوأ الأشياء للحكي عنها. لا يمكن للمرء التحدث بحكمة إلا إذا كان من طبعه

تجنب الكتمان". حدق الرجل في كأسه، "يبدو لي أننا سنتفق يا سيدي، يبدو ذلك"، وضع بعدها كأسه على الطاولة والتقط صندوق كوروناز ديل ريتز ومدّه باتجاه سبايد. "تفضّل سيجار يا سيدي." التقط سبايد سيجارًا، قصّ طرفه، ثم أشعله. جذب الرجل مقعدًا آخر بات اللون الأخضر ووضعه في مواجهة سبايد على مسافة معقولة، ثم وضع حامل السجائر في المنتصف بمتناول كل منهما. رقع الرجل السمين كأسه، والتقط سيجارًا من الصندوق ثم غطس عميقًا في مقعده. توقفت ترهلاته عن الاهتزاز واستقرت عندما توقف عن الحركة مرتاحًا على المقعد. تنهّد في راحة وقال: "والآن يا سيدي، سأتحدث إليك وأخبرك أنني رجل يكره الكتمان ويحب هؤلاء الذين يكرهون الكتمان."

- "عظيم. هل سنتحدث عن الطائر الأسود؟"

ضحك الرجل السمين واهتزت ترهلاته تتطاوع حركته بينما يضحك.

"هل سنتحدث؟ بالطبع سنفعل"، كان وجهه الوردي يسطع بالسعادة. "أنت الرجل المناسب للتفاوض معي يا سيدي، رجل يقطع كل طريق للمراوغة، لا تفضل الاختباء وإنما تهرع إلى قلب الموضوع مباشرة." هل سنتحدث عن الطائر الأسود؟" بالطبع سنفعل. يروقني

طبعك هذا، وأسلوبك في العمل، دعنا نتكلم عن الطائر الأسود بالطبع، ولكن، أولاً، هلا أجبت عن سؤالي، حتى وإن ظننته غير ذي أهمية أو ضرورة، ذلك ليتمكننا أن نكون على أرضية تفاهم مشتركة، هل أنت هنا بصفتك ممثلاً عن السيدة أوشونسي؟”

نفث سبايد دخان سيجارته وأطلقه فوق رأس الرجل السمين في سحابة طويلة. وعبس مفكراً بينما تراكم الرماد على طرف سيجارته، ثم أجاب: “لا يمكنني الإجابة بنعم أو لا قاطعة عن هذا سؤال، لست متأكدًا من موقفي بشكلٍ مُحدّدٍ، ولكن...” نظر سبايد إلى الرجل وغاب عبوسه، “يستند موقفي من الموضوع على بعض الأمور العالقة.”

“أي أمور؟”

“لو كنت أدري مال الأمور العالقة لاستطعت أن أجزم بموقفي كممثل لأوشونسي.”

مأ الرجل السمين فمه بدفعة من النبيذ، بلعها، واقترح:

“كأمر السيد جويل كايرو مثلاً؟”

كانت كلمة “ربما” التي ردّ بها سبايد قد نطقت بغير يقين. شرب سبايد بعدها رشفة أخرى من كأسه.

مال الرجل السمين إلى الأمام حتى منعتة معدته

المنتفخة من الميل لمسافة أطول. كانت ابتسامته راضية وكذلك كان صوته الذي بدا كخرخرة.

"أنت تقصد إذًا، أنني عليّ إعادة صياغة السؤال بحيث يكون "أي منهما تمثل في هذه الصفة؟"
"نعم. يمكننا أن نقول هذا".

"وهل ستكون ممثلًا لأحدهم دون الآخر؟"
"لم أقل ذلك".

لمعت عينا الرجل وقال بهمس:

"هل هناك أطراف أخرى؟"

أشار سبايد بسيجاره إلى صدره: "أنا"

ارتج الرجل السمين في مقعده وأطلق ضحكة طويلة، "هذا أمرٌ عظيمٌ يا سيدي، عظيم. أحب الرجل الذي يخبر صراحة عن نواياه في الاهتمام بمصلحته الخاصة، ولا أثق في هؤلاء الذين يدعون عكس ذلك، وحتى هؤلاء الذين يقولون ذلك عن غير ادعاء، الذين لا يراعون مصالحهم الخاصة، لا أثق فيهم من الأصل، لأنهم أغبياء والغبي هو من يعارض فطرة الطبيعة".

نفت سبايد دخانه، وبدا على ملامحه الانتباه.

"أينعم. الآن دعنا نتكلم عن الطائر الأسود".

ابتسم الرجل السمين بنية حسنة وقال: "لنتكلم".

ضيق الرجل عينيه في اهتمام حتى إن الانتفاخات التي حاوطت عينيه أخفتها تمامًا إلا من لمعة ظهرت من بينها.

“سيد سبايد، هل لديك أي فكرة عن قدر المال الذي يمكننا الحصول عليه من وراء الطائر الأسود؟”
“لا”

مال الرجل نحو سبايد مجددًا، واستند بذراعه الوردية المنتفخة على مقعد سبايد. “حسنًا! لو أخبرتك بقدر المال، لا لو أخبرتك حتى عن نصف قدر المال الذي يمكننا جنيته، ستنتعني بالكذب.”

ابتسم سبايد. “لا. ليس إن فكرت في المبلغ جيدًا، على كل حال، إن خفت المخاطرة، أخبرني بالأمر كاملاً لأتولاه وأحسب أرباحي.”

ضحك الرجل السمين. “لا يمكن أن تتولى هذا الأمر يا سيدي، لا يمكن لأحد تولي الأمر إلا إن كان يملك كل الخبرة الموجودة في العالم عن هذه الأمور، و..” صمت الرجل برهة ثم أضاف: “وها أمر لا يمكنك أن تحوز فيه مثل هذه الخبرة”، ارتعشت تهدلاته مجددًا بينما ضحك. فجأة، توقف الرجل عن الضحك، وظلت شفثاه مفتوحتين على وضعهما الضاحك رغم هذا، ثم نظر إلى سبايد محدقًا بطريقة بدا بها أن الرجل ربما يعاني من

قَصَرَ النظر. "أظن أنك لا تعرف ما هو الذي نتحدث بشأنه؟"

لَوْح سبايد بسيجاره في غير اهتمام، "أنا أعرف كيف من المفترض أن يبدو شكله. أعلم أهميته لديكم جميعًا، ولكني لا أدري ماهية الطائر الأسود حقًا." "لم تخبرك؟"

"الآنسة أوشونسي؟"

"نعم. فتاة لطيفة هي يا سيدي."

"لا لم تخبرني."

كانت عينا الرجل السمين تلمعان ما وراء انتفاخات عينيه الورديتين، وقال بغموض: "لا بُدَّ أنها تعرف. ولم يخبرك كايرو أيضًا؟"

"كايرو رجل كتوم. إنه على استعداد لشراؤه، لكنه لن يغامر بإخباري شيئًا لا أعرفه بالفعل."

بلَّل الرجل السمين شفثيه بلسانه. "كم المبلغ الذي يعرضه لشراؤه؟"

"عشرة آلاف من الدولارات."

انفجر الرجل من الضحك. "عشرة آلاف من الدولارات.. دولارات وليس جنيهات، هذا هو ما يعرضه اليوناني!! وبماذا رددت على عرضه؟"

“قلت إنني سأتسلم منه العشرة آلاف من الدولارات كاملة إن استطعت تسليمه الطائر.”

“آه. نعم، إن استطعت! هذا اتفاق جيد يا سيدي.”
 غرقت جبهة الرجل بين انتفاخات وجهه العابسة. “لا بُدَّ أنهم يعرفون”، ثم أضاف بصوت عالٍ، “ولكن هل يعرفون حقًا؟ هل يعرفون ماهية الطائر؟ ماذا كان انطباعك؟”

“لا يمكنني مساعدتك في معرفة هذا”، اعترف سبايد، “ليس لديّ دليلٌ لاستنباط هذا الأمر، لم يقل كايرو إن كان يعرف ما هو الطائر ولم يَقُل إنه لا يعرف. أما هي فقد أخبرتني أنها لا تعرف، ولكنني لم أصدق تصريحها هذا قول واحد.”

“لم يكن من الحكمة أن تكذب”، قال الرجل السمين بينما كان من الواضح أن عقله يسير في اتجاه آخر، حكَّ بعدها جبهته، وعقد جبهته وعبس حتى انطبعت عليها خطوط حمراء بيّنة. تلملم في مقعده بقدر ما استطاع بجسده السمين وبقدر ما احتلم المقعد من حركته. أغلق عينيه، ثم فتحهما فجأة.. على وسعها.. وقال لسبايد: “ربما لا يعرف أي منهم”، ارتاح وجهه الوردي الضخم أخيرًا من عبوسه، ثم تحوّلت ملامحه فجأة إلى ارتياح وسعادة. “إن لم يكن أي منهم يعرف

حقيقة الطائر، فأكون أنا، الشخص الوحيد في الكون
الواسع السعيد الذي لديه فكرة عن ذلك الأمر".

ابتسم سبايد، "أنا سعيد لأنني قد وصلت أخيرًا
للمكان المناسب".

ابتسم الرجل السمين أيضًا وإنما بغموض. رحلت
السعادة الغامرة عن وجهه، غير أنه قد ظلّ مبتسمًا،
وقد لاح الحذر في عينيه. كان يرتدي ابتسامته كقناعٍ
يخفي خلفه أفكاره عن سبايد الجالس في مواجهته.
حاول الرجل تجنّب عيني سبايد، فنقل نظره إلى كأس
سبايد الراقد عند مرفقه، "يا إلهي، سيدي إن كأسك
فارغ". قام إلى الطاولة وحضر كأسين من الشراب. ظل
سبايد ثابتًا في مقعده، حتى اقترب منه الرجل السمين
بكأس وانحناءة تقدير ومزحة لطيفة، "هذا علاج لا
يخيب أو يضر يا سيدي"، سلّمه بعدها كأسه ملآن. قام
سبايد عندها ووقف بجوار الرجل ونظر إليه من علّ
بعينين قاسيتين تلمعان. رفع كأسه، وقال بصوت واثق،
متحدّ: "لنشرب احتفاءً بالتفاهم وبالصرامة".

ضحك الرجل وشربا الاثنان كأسيهما بعدها. جلس
الرجل السمين، وأسند كأسه على معدته بيديه وابتسم
لسبايد. "حسنًا يا سيدي، قد تكون مفاجأة بالفعل،
ولكنني لا أظن أن أيًا منهم يعرف حقيقة أمر الطير،

مخلفين الشخص الوحيد في عالمنا السعيد الواسع الذي يعرف ذلك حقًا، وهو خادمك المخلص كاسبر جوتمان".

"عظيم"، وقف سبايد مباعداً ما بين ساقيه، يد في جيبه ويد تحمل كأسه. "عندما تخبرني، سيكون هناك اثنان يعرفان هذه الحقيقة".

"حساباتك صحيحة يا سيدي"، ارتعشت عينا الرجل السمين.. "ولكن.. اتسعت ابتسامته.. "لست متأكدًا من نيتي في إخبارك بعد"

"لا تكن أحمق"، قال سبايد بصبر، "أنت تعرف ماذا يكون، وأنا أعرف أين يكون، ولهذا السبب نحن هنا"

"حسنًا يا سيدي وأين هو إذًا؟"

تجاهل سبايد السؤال.

عض الرجل شفثيه، ورفع حاجبيه، ومال برأسه قليلاً نحو اليسار، وقال بلطف: "أتري، عليّ أنا أن أخبرك بما أعرف بينما لن تقوم أنت بإخباري بما تعرف، هذه ليست طريقة منصفة للتعامل مع الأمور."

صار وجه سبايد شاحبًا وقاسيًا، قال بعدها بسرعة بصوت خفيض غاضب: "فكر مجددًا وفكر سريعًا. لقد أخبرت الأحمق الذي أرسلت أنك عليك التحدث معي قبل أن تنهار الأمور من بين يديك، وسأخبرك الآن بأنك

عليك أن تتحدث في هذا الأمر اليوم إليّ وإلا ستنتهار الأمور حقًا من بين يديك، لماذا تضيع وقتي؟ أنت وسرك التافه! يا إلهي! أعلم تمامًا ما الذي يخبئه هؤلاء القوم في خزاناتهم، ولكن بم يفيدني ذلك؟ لقد جئت للتفاهم معك. اللعنة عليك! ربما كان يمكنك التعامل مع الأمر إن استطعت التخلص مني. الآن أنت لا تستطيع. ليس في سان فرانسيسكو. ستخبرني وإلا ينتهي الأمر، وستخبرني الليلة."

التف سبايد غاضبًا ورمى بكأسه على الطاولة، ارتطم زجاج الكأس بخشبها، وتكسر، فاندلقت محتوياته على الطاولة وتحتها على الأرض. عاد سبايد أدراجه لمواجهة الرجل جاهلاً بالحادثة التي جرت لكأسه ومتجاهلاً مصيره.

لم يهتم الرجل السمين بمصير الكأس أكثر مما فعل سبايد، عض على شفتيه وارتفع حاجباه، وعاد رأسه يميل لليسر، وقد حافظ على سكون وجهه المنتفخ الوردي طوال فترة خطبة سبايد الأخيرة.

"آه، وهناك أمر آخر، لا أريد..." قال سبايد بينما لم تفارقه نوبة غضبه بعد. قاطعه دخول الفتى الذي فتح له باب الجناح من الباب الذي تركه سبايد مفتوحًا. ظل الفتى واقفًا يحدق في صدر سبايد، بينما استندت يداه

إلى جانبيه. كانت عينا الفتى مشرعتين، مظلمتين، تفحصان سبايد من رأسه حتى أخمص قدميه، ثم صعدت عيناه حتى انتهت لطرف المنديل الذي برز من معطف سبايد النبي.

“أبق هذا الملعون بعيدًا عني حتى تنتهي من التفكير. سأقتله. أنا أكرهه. إنه يثير أعصابي. سأقتله في المرة التالية التي يعترض فيها طريقي. لن أمنحه حتى نصف الفرصة. لن أمهله. سأقتله.”

ارتعشت شفتا الفتى بضحكة مريبة، ولم يرفع عينيه أو يرد.

قال الرجل السمين بتأنٍ: “حسنًا يا سيدي، عليّ أن أعترف أن تملك مزاجًا حادًا للغاية.”

“مزاج؟” ضحك سبايد بجنون. عبر حتى المقعد الذي كان قد ألقى عليه قبعته، ثم وضعها على رأسه، وأشار بذراعه الطويلة وإصبعه الثخين في آخرها إلى معدة الرجل السمين. تردّد صدى غضبه بين جنبات الغرفة. “فكّر جيدًا، وقرّر. لديك حتى الخامسة والنصف لتخبرني بالأمر، بعدها تصبح طرفًا باللعبة أو خارجها. ثم أنزل ذراعه، وحدّق في الرجل السمين للحظة، ثم إلى الفتى، ثم توجه إلى الباب الذي دخل منه. عندما فتح الباب التقت بقسوة وقال: “الخامسة

والنصف، ثم يسدل الستار.”

أما الفتى الذي بقى محققًا بسبايد، فقد أعاد على مسامعه ذات الكلمتين التي ردّ بهما عليه حين قابله في بهو الفندق. كان صوته خفيصًا، ومريزًا. خرج سبايد وأغلق الباب بشدة خلفه.

الفصل الثاني عشر

نزل سبايد في المصعد، كانت شفتاه جافتين ووجهه شاحبًا، وعندما أخرج منديله ليمسح وجهه، أدرك أن يديه ترتعشان. نظر إليها سبايد وقال "أوف!"، وكانت نبرته عالية لدرجة استوقفت انتباه عامل المصعد فالتفت إليه مستفسرًا: "سيدي؟"

سار سبايد نزولًا من شارع جييري إلى فندق بالاس، حيث تناول غداءه. عندما جلس سبايد إلى طاولته، كان وجهه قد عاد إلى لونه الطبيعي غير الشاحب، واستعادت شفتاه طراوتهما، وتوقفت يداه عن الارتعاش. انتهى سبايد من تناول طعامه بلا عجلة على الرغم من كونه جائعًا، ثم ذهب بعدها إلى مكتب سيد وايز.

عندما دخل سبايد، كان وايز يقضم أحد أظافره بينما يحدق في النافذة. أخرج وايز يده من فمه والتف بكرسيه مواجهًا سبايد: "لو، اسحب كرسيًا."

سحب سبايد كرسيًا إلى جانب المكتب وجلس.

"هل جاءت إليك السيدة آر تشر؟"

"نعم، ولمعت عينا وايز بضوءٍ خافتٍ. "هل ستتزوج

السيدة يا سامي؟"

نفت سبايد بانزعاج زفيرًا عبر أنفه. "يا إلهي، ها نحن نبدأ" تذمر.

سطعت ابتسامة خفيفة متعبة على جانب فم المحامي. "إن لم تفعل، فعليك أن تستعد لمواجهة مشكلة كبيرة".

رفع سبايد عينيه اللتين تركزتا على السيجارة التي كان يجهّزها وتحدّث بمرارة: "تقصد أنك أنت من سيواجهها عني؟ حسنًا، هذا هو عملك. ماذا قالت لك؟" "عنك؟"

"عن أي شيء عليّ أن أكون على علم به."

لعب وايز في شعره، نائرًا بعض قشرة الرأس على أكتافه. "أخبرتني أنها حاولت الحصول على الطلاق من مايلز من أجل أن.."

"أعلم كل هذا"، قاطعه سبايد، "يمكنك التغافل عن هذا الجزء، لنصل إلى الجزء الذي لا أعرفه." "كيف تعلم بماذا أخبرتني؟"

"توقف عن المماطلة يا سيد"، رفع سبايد طرف لهيب قداحت وأشعل نهاية سيجارته. "ما الذي أخبرتك به وأرادت إخفاءه عني؟"

نظر وايز إلى سبايد معاتبًا: "لا يا سامي.. لا يمكنك أن..."

نظر سبايد إلى السقف وزمجر، "يا إلهي، إنه محامي،
الذي اغتنى من فضلي، وعلى أن أركع على ركبتني
لأطلب منه أن يخبرني بأشياء"، ثم خفض بصره إلى
وايز، "لماذا تظنني قد أرسلتها إلى هنا؟"

عبس وايز في ضيق. "عميل آخر مثلك، وسأصل
حتمًا إلى مشفى المجانين".

"وسيجتمع شملك حينها بكل عملائك. هل أخبرتك
أين كانت في الليلة التي قتل فيها مايلز؟"

"نعم.."

"أين؟"

"تبعه.."

اعتدل سبايد وشرع عينيه. ثم قال بارتياح: "يا
إلهي، يا لهذه المرأة"، ثم ضحك وارتاح في مجلسه،
وسأل: "حسنًا وماذا رأيت؟"

هز وايز رأسه. "ليس الكثير. عندما وصل إلى المنزل
في ميعاد العشاء، أخبرها أنه لديه ميعاد مع فتاة في
سانت مارك، وقد حمّسها مخبرًا إياها أن هذه ربما
تكون فرصتها في الحصول على الطلاق الذي ترغب.
ظننت في البداية أنها يحاول مراوغتها لتعترف.. كان
يعرف."

"أعلم تاريخها جيدًا" قال سبايد، "تغافل عن هذا

الجزء. أخبرني ماذا فعلت؟”

“سأخبرك إن توقفت عن مقاطعتي. عندما خرج، فكرت أنه ربما كان هذا الموعد الذي ذكر حقيقياً. أنت تعلم مايلز. كان من طبعه أن...”

“يمكنك التغافل عن الحكي عن مايلز أيضاً.”

“ربما ليس عليّ أن أخبرك بأي شيء لعين...” قال المحامي. “وعليه أخرجت سيارتهما من الجراج، وقادتها حتى سانت مارك، وظلت جالسة تتابع الموقف عبر الشارع. رأته يخرج من الفندق، وشاهدته بعدها يتتبع رجلاً وفتاة كانا قد خرجا من الفندق قبله.. قالت إنها رأت نفس الفتاة بصحبتك الليلة الفائتة. عرفت حينها أنه كان يعمل وأنه كان يخدعها بالقصة الأخرى. أعتقد أنها كانت محبطة، وغاضبة؛ كانت تبدو هكذا بينما أخبرتني بالحكاية. تبعت مايلز بما يكفي لتتأكد أنه كان يراقب الثنائي بالفعل، ثم ذهبت بعدها إلى شقتك، ولم تجدك هناك.”

- “متى كان هذا تحديداً؟”

“عندما وصلت إلى شقتك؟ في المرة الأولى كان ذلك بين التاسعة والنصف والعاشر.”

“المرة الأولى؟”

“نعم، لقد ظلت تسير بدون هدى بالسيارة لمدة

نصف ساعة ثم حاولت من جديد. كان هذا في حوالي العاشرة والنصف، كنت ما تزال بالخارج؛ لذا قادت سيارتها حتى وسط المدينة ودخلت لتشاهد فيلمًا في السينما لتقتل الوقت حتى منتصف الليل، وهو ما ظننته وقتًا مرجحًا لعودتك للمنزل.

عبس سبايد، "دخلت إلى السينما في العاشرة والنصف؟"

"هكذا أخبرت. قالت إنها دخلت السينما في شارع بويل، تلك التي تعمل حتى الواحدة صباحًا. لم ترغب في العودة إلى المنزل كما قالت؛ لأنها لم ترد أن تكون هناك عندما يعود مايلز. كان ذلك الأمر يغضبه جدًا، خصوصًا عندما تعود في منتصف الليل. جلست في السينما حتى أغلقت أبوابها." جاءت كلمات وايز فيما بعد بطيئة، ولمع ظلُّ متهمٍ في عينيه. "قالت إنها قد قررت بعدها أنها لن تعود إلى منزلك، فلم تعد متأكدة من أنك قد تستقبلها في مثل تلك ساعة متأخرة، لذلك ذهبت إلى "تيتس"، ذلك المحل في شارع إيليس.. وتناولت بعض الطعام ثم عادت للمنزل.. وحدها."

عاد وايز بكرسيه الهزار إلى الخلف وانتظر سبايد ليتحدث.

كان وجه سبايد خاليًا من كل تعبير. "هل تصدقها؟"

“ألا تصدقها أنت؟”

“كيف أعرف؟ كيف أعرف أن تلك ليست قصصًا قد دبرتها معها لتخبرني بها؟”

ضحك سامي. “هل اعتدت أن تحرر شيكات وتدفع أموالًا لغرباء لا تثق فيهم يا سامي؟”

“ليس في العادة. حسنًا، وماذا بعد؟ لم يكن مايلز في المنزل. كانت الساعة قد شارفت الثانية صباحًا - لا بُدَّ - وكان مايلز قد قُتل بالفعل.”

“لم يكن مايلز في المنزل، وقد أثار ذلك غضبها.. ذلك أنه لم يكن بالمنزل ليكتشف عودتها متأخرة وتتمكن هي من إثارة غضبه. لذلك أخرجت العربة مجددًا وقادتها حتى منزلك.”

“ولم أكن بالمنزل. كنت حينها في مسرح الجريمة أقف ناظرًا إلى جثة مايلز. يا لها من جولة سعيدة تلك التي قامت بها، وماذا بعد؟”

“عادت إلى المنزل. وبينما كانت ترتدي ملابسها، وصلت مندوبتك لإخبارها بأن زوجها قد مات.”

لم يتفوه سبايد بحرفٍ حتى انتهى بمزيد من اهتمام من لَفِّ سيجارة وإشعالها. “أعتقد أن هذه قصة محكمة، إنها تتفق مع كل المعلومات التي نعرفها بالفعل. يمكننا تصديقها.”

درس سبايد وجه سبايد بفضول، بينما سرح شعره
بيديه مجددًا نائثرًا قشرة الشعر كالعادة على كتفيه.
"ولكنك لا تصدقها؟"

أخرج سبايد سيجارته من فمه وقال: "لا أصدّقها ولا
أكذبها يا سيد، أنا لا أعلم أيّ شيءٍ بالمرّة."

لوى سيد شفّتيه في تذرُّم، وحرّك أكتافه المتعبة
وقال: "حسنًا! أنا أتأمّر عليك. لماذا لا تذهب لتعيين
محامٍ شريف يمكنك أن تثق فيه؟"

"هناك رجل بالفعل ولكنه مات." وثق سبايد، ونظر
إلى وايز. "أصبحت حساسًا؟ ليس لدي من يمكنني
الوثوق به: والآن عليّ أن أراعي مشاعرك. ماذا فعلت
لك؟ هل نسيت أن أجتو على ركبتيّ عندما دخلت؟"
ابتسم وايز بسخاء. "أنت رجل لعين يا سامي."

كانت إيفي برين تقف في منتصف ردهة المكتب
عندما دخل سبايد إليه. نظرت إليه بعينيها البنيتين
القلقتين وسألت: "ماذا حدث؟"

كان وجه سبايد صارمًا. "ماذا تقصدين أنه حدث؟"
سألها

"لماذا لم تأتِ الفتاة؟"

سار سبايد بخطوتين واسعتين وأمسك إيفي برين

من كتفها وحقق في وجهها الخائف: "لم تصل الفتاة حتى منزلك؟"

هزّت رأسها بشدة من ناحية إلى الأخرى. "لقد انتظرت وانتظرت ولكنها لم تأت، ولم أستطع الوصول إليك عبر الهاتف، لذا أتيت إلى هنا."

رفع سبايد يديه عن كتفها، ثم وضعهما في جيبه، "ها هي جولة سعيدة أخرى لامرأة أخرى"، في صوتٍ غاضبٍ عالٍ، ثم دخل غاضبًا إلى مكتبه، وخرج بعدها فورًا من جديد، "اتصلي بوالدتك، تأكدي إن كانت قد وصلت."

ظلّ سبايد يغدو ويروح على طول المكتب بينما استخدمت الفتاة الهاتف. "لا"، قالت الفتاة عندما أنهت المكالمة. "هل.. هل أرسلتها في سيارة أجرة؟" كانت بادرتة تعني نعم.

"هل أنت واثقًا.. ربما تتبعها أحدهم!"

توقف سبايد عن الحركة، ووضع يده على فخذه محدقًا في الفتاة. قال لها سبايد بصوتٍ عالٍ في قمة غضبه "لم يكن هناك من يتبعها. هل تظنّيني فتى صغيرًا قليل الخبرة؟ لقد تأكدت قبل أن نركب السيارة، وعبرنا ستة من الشوارع لتضليل أي شخص، وقد فعلنا ذلك مجددًا حتى عندما نزلنا من السيارة."

”نعم، لكن..“

”لكنها لم تصل. قلت ذلك بالفعل. أصدقك. هل
تظنينني أشك في أنها قد وصلت إليك؟“

اعترضت إيفي برين، ”أنت بالفعل تتصرف كفتى
صغير قليل الخبرة“، زمجر سبايد عبر حنجرته وخرج
إلى الردهة. ”سأذهب للبحث عنها حتى لو اضطررت
إلى الحفر في الأرض، انتظري هنا حتى أعود أو حتى
تسمعي مني أخبارًا. لنفعل شيئًا صحيحًا لمرة كتنغير.“
وصل سبايد حتى منتصف الطريق إلى المصعد، ثم
عاد أدراجه وفتح الباب، ونظر إلى إيفي برين الجالسة
على مكتبها.

”أنت تعرفينني جيدًا بما يكفي لتتهمني بما أقوله
عندما أكون في مثل هذه الحالة.“

”إن ظننت أنني أهتم بك فقد فقدت عقلك.“ ردّت
الفتاة، ”إنه فقط.. لمست كتفها بذراعيها وارتعش
فمها.. لن أستطيع ارتداء أيّ فستان سهرة لأسبوعين
على الأقل أيها المتوحش.“

ابتسم سبايد بتواضع، ”لست بشخص طيب يا
حبيبتي“، ثم قام بانحناءة مبالغ فيها، وخرج مجددًا.

وقفت سيارتا أجرة على جانب الشارع الذي توجه

إليه سبايد بعد نزوله من المكتب. كان السائقان واقفين بالخارج يتحدثان. سأل سبايد: "أين الرجل الأشقر ذو الوجه الأحمر الذي كان هنا عند الظهر؟"

"ذهب ليوصل أحدهم" ردّ أحدهما

"هل سيعود إلى هنا؟"

"أظنّ هذا"

لف السائق الآخر وجهه نحو اليمين وقال: "ها هو آتٍ."

ذهب سبايد ووقف بجوار الرصيف منتظرًا حتى ركن السائق الأشقر والوجه الأحمر سيارة الأجرة ونزل عنها.

سار إليه سبايد وسأله: "لقد ركبت سيارتك بصحبة سيدة ظهر اليوم، ذهبنا إلى شارع ستوكتون، وحتى ساكرمانتو إلى جونز، وعندها نزلت أنا."

"بالطبع، أتذكر هذا"، قال الرجل ذو الوجه الأحمر.

"لقد أخبرتك أن توصلها حتى فيفت أفنيو. ولكنك لم تذهب بها إلى هناك، أين أنزلتها؟"

فركّ السائق وجنته بيده المتسخة ونظر بشك إلى سبايد، "لا أعرف."

"لا بأس"، طمأنه سبايد، وأعطاه واحدة من بطاقات

عمله. "إذا أردت أن تؤمن نفسك يمكننا الذهاب والتحدث إلى أحد المشرفين عليك."

"ليس هذا ضروريًا. ذهبت بها إلى بناية فيري."

"وحدها؟"

"نعم. بالطبع."

"لم تذهب بها أولاً إلى أي مكان؟"

"لا. هذا ما حدث بالتفصيل: بعد أن أنزلناك في ساكرامنتو، وعندما وصلنا إلى بولك، طرقت على الزجاج الفاصل بين مقعدينا وطلبت الحصول على نسخة من الجريدة؛ لذلك توقفت وأطلقت صفيراً لمناداة أحد الأولاد بائعي الجرائد، ثم حصلت بعدها على النسخة التي طلبت."

"أي جريدة؟"

"ذا كول"، ثم توغلنا أكثر في ساكرامنتو، حتى ما إذا عبرنا فان نيس، طرقت على الزجاج مجددًا وطلبت أن أوصلها إلى بناية فيري."

"هل بدت متوترة أو ما شابه؟"

"ليس فيما لاحظت."

"وعندما وصلتكم إلى بناية فيري؟"

"دفعت الأجرة ونزلت. هذا كل شيء."

“ألم تَرَ إلى أي طريقٍ ذهبت؟”

“عند البناية؟ ربما صعّدت السلالم أو توجهت نحوها فقط ولم تصعد.”

“حملت الجريدة معها؟”

“نعم كانت تحملها تحت إبطها بينما دفعت لي الأجرة.”

“هل كانت صفحة الإعلانات مطوية للخارج أم للداخل؟”

“اللعنة، لا أتذكر هذا بالطبع.”

شكر سبايد السائق وأعطاه دولارًا فضيًا وقال: “اشتري لنفسك علبة سجائر لطيفة.”

اشتري سبايد نسخة من جريدة “ذا كول”، ودخل إلى ردهة أحد المكاتب ليطالعها بعيدًا عن الجو العاصف بالشارع.

جرت عيناه بسرعة على عناوين الصفحة الأولى بالجريدة وكذلك الثانية والثالثة. توقفت عيناه للحظة عند عنوان “القبض على متهم في كاونترفيتير” في الصفحة الرابعة، ثم على عنوان آخر في الصفحة الخامسة “وفاة شابٍ بطلقاتٍ نارية”. لم تحتوِ الصفحة السادسة ولا السابعة على أي شيءٍ يثير اهتمامه. في الصفحة الثامنة لاح عنوانٌ آخر وجذب انتباهه:

“القبض على ثلاثة فتيان في جريمة سرقة بعد تبادل إطلاق النيران”، وبعد هذا لم يجد بالجريدة ما يهم وحتى صفحتها الخمسة وثلاثين، والتي احتوت على أخبار الطقس، الشحن، الإنتاج، الطلاق، المواليد، الزواج، والوفاة. قرأ قوائم المتوفيين حديثًا، وأكملها في الصفحة السادسة وثلاثين والسابعة وثلاثين - أخبار الاقتصاد - لم يرَ شيئًا يجذب انتباهه في الصفحة الثامنة وثلاثين وحتى الصفحة الأخيرة، تنهد سبايد بعدها، وطوى الجريدة، ووضعها في جيب معطفه ثم شرع في لف سيجارة.

وقف في ردهة المكتب لخمس دقائق يدخن السيجارة ويحدق في الفراغ. ثم ذهب باتجاه شارع ستوتكن، وأوقف سيارة أجرة، وطلب من السائق أن يوصله إلى بناية الكورونت. أدخل نفسه إلى المبنى، ثم إلى شقة بريجيد أوشونسي بالمفتاح الذي أعطته له. كان الفستان الأزرق الذي ارتدته الليلة الماضية ملقى عند طرف سريرها. ورقدت جواربها وحذاؤها على أرضية الغرفة. أما صندوق المجوهرات فقع فارغًا على طاولتها. عبس سبايد ناظرًا إليه، وبلل شفثيه بلسانه، ثم سار متجوّلًا في الغرفة يفحصها بعينيه دون أن يلمس شيئًا. ترك سبايد البناية بعدها وذهب إلى وسط

المدينة مجددًا.

عند باب بناية مكتبه، صادف سبايد الفتى الشاب الذي كان آخر ما رآه في مكتب جوتمان. اعترض الشاب طريق سبايد، حاجبًا المدخل إلى البناية وقال: "يريد مقابلتك"، كان الفتى يقف واضعًا يده في جيوبه، وكانت جيوبه منتفخة بأكثر مما يجب عليها بوجود يده وحيدة داخلها.

ابتسم سبايد وقال ساخرًا: "لم أتوقع زيارتك حتى الخامسة وخمس وعشرين دقيقة، أتمنى ألا تكون قد انتظرتني طويلًا."

رفع الفتى عينيه إلى فم سبايد، وقال بصوت مجهود كمن يعاني ألمًا عضويًا: "استمر في استفزازي، وسيكون عليك تخليص شرتك من كل رصاصة أطلقها عليها."

ضحك سبايد وقال بمرح: "كلما كان اللص رخيصًا، كلما صار حديثه مبتذلًا فيما أظن. لنذهب."

سار الاثنان سويًا جنبًا إلى جنب عبر شارع شاتر. أبقى الفتى يديه داخل جيوبه طول الوقت. حلّ الصمت ضيفًا على رحلتهم خلال عبورهم الشارع الأول.

"متى أقلعت عن سرقة الملابس من الشرفات يا

فتى؟”

لم يبدُ على الفتى أنه قد سمع السؤال.

“هل سبق لك...” بدأ سبايد السؤال ثم لم ينهه. لمع ضوء ما عبر عينيه ذواتا البريق الأصفر، ثم توقف عن مخاطبة الفتى أبدًا بعدها.

دخلا إلى مبيى أليكساندريا، وصعدا حتى الدور الثاني عشر، ثم سارا في الردهة متوجهين نحو جناح جوتمان. لم يكن بالردهة سواهما. تلكَّع سبايد قليلاً، وقبل باب الجناح بخمس عشرة قدم، حيث كان سبايد يبعد عن الفتى بمقدار قدم ونصف، مال سبايد تجاه الفتى وقيّده بيديه، تماماً تحت مرفقي الفتى. ثم دفع بذراع الفتى إلى الأمام، حتى ارتفع معطف الفتى بفعل يديه المحشورتين في جيوبه. حاول الشاب أن يتملص لكنه كان قابلاً بلا أي قدرة في قبضة الرجل العريض. دفع الفتى قدمه للخلف راکلاً، غير أن ركلته قد طاشت بين ساقى سبايد.

رفع سبايد الفتى من على الأرض ثم أنزله راکعاً على قدميه مجدداً. تركت المعركة أثراً عميقاً على البساط. في لحظة الهجوم الأولى، أحكم سبايد قبضته على معصم الفتى، الذي عَضَّ على شفتيه من الألم، وأجهد نفسه محاولاً التخلص من القبضة ولكنه لم يستطع

الإفلات، ولم يتمكن من منع يدي الرجل من التسلسل إلى يديه المحشورتين في جيوبه، تداخلت أصوات اصطكاك أسنان الفتى بتنفس سبايد العال المتوتر عندما سحق يديه داخل الجيوب.

خضع الرجلان للتوتر للحظة طويلة، فقدت يد الفتى بعدها كل قدرة، وعندما أخرج سبايد كلتا يديه من جيوب معطفه، كانت كل منها تحمل مسدسًا ثقيلًا.

التف الفتى وواجه سبايد، كان وجهه مروعًا شاحبًا أبيض. أعاد يديه إلى جيوبه ونظر نحو صدر سبايد ولم يزد حرفًا.

وضع سبايد المسدسين في جيوبه وقال للفتى: "هيا بنا! هذا سيجعل رئيسك يقدرك أكثر مما يفعل." وصلاح حتى باب الجناح، وطرقه سبايد.

الفصل الثالث عشر هدية الإمبراطور

فتح جوتمان الباب، وأنارت ابتسامة وجهه السمين، مدَّ يده مصافحًا وقال: "آه. تفضّل يا سيدي! أشكرك لحضورك. تفضّل."

صافح سبايد اليد الممدودة ودخل، ودخل الفتى في إثره. أغلق الرجل السمين الباب. أخرج سبايد مسدسات الفتى من جيوب معطفه وسلّمهم إلى جوتمان.

"هاك. عليك ألا تتركه يسير حاملاً هذه الأشياء، سيؤذي نفسه."

ضحك الرجل السمين بمرحٍ وتناول المسدسين من يد سبايد. "حسنًا. حسنًا. ما هذا الذي أراه؟" "سطا عليهم بائع جرائد أعرج ولكنني أجبرته على إعادتهم."

أخذ الفتى المسدسين من يد جوتمان ووضعهما مجددًا في جيوبه. لم يتحدث على الإطلاق.

ضحك جوتمان مجددًا. "يا إلهي. كم أنت شخصًا جديدًا بأن يتعرف إليك المرء. ادخل. اجلس. أعطني قبعتك."

ترك الفتى الغرفة إلى غرفة يمين المدخل.

أجلس الرجل السمين سبايد في كرسي أخضر قرب الطاولة، وقَدَّم إليه سيجارًا، مزج في كأسين بعضَ الويسكي والمياه الغازية المحلّاة، قَدِم أحدهما لسبايد، وجلس في مواجهته بينما يحمل الآخر.

“والآن يا سيدي”، قال الرجل، “أتمنى أن تسمح لي بالاعتذار عن...”

“لا تهتم”، قال سبايد، “دَعْنَا نتحدث عن الطائر الأسود.”

مال الرجل السمين برأسه نحو اليسار، ونظر إلى سبايد بعينٍ تقديرٍ.

“حسنًا يا سيدي”، وافقَ الرجل، “دَعْنَا نفعل.”

أخذ الرجل رشفة من الكأس في يده.

“ستكون هذه القصة أعظم ما سمعت يومًا على طول حياتك يا سيدي، وأقول هذا عالمًا تمامًا بمكانتك ومهنتك التي لا بُدَّ قد جعلتك بالفعل تتعرف إلى أشياء ذات قدرٍ عظيمٍ من الروعة.”

هزَّ سبايد رأسه بتهذيب.

نظر الرجل بتمعن إلى سبايد وسأل: “ما هي معلوماتك عن أخوية سانت يوحنا بالقدس، والتي أطلق عليها فيما بعد اسم “فرسان رودس”؟

”لا أعلم الكثير حقًا، فقط بضع معلومات من مادة التاريخ في الجامعة.. أمر ما يتعلق بفرسان الحملات الصليبية أو ما شابه.“

”عظيم.. الآن ألا تتذكر أن سليمان العظيم (5). قد طاردهم ليرحلوا عن حدود رودس عام 1523؟“
”لا.“

”حسنًا يا سيدي لقد فعل واستقروا بعدها في جزيرة كريت، وذلك لمدة سبع سنوات وحتى العام 1530، عندما قرروا مطالبة الإمبراطور شارليز الخامس أن يمنحهم - رفع جوتمان ثلاثة أصابع ثخينة - مالطا، جوزو وتريبولي“

”وبعد؟“

”كان الاتفاق ساريًا في حالة تنفيذ شروط ثلاثة: عليهم أن يمنحوا الإمبراطور -رفع إصبعًا واحدًا هذه المرة - صقرًا واحدًا كضريبة سنوية للتذكير بأن مالطا ما تزال تحت الحكم الإسباني، وأنه في حال مغادرتهم للجزيرة في أي وقت، تعود ملكيتها فيما بعد لإسبانيا، أتفهمني؟ فهي لهم بحق انتفاع ولا يجوز لهم بيعها أو منحها لأي شخص بأي صفة.“

”نعم.“

نظر الرجل السمين إلى الغرف الثلاث بالجناح

موصودة الأبواب، ثم اقترب بمقعده قليلاً من سبايد،
وأخفض صوته حدّ الهمس.

“هل يمكنك أن تتخيل إلى أي قدر بلغت ثروة
الأخوية في ذلك الوقت؟”

“إن كنت أتذكر جيداً، فقد كانوا ثريين جداً” قال
سبايد.

ابتسم الرجل بتقديرٍ: “الثراء هي صفة متواضعة
جداً لوصف قدراتهم المالية”، زاد الرجل من خفض
همساته حتى صارت ما يشبه الخريف، “كانوا يتمرغون
في نعيم الثروات يا سيدي. ليس لديك أي فكرة. لا
يملك أحدٌ فكرة دقيقة في الواقع. لقد أغاروا لسنواتٍ
على بلاد العرب، واستولوا على ما لا يُقدَّر بكم من
المجوهرات والمعادن النفسية والحريير والعاج - أعز
وأغلى ما امتلكه الشرق من ثروات ونفائس-. هذا ما
يقوله التاريخ يا سيدي، وكما نعلم جميعاً بأن الحرب
المقدسة لم تعن لهم - كما لفرسان الهيكل - سوى
بقدرٍ ما جلبته لهم من الغنائم. والآن وقد منح لهم
الإمبراطور مالطا، وكان كل ما طلبه بمثابة إيجار هو
طائر يمنحونه إياه بشكل سنوي تحت مسمى شكلي.
فكيف يمكن لهؤلاء الفرسان أصحاب الثروة الفاحشة
ابتداع طريقة ليظهروا قدر اعترافهم بجميل

الإمبراطور؟ هذا هو تحديدًا ما فعلوه، ذلك أنهم قرروا وبدلاً من أن يرسلوا إلى الإمبراطور صقرًا حيًا غير ذي قيمة كضريبة سنوية، قرروا أن يرسلوا له صقرًا مصنوعًا من الذهب الصافي الخالص، والمطعم من رأسه حتى قدميه بأنفس الجواهر.. وتذكّر يا سيدي أنهم بالفعل يملكون أنقى أنواع الأحجار الكريمة، أنقاها وأثمنها في قارة آسيا" توقف جوتمان بعدها عن الهمس وتفحصت عيناه الماكرتان وجه سبايد، والذي لم يُوح بأي تعبير.

"حسنًا يا سيدي، ما رأيك في هذا؟"

"لا أعلم."

ابتسم الرجل بلا مبالاة. "هذه حقائق، حقائق تاريخية، ليست معلومات تمنح لأطفال في درس تاريخ، ليست كتاب السيد ويل عن التاريخ، ولكن تاريخ لا مرأى فيه"، مال الرجل بعدها للأمام. "ما يزال أرشيف الأخوية من القرن الثاني عشر محفوظًا في مالطا، صحيح أن محفوظاته ليست جميعًا بحالة جيدة، وإنما الأكيد أنها تحتوي على ثلاثة مراجع -ورفع كالعادة ثلاثة أصابع- تؤكد بغير شك تاريخ وجود الصقر المرصع بالجواهر. في سجل جي ديلافيل لي رولكس(6). - أرشيف أخوية القديس جون هناك ما

يشير إلى الواقعة، كذلك هناك ملحق باولي ديل (Z) عن تاريخ الأخوية السرية المقدسة ، والذي لم ينشر في حياة مؤلفه لأنه توفي قبل استكماله، هذه المرجع أيضًا يحمل إشارات لا تدحض حول الحقائق التي أخبرتك بها لتوي.

”حسنًا.. قال سبايد

”نعم يا سيدي، بعد ذلك قام فيليز إيسلي دي آدم، المُعلّم الأكبر، بتحضير الصقر المرصع بطول قدم، الذي صنع بأيدي العبيد الأتراك في قلعة سانت أنجلو، وأرسله إلى شارل، بمقره في إسبانيا. أرسله المُعلّم في قافلة ترأسها فارس فرنسي اسمه كورمير أو كورفيير، وكان عضوًا في الأخوية.”

حوّل الرجل حديثه إلى همسات مجددًا.

”لم يصل الصقر حتى إسبانيا أبدًا”، ثم سأل سبايد بابتسامة عريضة: “هل تعرف بارباروسا، خير الدين ذو اللحية الحمراء؟ لا؟ هو قرصان شهير كان يبحر قادمًا من الجزائر في ذلك الحين. حسنًا يا سيدي، لقد استولى على قافلة الفارس وعلى الطائر بالطبع. وصل الطائر حتى الجزائر. هذه حقيقة. هذه حقيقة قد أفردتها المؤرخ الفرنسي بيير دان في واحد من خطاباته التي كتبها أثناء وجوده في الجزائر. كتب أن

الطائر ظل هناك لما يقارب المائة سنة، حتى استولى عليه السير فرنسيس فيرنيه، المغامر الإنجليزي والذي حمل راية القرصنة في الجزائر لفترة. أو ربما لم يفعل، ولكن بيير دان ظن ذلك وتلك معلومة كافية بالنسبة لي. لا يوجد ما يشير إلى الطائر في مذكرات السيدة زوجة فرانسيز فيرنيه، والتي عرفت باسم "مذكرات عائلة فيرنيه خلال القرن السابع عشر"، لا شيء يشير للطائر بالتأكيد. لقد قرأتها بنفسني. ومن الواضح تمامًا أن السير فرانسيز لم يكن يملك الطير في حوزته عندما مات في مستشفى ميسينا عام 1615. لقد مات فقيرًا مُفلسًا. ولكن من المؤكد لدينا أن الصقر قد وصل إلى جزيرة سيشل. وصل إلى هناك وصار في حيازة فيكتور أماديوس الثاني (8)، وذلك بعدما تولى عرش البلاد عام 1713، وقدمه بعدها هدية إلى زوجته عندما تزوج في تشامبري بعد تخليه عن العرش. هذه حقيقة أخرى يا سيدي، أقرها "كاروئي"، مؤلف كتاب تاريخ مملكة فيتيوريو أماديو الثاني.

"ربما حمله الزوجان معهما حينما رحلا إلى تورين في محاولة للتراجع عن تنازله عن العرش. على كل حال وصل الصقر إلى حيازة رجل إسباني كان بصحبة الجيش الذي استولى على نابلس عام 1734 - كان

ذلك الرجل هو والد دون خوسيه مونيرو ريدونديو، كونت فلوريدابلانكا، والذي كان رئيس وزراء الملك شارل الثالث. ليس لدينا ما يؤكد بأن الصقر قد غادر حياة هذه العائلة حتى نهاية الحرب الكارلية (9). الأولى في الأربعينيات من القرن. ظهر بعدها في باريس، عندما كانت تفيض عن آخرها بالطائفة الخاسرة في الحرب والمهزومين الذين كان عليهم الهرب من إسبانيا. لا بُدَّ أن أحدهم قد جلب الصقر معه إلى باريس، أيًا يكون، لا بُدَّ أنه كان يعلم جيدًا عن قيمة الصقر. كان الصقر وقتها قد طلي بالمينا السوداء - بدافع من الحذر الذي شاع في البلاد إبان الحرب الكارلية - لكيلا يبدو كأكثر من تمثال لطيف ذي لون أسود. في هيئته المزيفة تلك، عاش الصقر في باريس وظل يتجول فيها لسبعين سنة بين أيدي ملاك أو تاجري تحف أغبياء جدًا لدرجة أن أيهم لم يلحظ ماذا يوجد تحت قشرته الخارجية.

توقف الرجل عن الحديث وابتسم وهزَّ رأسه آسفًا. ثم أكمل: "لسبعين عامًا، كانت هذه التحفة البديعة، تعامل ككرة قدم يتقاذفها الجميع في نواحي باريس وأزقتها - حتى عام 1911، وذلك حتى وجده تاجر يوناني يدعى شاريلالوس كونستاندينديس في متجر

مريب الهيئة. لم يمر وقت طويل حتى اكتشف شاريللاوس ماهية الطائر وتاريخه ثم امتلكه بالفعل بعدها. لم تستطع المينا السوداء بقدر سُمكها أو ثقلها أن تخدع عينه الخبيرة وأنفه. كان شاريللاوس هو من تتبع معظم تاريخه وردّه إلى أصوله التاريخية السليمة. وقد أجبرته على الاعتراف بكل ما عرفه عنه، ثم أضفت إليه بأبحاثي الخاصة.

“لم يكن شاريللاوس متعجلاً أبداً فيما يخص بيع تحفته الفريدة. لقد عرف أنه - لقيمته المذهلة - يحمل وعوداً بمقابل مادي أعلى وأعلى بفارق رهيب، بمجرد أن يتم إثبات نسبه وقيمته التاريخية، كان غالباً ما ينوي إتمام الصفقة مع أحد الأسلاف المعاصرين للأخوية القديمة سانت يوحنا بالقدس، طبقة الفرسان البروسية، أو شعبة أخوية مالطا الإيطالية أو الألمانية، كل تلك أخويات لا يعدها الثراء.

نظر الرجل مبتسماً لكأسه الفارغ ثم قام ليملاه وكأس سبايد.

“هل بدأت تصدقني ولو قليلاً؟” قالها بينما يرخّ الشراب

- “لم أخبرك أبداً أنني لا أصدقك.”

“لم تخبرني أنت عن ذلك”، ضحك الرجل السمين،

”ولكن الحالة التي بدوت عليها بينما تستمع.“

جلس الرجل، وشرب جرعة وفيرة من كأسه، ثم مسح فمه بمنديل أبيض. ”حسنًا يا سيدي، بهدف أن يحمي الطائر بينما يتتبع آثاره عبر التاريخ، أعاد شاريلابلاوس طلاءه بطبقة أخرى من المينا السوداء، ليبدو الطائر على حالته الحالية. بعد عام بالتمام من امتلاكه للصقر.. بعد ثلاثة أشهر تحديدًا من مقابلتنا واعترافه لي بتاريخ الصقر.. قرأت في جريدة التايمز أن متجره قد سُرق وأنه قد قُتل. وصلت إلى باريس في اليوم التالي. هزّ الرجل رأسه في حزنٍ. ”كان الطائر قد اختفى يا سيدي، يا إلهي، لقد كدت أجن وقتها، لم أصدق أن هناك من علم بشأنه من الأصل. لم أصدق أنه قد أخبر أي شخص بما جعلته يعترف لي به: سُرقت ممتلكات عدّة من متجره في الواقع. جعلني هذا أفكر أن السارق ربما قد حاز الطير بالمصادفة من بين ما حاول جمعه أثناء عملية السرقة، دون أن يدري عن قيمته الحقيقية، ذلك لو أنه يدري، ما اهتم بسرقة أي شيء سواه، فلا يفوقه في قيمته سوى جواهر التاج الملكي. أغمض الرجل عينه وابتسم برضا لفكرة راودته. فتح الرجل السمين عينيه مجددًا وقال: ”حسنًا يا سيدي، كان هذا منذ سبعة عشر عامًا، نعم، لقد

استغرق مني الأمر سبعة عشر عامًا للوصول إلى مكانه، ولكنني فعلت، في النهاية فعلت، وأنا أريده، ولست حقًا بالرجل الذي يفقد حماسه أبدًا أو ييأس إن أراد شيئًا بشدة.”

اتسعت ابتسامة الرجل.

“أردت أن أجده ووجدته. أريد أن أملكه وسأحصل عليه.” ارتشف آخر ما في كأسه، جفف شفتيه مجددًا ثم أعاد منديله إلى جيبه. لقد تتبععت الصقر حتى منزل جنرال روسي - كوميدوف - في إحدى ضواحي أسطنبول. لم يكن يعلم أي شيء عنه. لم يمثل له سوى تمثال مطلي بالمينا السوداء، ولكنه عناده الطبيعي - العناد الطبيعي لأي جنرال روسي عتيق - منعه من بيعه لي عندما حاولت شراءه. ربما لم أكن ماهرًا بالقدر الكافي لأخفي حماسي عنه، لا أدري حقًا. ولكنني أردت الصقر بشدة وخشيت أن يقوم هذا الجندي الأحمق بالتحقق من أصله، أو يحاول كشط طبقة المينا. لذلك أرسلت بعض - آه - مندوبين لجلبه إليّ. حسنًا يا سيدي، لقد استطاعوا الوصول إليه ولكنهم لم يعودوا به إليّ” وقف الرجل السمين وحمل كأسه الفارغة حتى الطاولة. “ولكنني سأحصل عليه يا سيدي. أعطني كأسك يا سيدي.”

“إِذَا لَا تَعُودُ مَلَكيَّةُ الصَّقْرِ إِلَى أَيِّ مِنْكُمْ فِي الْأَصْلِ،
بَلْ إِلَى جَنْرَالِ كِيمِيدُوفِ؟”

“مَلَكيَّةُ؟” قَالَ الرَّجُلُ السَّمِينُ بِمَرَحٍ. “حَسَنًا يَا سَيِّدِي،
يُمْكِنُكَ أَنْ تَقُولَ إِنَّ مَلَكيَّتَهُ كَانَتْ تَعُودُ إِلَى مَلِكِ
أَسْبَانِيَا، وَلَكِنِّي لَا أَفْهَمُ حَقًّا كَيْفَ تَرُغِبُ فِي رَدِّ أَصُولِهِ
إِلَى مَالِكِهِ الْحَقِيقِيِّ - إِلَّا بِحَقِّ الْاِمْتِلَاكِ وَالْحِيَازَةِ.”
ضَحِكَ الرَّجُلُ. “غَرَضُ كَهَذَا قَدْ تَنْقَلُّ بِالْفِعْلِ مِنْ يَدٍ إِلَى
يَدٍ عِبْرَ طَرِيقٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَا تُؤَوَّلُ مَلَكيَّتَهُ الْوَاضِحَةُ إِلَّا لِمَنْ
وَضَعَ عَلَيْهِ يَدَهُ.”

- “إِذَا مَالِكْتُهُ الْآنَ هِيَ الْآنَسَةُ أَوْشُونْسِي.”

“لَا يَا سَيِّدِي، هِيَ فَقَطْ مَندُوبَةٌ تَعْمَلُ تَحْتَ إِمْرَتِي.”
“أَه.” قَالَهَا سَبَايِدُ سَاخِرًا

“لَيْسَ لَدِينَا شَكٌّ فِي حِيَازَتِهَا لِلصَّقْرِ حَالِيًّا، صَحِيحٌ؟”
“نَعَمْ”

“أَيْنَ؟”

“لَا أَعْلَمُ تَحْدِيدًا”

وَضَعَ الرَّجُلُ زَجَاجَةَ الْوَيْسِكِيِّ بَعْنَفٍ عَلَى الطَّائِلَةِ.
“وَلَكِنِّكَ قَلْتِ إِنَّكَ تَعْرِفُ”، اعْتَرَضَ.

أَشَاحَ سَبَايِدُ بِيَدِهِ فِي لَا مَبَالَاةٍ، “عَنَيْتِ أَنَّيْ أَعْرِفُ
مَنْ أَيْنَ سَأَحْصِلُ عَلَيْهِ حِينَمَا يَصِيرُ الْوَقْتُ مَنَاسِبًا.”

لمعت عينا الرجل السمين فرحًا، "وأنت تعرف كيف
تفعل ذلك فعلاً؟"

"نعم."

"أين؟"

ابتسم سبايد وقال: "دع هذا الأمر لي، أعرف كيف
أنهيه."

"متى؟"

"عندما أصير مستعدًا"

اتسعت ابتسامة الرجل السمين تحت ظلال من
الشك الطفيف، وسأل:

"سيد سبايد، أين الأتسة أوشونسي؟"

"تحت عيني، مختبئة حفاظًا على سلامتها."

- "أثق فيك لتفعل ذلك سيدي، حسنًا، والآن قبل أن
نجلس لنتفق حول الأمور المادية، يجب عليك أن
تجيب عن سؤالي أولاً: متى يمكنك أن.. متى يمكنك
أن تسلمني الصقر؟"

"في حدود يومين."

أوماً الرجل السمين. "هذا أمر مطمئن. إذا هيّا.. لا
لقد نسيت مشروبنا"، عاد الرجل إلى الطاولة، صب
الويسكي، مزجه ببعض الماء، ثم عاد وترك كأس سبايد

بجواره وحمل كأسه ووقف جوار مقعده.

“حسنًا يا سيدي، لنشرب نخب الصفقات العادلة ذات العائد المادي الضخم الذي سيكفيينا حتمًا ويفيض.”
شرب الرجلان النخب، وجلس الرجل السمين على مقعده. سأل سبايد: “ما هي فكرتك عن الصفقات العادلة؟”

رفع جوتمان كأسه في مواجهة الضوء، ونظر إليه بتأثر، ثم ارتشف جرعة كبيرة منه، وقال: “هناك طريقتان لتسوية هذا الأمر يا سيدي، وكلاهما عادل، ولتختار منهما ما تحب. سأمنحك خمسة وعشرين ألف من الدولارات فور أن تسلّمني الصقر، ومثل المبلغ كدفعة ثانية حينما أصل إلى نيويورك. أما العرض الثاني فهو أن تقبل بنسبة الربع - خمسة وعشرين بالمائة - من المبلغ الذي سأحصل عليه بعد أن أبيع الصقر للمشتري. هاك إذا العرضين يا سيدي، خمسون ألفًا من الدولارات بشكل فوري، أو ثروة أعظم ربما في خلال شهرين.”

ارتشف سبايد جرعة من كأسه وسأل: “أعظم إلى أي قدر؟”

“أعظم بكثير جدًا” ردّ الرجل السمين، “من يمكنه أن يتخيل؟ لنقل مائة ألف دولار؟ أو ربع مليون؟ هل

ستصدقني إن أخبرتك عمّا أتصوره عن الثمن الذي قد
يوفي الصقر حق قدره؟"
"لم لا أصدقك؟"

رَبَّت الرجل على شفّتيه وخفض صوته حدّ القرقرة:
"ما رأيك في نصف مليون من الدولارات؟"
ضيق سبايد عينيه، "إذا أنت تظن أن التحفة تساوي
ما يوازي المليونين من الدولارات."
ابتسم الرجل السمين بهدوء، "دعني أستعير كلماتك،
لم لا؟"

أفرغ سبايد كأسه في جوفه، ووضعها على الطاولة،
ووضع السيجار في فمه، ثم أخرجه مجددًا ونظر إليه،
ثم أعاده إلى فمه مجددًا. كانت غيمة تسطع في عينيه
الرمادية المصفرة. "يا لها من ثروة عظيمة."

وافق الرجل السمين: "يا لها من ثروة عظيمة
بالفعل"، ثم مال نحو سبايد مرتبًا على ركبته. "كما أن
ذلك هو الحد الأدنى للتخمينات حول ما يساويه
التمثال، طبقًا لتقديرات شيلاوس كونستانتينيدس، إلا
إن كان أحقق لا يحسن التقدير، وذاك ما لم يكنه بكل
تأكيد."

أخرج سبايد السيجار من فمه مجددًا، وعبس ناظرًا
إليه في استياء، ثم وضعه في منفضة السجائر. أغلق

عينيه بصعوبة ثم أعاد فتحهما. كانت الغيمة قد أوشكت على حجب الرؤية عن عينيه. "الحد الأدنى؟ وماذا عن الحد الأقصى؟".

رفعى جوتمان يده عاليًا مشرغًا كفه وأصابعه الخمسة. "أرفض التخمين، ستظنني مجنونًا، لا يمكن للتوقعات حول سعره أن تنتهي، وهذه هي الحقيقة التامة والأكيدة عن الأمر."

زَمَّ سبايد شفتيه، وهزَّ رأسه في غير صبر. لمع خوف مفاجئ في عينيه، ما لبث أن انطفأ بفعل الغيمة التي ازداد تأثيرها. وقف سبايد معتمدًا بيديه على مقعده. هزَّ رأسه مرة أخرى وتقدَّم خطوة أخرى غير متزنة. ضحك بشدة وتمتم: "اللعنة عليك". قفز جوتمان سريعًا عن مقعده. اهتزت ترهلاته في أثر القفزة، وبدت عيناه كثقوب سوداء في وسط وجهه الوردي المنتفخ. ظلَّ سبايد يهزُّ رأسه ذات اليمين وذات الشمال حتى وصلت عيناه الغائمتان - أو تركّزت - على الباب.

صرح الرجل السمين بحدّة: "ويلمرا!"

انفتح الباب ودخل الفتى الشاب.

خطا سبايد للأمام خطوة أخرى. كان وجهه قد أصبح رماديًا الآن، وقد برزت عضلات وجهه وفكيه المشدودة. لم تعد ساقاه تساعدانه بعد محاولته أن

يخطو للأمام مرة أخرى، وقد كادت جفونه تنغلق تمامًا فوق عينيه الغائمتين. سار الفتى حتى وقف بجانب سبايد، دون أن يكون عائقًا بينه وبين الباب. كانت يد الفتى اليمنى بداخل جيبه، وقد ارتعشت جوانب فمه. خطا سبايد خطواته السادسة نحو الباب.

وضع الفتى ساقه في طريق سبايد، الذي تعثر ووقع بوجهه على الأرض. نظر الفتى نحو سبايد ويده في جيبه ما تزال. اقترب الفتى من سبايد وركل سبايد في جانب وجهه. انقلب سبايد بفعل الركلة راقدًا على جنبه، كلما حاول الوقوف، فشل. سقط بعدها سبايد في النوم.

(5). السلطان سليمان القانوني

J. Delaville Le Roulx's Les Archives (6).

de l'Ordre de Saint-Jean

Paoli's Dell' origine ed istituto del (7).

sacro militar ordine

(8). فيتوريو أماديو الثاني - كان ملك صقلية بين

عامي 1713 و1720

(9). سلسلة من الحروب الأهلية التي قامت في

إسبانيا في القرن التاسع عشر، بغرض النزاع على

العرش

الفصل الرابع عشر

لا بالوما

عندما خرج سبايد من المصعد إلى الردهة، كانت الساعة قد تجاوزت السادسة صباحًا بدقائق. لاحظ سبايد ضوءًا أصفر يسطع عبر الزجاج المغبر لمكتبه، عندها وقف فجأة، وزم شفتيه، ثم رفع عينيه ومدّ بصره يستطلع الردهة من أمامه وخلفه، ثم صار نحو باب المكتب بخطوات واسعة هادئة. وضع يده على المقبض وحاول إدارته من دون أن يصدر عنه أي تكة أو خشخشة. لف المقبض حتى نهاية دورة مزلاجه: كان الباب مغلقًا بالمفتاح. بدّل يده على المقبض، وصار يمسكها الآن بيده اليسرى. بيده اليمنى أخرج المفاتيح من جيبه، وبحذر حتى لا تتخبط فيما بينها مجلجلة. فصل مفتاح المكتب عن بقيتها، ووضعهم بين باطن كفه في حرص، ثم وضع مفتاح المكتب داخل القفل بلا صوت يُذكر. وازن سبايد نفسه على أطراف أصابعه، ملأ رئتيه بالهواء النقي، ودخل.

كانت إيفي برين نائمة، ترقد رأسها على ذراعها، المفرودين على المكتب. كانت ترتدي معطفها، وقد انسدل واحد من معاطف سبايد من فوق كتفها. تحرّكت إيفي قليلًا، ثم رفعت رأسها الناعس، وارتعش

جفناها. انتفضت فجأة، وفتحت على سبايد عينا واسعة. رأته وابتسمت، ثم مالت من جديد على الكرسي، ومسحت عينيها بأصابعها. "إذا لقد عُدت أخيرًا؟ كم الوقت الآن؟"

"السادسة صباحًا، ماذا تفعلين هنا؟"

ارتعشت فقربت معطف سبايد من جسدها أكثر، وتساءبت. "لقد طلبت مني ألا أغادر حتى تتصل أو تعود."

"هل تربطك قرابة بذلك الفتى الذي وقف على السطح المحترق منتظرًا ووافيًا بوعدته؟"

"لم أكن سأنتظر"، قطعت حديثها وقامت، وتركت معطف سبايد ينزلق على المقعد من خلفها. نظرت بعدها بعينين مندهشتين إلى الكدمة التي تظهر من تحت قبعته وقالت: "آه، رأسك! ماذا حدث؟" كان صدغه اليمين داكن اللون ومتورمًا.

"لا أتذكر إن كنت قد تعثرت أو صفعني أحدهم. لا أظنها قد تأذت كثيرًا، لكنها تؤلم للغاية" لم يكد يمسها بالكاد بينما يتحدث حتى انتفض، ثم حوّل عبوسه إلى ابتسامة عريضة، وشرح: "لقد كنت أقوم بزيارة ما، وخذروني، وأفقت بعد اثنتي عشرة ساعة لأجد نفسي ملقى على الأرض."

مدّت إيفي يدها وخلعت عنه قبعته. "تبدو إصابة مريضة. عليك أن تزور طبيبًا، لا يمكنك أن تترك رأسك على حالتها تلك."

"ليست الإصابة سيئة كما تبدو، فيما عدا الصداع، وربما يكون معظمه ناتجًا عن أثر المخدر". سار سبايد حتى خزانة في ركن المكتب ووضع منديل تحت الصنبور البارد. "هل ظهر أي شيء جديد بعد رحيلي؟"

"هل وجدت الأنسة أوشونسي يا سام؟"

"ليس بعد. هل ظهر أي شيء جديد بعد رحيلي؟"

"اتصل مكتب المحامي العام. يريد رؤيتك."

"هو نفسه يريد مقابلي؟"

"نعم. هذا هو ما فهمت. وجاء فتى ما برسالة - أن السيد جوتمان سيكون سعيدًا باستقبالك للحديث معه قبل الخامسة والنصف."

أوقف سبايد جريان الماء، وعصر المنديل، وخرج من الخزانة مُلصقًا المنديل إلى صدغه. "نعم. وصلتني هذه الرسالة. تحدثت إلى الفتى بالأسفل، والحديث مع السيد جوتمان هو ما منحني هذه الكدمة."

"هل هذا هو السيد G الذي اتصل بك سابقًا يا سام؟"

"نعم."

”ثم ماذا؟“

حدّق سبايد بالفتاة وتحدث كما لو كان يحاول ترتيب أفكاره عبر الكلام: ”إنه يريد شيئًا يظن أنني أستطيع إيجاده له. أقنعتة أنني أستطيع منعه من الحصول على ما يريد إن لم ينفِ صفقته معي قبل الخامسة والنصف. ثم - آه نعم - بالطبع - عندما أخبرته أنني يمكنني إحضار الشيء في خلال يومين، قرر تأديبي. لقد علم أن ما فعله لن يقتلني، وإنما سيجعلني أفيق بعد عشر ساعات أو اثنتي عشرة، وقد فكر أنه خلال هذه المدة أنه سيمكنه الحصول على إجابات معينة بدون مساعدتي، وبدون أن أتدخل لأفسد عليه خططه. عبس سبايد ”أتمنى من الله أن يكون مخطئًا. لم تسمعي من الأنسة أوشونسي، أليس كذلك؟“

هزّت الفتاة رأسها نافية وسألت: ”هل هذا الأمر متعلق بها؟“
”بعضه.“

”هل تملك هي ذاك الشيء الذي يريده الرجل؟“
”أو يملكه ملك إسبانيا. حبيبتني، ألا تملكين خالًا يعمل أستاذًا للتاريخ في الجامعة أو ما شابه؟“
”ابن خال، لماذا؟“

“هل يمكنه الاحتفاظ بالسر، إن أنعشنا قريحته المحبة للعلم بسرّ تاريخيٍّ أسطوريٍّ يعود عمره إلى قرون أربعة مضت.

“آه. نعم. هو رجل جيد.”

“جميل. أحضري أوراقك وأقلامك.”

أتت إيفي بما طلبت وجلست إلى مقعدها، أجرى سبايد المزيد من الماء البارد على منديله، وظل يسنده إلى صدغه المتورم.

وقف سبايد أمامها وأملاها قصة الصقر تمامًا كما سمعها من جوتمان، بداية من منحة شارل الخامس، ومرورًا بالهوسبتاليين - وانتهاءً بالطائر المطلي بالمينا السوداء ووصوله إلى باريس إبان الحرب الكارلية. تعثر سبايد قليلًا في ذكر أسامي مؤلفي المراجع كما ذكرها جوتمان، ولكنه استطاع أن يتذكّر بعضها أو ما يشابهها في المعنى. أكمل بعدها قصّ الحكاية وكزّرها كحكاية بارع.

عندما انتهى من قص الحكاية، أغلقت الفتاة مفكرتها ورفعت إليه وجهها بابتسامة. “أليس هذا أمرًا في غاية التشويق.”، قالت، “إنه..”

“نعم، أو ربما غاية في السخافة، والآن هلا ذهبت إلى ابن عمّك وسألته عن رأيه؟ هل مرّ عليه أي

معلومات تتقاطع مع أيّ من هذه الروايات؟ هل هناك احتمالية أن تكون الروايات حقيقية؟ حتى ولو بدرجة ضعيفة؟ او هي خدعة؟ إن أراد مُهله للبحث، لا بأس، ولكن احصلي منه على رأيه على الأقل. وبحق الله، اجعليه يحتفظ بالسر قدر ما أمكنه."

"سأذهب الآن، واذهب أنت لزيارة طبيب لفحص رأسك."

"لتناول إفطارنا أولاً."

"لا، سأتناول إفطاري في بيركلي. لا يمكنني الانتظار حتى أسمع رأي تيد في هذا الأمر."

"حسنًا، لا تبدئي في التذمّر إذا إن ضحك في وجهك."

بعد أن تناول إفطاره الفاخر في فندق ذا بالاس، وقرأ خلالها جريدتي الصباح، عاد سبايد إلى منزله، حلق، واستحمى، ومرر بعضًا من الثلج على كدمته، وارتدى ملابس نظيفة. ذهب سبايد بعدها إلى شقة بريجيد أوشونسي في الكورونت. لم يكن هناك أحد بالشقة ولم يتغير أي شيء فيها منذ زيارته الأخيرة لها. غادر بعدها إلى فندق ألكساندريا، ولم يكن جوتمان هناك، وكان جناحه فارغًا من قاطنيه جميعًا، علم سبايد

بعدها أن من شاركوه الجناح كانوا: سكرتيرته، ويلمر كووك، وابنته ريتا، فتاة صغيرة ذات عينيْن بنيتين وشعر ناعم، تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، قال عنها العاملون بالفندق إنها كانت جميلة بحق، وأخبر سبايد أن جوتمان وحاشيته قد وصلوا إلى الفندق قبل عشرة أيام وأنهم لم يدفعوا حسابهم في أي نية للمغادرة بعد. غادر سبايد بعدها إلى بليفيدير، وقابل محقق الفندق يتناول طعامه في مقهى الفندق.

“صباح الخير يا سام، اجلس وتناول بعض البيض”، ثم لاحظ المحقق صدغ سبايد المتورم، “يا إلهي، لقد ضربك أحدهم بكرم زائد.”

“أشكرك لقد تناولت نصيبي من البيض بالفعل”، قال سبايد وجلس، ثم قال قاصدًا إصابته: “إنها تبدو أسوأ مما هي عليه حقًا، كيف حال مراقبتك لكايرو؟”

“لقد خرج بعد نصف ساعة من رحيلك عن المكان بالأمس، ولم يعد إلى هنا منذ ذلك الحين، لم يقض الليلة هنا.”

“لقد تعود على المبيت خارجًا فيما يبدو.”

“رجل كهذا في مدينة كبيرة، أمرٌ طبيعيٌّ. مَنْ منحك الكدمة يا سام؟”

“لم يكن كايرو من فعلها.”

نظر سبايد شارداً إلى الفقاعات التي علت قطعة التوست أمام لوك. "ما فرصتنا في فحص غرفته بينما هو في الخارج؟"

"يمكننا فعل ذلك. تعلم أنني مستعد لمساعدتك حتى النهاية وفي كل وقت."

أزاح سبايد قهوته، واستند بمرفقيه على الطاولة، وركّز عينيه على سبايد. "ولكن لدي حدس بأنك لست تطلعي على كامل الأمر. ما هو خبر ذاك الرجل بأمانة يا سام؟ لا داعي لأن تخفي عني الأمر، تعلم أنني لن أفشي سرّك."

"أعلم أنك لن تفعل ذلك، وأنا لا أخفي شيئاً عنك، لقد كنت صريحاً معك، إنني أقوم له بمهمة، ولكن لديه بعض الأصدقاء الذين لا أثق بهم كثيراً ويقلقني أمرهم."

"كان الفتى الذي طردناه بالأمس واحداً منهم."

"نعم يا لوك، كان واحداً منهم."

"وكان أحدهم أيضاً ذلك الذي أردى مايلز قتيلاً."

هز سبايد رأسه نافية. "ثورزبي هو من قتل مايلز."

"ومن قتل ثورزبي؟"

ابتسم سبايد. "من المفترض أن يبقى هذا سرّاً، ولكن أنا من قتلته"، قال سام وأضاف بعدها "طبّقاً"

لافتراضات الشرطة".

وقف لوك، "أنت رجل صعب ليتمكن المرء من محاولة فهمك يا سام، هيّا دعنا نلقي نظرة".

وقف الرجلان لفترة عند مكتب الاستقبال ليتمكن من تدبير الأمر "لتجعل جرس هاتف الغرفة يرن إن وصل كايرو إلى الغرفة"، ثم صعدا بعدها إلى غرفته.

كان سرير كايرو نظيفًا ومرتبًا، بينما امتلأت سلة المهملات بورق كثيرٍ مجعّد، وقد أكدت مناشف الحمام التي وجدوها مبعثرة أن عاملة التنظيف لم تزر الغرفة لترتيبها بعد منذ الصباح.

كانت أمتعة كايرو عبارة عن حقيبة مربعة، وواحدة صغيرة، وأخيرة جلدية صغيرة.

كان حمامه يمتلئ عن آخره بمستحضرات التجميل؛ صناديق، علب، أوعية وزجاجات بودرة، كريمات، مراهم، عطور، مرطبات، ومساحيق. غلقت بذلتان ومعطف في خزانة ملابسه، فوق ثلاثة أزواج من الأحذية الملمعة جيدًا. كانت حقيبتاه الصغيرتان غير مغلقتين بقفليهما، واستطاع لوك فتح حقيبته الكبيرة بينما انتهى سبايد من فحص كافة الأشياء في الغرفة.

"لا شيء حتى الآن"، قال سبايد بينما كانا يفحصان محتويات الحقيبة. لم يجدا هناك أي شيء قد يثير

الاهتمام.

- "هل هناك شيء محدد يفترض أننا نبحث عنه؟"
سأل لوك بينما يعيد إغلاق الحقيبة كما كانت.

"لا. من المفترض أنه قد أتى إلى هنا رأسًا من
أسطنبول. أريد أن أعرف حقيقة هذه المعلومة. لم أر
أي شيء حتى الآن ينفبها."

"أتساءل إن كان يمارس أشياء غير مشروعة؟"

"هذا ما أود معرفته أيضًا." قطع سبايد الغرفة حتى
سلة المهملات وانحنى جالسًا بجوارها. "هذه فرصتنا
الأخيرة."

أخرج سبايد جريدة من السلة. لمعت عيناه عندما
اكتشف أنها كانت نسخة من جريدة "ذا كول"، بتاريخ
الأمس. كانت مطوية بحيث برزت صفحة الإعلانات
كغلافها. فتحها، ثم تفحص تلك الصفحة، ولكنه لم يجد
أي شيء يثير انتباهه، قلب بعدها الصفحة ناظرًا إلى
الصفحة التي طويت للداخل، التي احتوت على أخبار
المال والشحن، الطقس، المواليد، الزواج، الطلاق،
والوفيات. على الجانب الأيسر من الصفحة، تم اقتطاع
جزء من الخبر بالعمود الثاني، قطعة لا تتجاوز إنشين
بحالٍ.

فوق القطعة الممزقة تمامًا كان العنوان التالي: وصل

اليوم، يتبعها هذا الترتيب:

12:20 صباحًا - كاباك من استوريا

5:05 هيلين ب. درو من جرينوود

5:06 أبردو من باندون

كان الجزء المقطوع من الصحيفة قد جار على السطر التالي فلم يخلف منه سوى أثر يكاد لا يبين لجملة "من سيدني".

وضع سبايد الجريدة على المكتب، وعاد ينظر في محتويات السلة. وجد سبايد بعض ورق التغليف، قطعة خيط، ورقعتي سعر لزوجين من الجوارب، بطاقة خصم على شراء نصف دسته من الجوارب الرجالي، وفي عمق السلة وجد سبايد قطعة صغيرة جدًا من صفحة ما من الجريدة، مجعّدة ومكوّرة.

فتح سبايد الورقة المكوّرة، ومسّدها على المكتب، ثم طابقتها بالجزء المقتطع من صفحة جريدة "ذا كول"، كانت القطعة تنتمي بالفعل للجزء الممزق، غير أنها لم تكن كاملة، بل نقص ما بين طرفها المجعد وجملة "في سيدني" السابق ذكرها، قطعة صغيرة من الجريدة لم يبلغ طولها أكثر من نصف إنش، قطعة هامة لا بُدّ قد احتوت على خبر وصول ست أو سبع مراكب. قلب سبايد قطعة الورق الممزقة، فوجد على ظهرها نصًا

مقتطعًا من إعلان عن سمسار للبورصة غير ذي أهمية.
مال لوك من فوق ظهر سبايد وسأل: "ما حكاية هذه
الأوراق المقتطعة؟"

"يبدو أن السيد لديه اهتمام ما بالسفن"

"حسنًا. ليس هناك قانون يمنع هذا، أليس كذلك؟"
سأل لوك بينما وضع سبايد صفحة الجريدة والورقة
الصغيرة المقتطعة منها في جيب معطفه. "هل انتهينا
هنا؟"

"نعم يا لوك، أشكرك جدًا. هلا اتصلت بي عندما
يعود؟"

"بالطبع."

ذهب سبايد إلى المقر الإداري لجريدة "ذا كول"،
واشترى نسخة من عدد اليوم الماضي، فتح الجريدة
على صفحة أخبار الشحن، وقارنها بالصفحة التي
أخذها من سلة كايرو. كان النص في الجزء الناقص
يحمل المعلومات التالية:

5:17 صباحًا تاهيتي من سيدني وبابيتي

6:05 صباحًا أدميرال بيوبلز من أستوريا

8:07 صباحًا كادوبيك من سان بيدرو

8:17 صباحًا سيلفيرادو من سان بيدرو

8:05 صباحًا لا بالوما من هونج كونج

9:03 صباحًا ديزي جراي من سياتل

قرأ سبايد القائمة ببطءٍ وعندما انتهى منها، مَرَّ ظفره ببطءٍ تحت كلمة "هونج كونج"، اقتطع سبايد قائمة الوصول كاملة من الجريدة باستخدام سكين الجيب، ثم تخلص في سلة المهملات من نسخته من الجريدة مع كل حمولته من سلة كايرو، وعاد أدراجه إلى مكتبه.

جلس سبايد على المكتب، وبحث عن رقم ما في دليل التليفون، وبدأ يطلبه.

"كيرني 1401، من فضلك. أين بالوما الآن، التي غادرت هونج كونج صباح أمس، هل وصلت إلى الرصيف بعد؟ كرر السؤال بعدها. "شكرًا". أغلق سبايد الخط وظلَّ ممسكًا بالسماعة للحظة، "دافينبورت 2020، من فضلك. مكتب المحقق فضلاً.. هل الرقيب بولهاوس هنا؟.. شكرًا.. أهلاً توم، أنا سام سبايد.. نعم لقد حاولت الاتصال بك ظهر يوم أمس. بالطبع، يمكننا أن نتناول الغداء سوياً. اتفقنا.

أبقى سبايد السماعة على أذنه، بينما إبهامه يضغط على زر إغلاق الخط مجدداً.

"دافنپورت 0170، من فضلك. مرحبًا، أنا سام

سبايد. لقد تلقت سكرتيرتي بالأمس رسالة مفادها أن السيد بريان يريد مقابلي. هلا سألته من فضلك عن الوقت الأنسب لحضوري لملاقاته؟ نعم سبايد، س ب ا ي د" فترة صمت طويلة، عاد بعدها الطرف الآخر للحديث، "نعم. الثانية والنصف. حسناً. شكرًا."

طلب سبايد رقمًا خامسًا وقال: "مرحبًا يا عزيزتي، هل يمكنني الحديث إلى سيد؟.. أهلاً، سيد - أنا سام. لدي ميعاد مع المحامي العام في تمام الثانية والنصف هذا الظهر. هلا اتصلت بي - هنا أو هناك - في تمام الرابعة، فقط لتتأكد أنني لم أقع في أي مشاكل؟ فليذهب ميعاد الجولف الخاص بظهيرة السبت إلى الجحيم: إن وظيفتك تتلخص في أن تبقيني خارج السجن. صحيح يا سيد. إلى اللقاء."

أزاح سبايد الهاتف، ثناءب، وتمطى، ثم تحسس جانب رأسه المتورم، نظر بعدها إلى ساعته، ثم بدأ في لف سيجارة، أشعلها بعدها. بدأ في التدخين شاردًا بعينين ناعستين حتى دخلت إيفي برين إلى المكتب.

دخلت إيفي برين إلى المكتب بابتسامة عريضة، عونن لامعة ووجه متورّد. "قال تيد إن النظرية ممكنة"، بلغته بما حدث، "بل إنه يتمنى أن تكون. قال إنه ليس مختصًا بالتحديد في هذه الناحية من

التاريخ، ولكن الأسماء والتواريخ كلها صحيحة، وأن المراجع التي ذكرت صادقة تمامًا وغير مزورة. إنه متحمس جدًا للموضوع.

“هذا عظيم، طالما أنه لا يتحمس بذلك الشكل تجاه الأشياء والحكايات المزيفة.”

“لا يفعل.. ليس تيد الذي يفعل! إنه ماهر جدًا في مجال عمله وخبير.”

“نعم. نعم. عائلة برين اللعينة لا تنجب سوى الماهرين، بما فيهم أنتِ وتلك اللطخة التي تزين أنفك.”

“هو ليس من عائلة برين، إنه من عائلة كريستي”، ثم أمالت رأسها لتستطلع لطخة الرماد التي ذكر سبايد في مراتها الصغيرة، “لا بُدَّ أنها قد التصقت بي من أثر الحريق” مسحت عن أنفها أثر الرماد بطرف منديلها.

“هل أشعل حماس عائلة برين.. كريستي جامعة بيركلي العريقة؟”

نظرت إليه في لوم بينما تربّت على أنفها بطبقة من بودرة التجميل الوردية. “لقد اندلع حريق على سفينة ما، كانوا يحاولون السيطرة عليه وقد طال الدخان العبارة التي ركبت.”

استند سبايد إلى ذراعي مقعده. “هل اقتربت بما يكفي ليمكنك قراءة اسم السفينة؟” سأل.

“نعم. لا بالوما. لماذا؟”

ابتسم سبايد. “اللعنة عليّ إن كنت أدري لماذا يا
عزبتي.”

الفصل الخامس عشر كل معتوه في المدينة

جلس سبايد والمحقق - الرقيب بولهاوز يتناولان وجبتهما من أرجل الخنزير المخللة في أحد مطاعم شارع هوف برو.

بعد أن وازن بولهاوز قطعة شاحبة من اللحم على شوكته، وفي منتصف الطريق بين طبقه وفمه قال: "اسمع يا سام، انس أمر الليلة الماضية. كان داندي مخطئًا تمامًا، ولكنك تعرف أن أي شخص يمكنه أن يفقد عقله إن تمت إثارته بهذا الشكل."

نظر سبايد بتقدير إلى محقق الشرطة. "هل هذا ما أردت مقابلي بشأنه؟"

أوما بولهاوس، ووضع الشوكة الممتلئة باللحم الطري في فمه، بلعه، ودغم إيماءته: "في غالب الأمر."

"هل أرسلك داندي إليّ؟"

امتعض توم. "أنت تعلم أنه لم يفعل. إنه عنيد لعين، مثلك تمامًا."

ابتسم سبايد وهز رأسه. "لا يا توم"، قال، "إنه يظن فقط أنه كذلك."

عبس توم واستخدم سكينه في تقطيع قطعة من

اللحم على طبقه. "ألن تنضج أبدًا؟" زمجر. "ماذا لديك لتتذمر بشأنه أصلًا؟ إنه لم يؤذِك. لقد كسبت النزال، فما داعيك لحمل ضغينة تجاهه، أنت تشفق على حالك أكثر مما يحتاجه الأمر."

وضع سبايد شوكته وسكينته على الطبق متجاورتين، ثم أراح يديه على الطاولة بجانب طبقه. كانت ابتسامته هادئة، دافئة وحميمة.

"بينما يسعى كل من في المدينة لمنحي سببًا لأقلق وأشفق على نفسي، بعض القلق من طرفي لن يضر." زاد سخط توم. "هذا الطف ردّ يمكن أن أسمع منه منك."

التقط توم شوكته وسكينته مجددًا وبدأ في تناول طعامه مجددًا.

هل شاهدت الحريق اليوم عند الخليج؟" سأل سبايد.

"لاحظت الدخان. كُن عاقلًا يا سبايد، كان داندي مخطئًا وهو يعرف هذا، لماذا لا نترك الأمور عند هذا الحل؟"

"أعتقد أن عليّ مقابلته لأخبره أن ذقني تتمنى لو لم تؤذ قبضته للغاية؟"

بدأ بولهاوس يقطع قطعة اللحم أمامه في قسوة.

“هل تقدم لكم فيل آرتشر بأي معلومات هامة أخرى؟” سأل سبايد

“آه، حسنًا! لم يظن داندي على الإطلاق بأنك قد قتلت مايلز، ماذا كان عليه أن يفعل مع هذا سوى تتبع المعلومات التي جاءتته. لكنك فعلت الأمر نفسه إن كنت في مكانه، وأنت تعلم هذا جيدًا.”

“حقًا؟” لمعت نظرة متخابثة في عيني سبايد، “ما الذي جعله يظن إذًا أنني لم أفعّلها؟ وما الذي يؤسس لديك ذات الشعور، أم أن شعورك مختلف؟”

سطع وجه بولهاوس الغاضب مجددًا، “ثورزبي هو من قتل مايلز.”

“أنت تظن أنه حقًا من فعلها؟”

“لقد فعلها. المسدس كان له، والرصاصة في جسد مايلز خرجت منه.”

“هذه معلومات أكيدة؟” سأل سبايد

“أكيدة تمامًا”، ردّ محقق الشرطة. “لقد وصلنا إلى فتى شاب - يعمل خادمًا بالفندق - قال إنه قد رأى المسدس ذاته في حجرة ثورزبي. لقد استرعي انتباهه لأنه لم يكن قد رأى واحدًا مثله من قبل. أنا نفسي لم أر واحدًا مثله من قبل. أنت قلت إنهم لم يعودوا يصنعون منه مجددًا. بالتالي ليس من المرجح أن يكون

المسدس نسخةً أخرى تخص شخصًا آخر، وإن كان،
فأين ذهبت نسخة تورزبي؟ كما أن النسخة التي
وجدناها هي ذاتها التي أطلقت منها الرصاصة التي
قتلت مايلز" قرر أن يأكل قطعة من الخبز، ثم تراجع
وأزاحها وسأل سبايد: "تقول إنك قد رأيت مثل هذا
النوع من المسدسات من قبل، أين كان هذا؟"، ثم عاد
ووضع قطعة الخبز في فمه.

"في إنجلترا، قبل الحرب."

"بالطبع. نعم، رأيت؟"

هز سبايد رأسه موافقًا وقال: "إذًا هذا يجعلني
مشتبهًا في قتل تورزبي فقط."

تململ بولهاوس في مقعده، واحمرّ وجهه ولمع. "حبًا
بالله، ألن تنسى هذا الأمر أبدًا؟" عاتبه توم بشدة. "هذا
ليس احتمالًا حتى، وأنت تعلم هذا تمامًا كما أعلمه.
لأنك تتصرف بذات السخافة بينما تصرّ على التذمر من
كل شيء. أعتقد أنك أيضًا لا تمارس ذات الألعاب
الذهنية على الآخرين عندما تضطرك الظروف لهذا؟"

"تقصد أنكم حاولتم ممارسة ألعابكم الذهنية عليّ يا
توم، حاولتم فقط."

أطلق بولهاوس لعناته الغاضبة بصوتٍ لا يكاد يُسمع،
ثم صبّ غضبه على ما تبقى من اللحم في طبقه.

”حسنًا، أنت تعرف أنني لم أفعلها، وأنا أعرف، ماذا
عن داندي؟“

”هو أيضًا يعرف أنك لم تفعلها.“

”وما الذي قد أعاد إليه رشده؟“

”آه يا سام. إنه لم يظن أبدًا أنك قد...“ تفحص
سبايد توم بابتسامة على شفثيه. قطع توم جملته
وقال: ”لقد بحثنا في أمر ثورزبي.“
”وماذا وجدتم؟“

حدّقت عينا بولهاوس البنيتان في وجه سام. قال
سبايد منزعجًا: ”إنني أتمنى حقًا لو كنت أعلم عن أمر
ثورزبي هذا نصف ما تظنون أنني أعرفه عنه حقًا.“

”أتمنى لو كنا جميعًا نعرف ذلك“، تذمّر بولهاوس.
”كان أحد مجرمي منطقة سانت لويس، هذا أول ما
عرفنا عنه، ولقد قبض عليه هناك أكثر من مرة لسبب أو
لآخر، لكنه كان أحد أفراد عصابة إيجان، لذلك لم
يستطع أحد احتجازه لفترة طويلة، لا نعلم لماذا رحل
عنهم، ولكنه قد قبض عليه بعد وصوله إلى نيويورك
لتحايله في لعب القمار- سلّمته عشيقته إلى الشرطة -
وقضى عامًا في السجن قبل أن يساعده فالون في
الهرب، بعد عامين قبض عليه وقضى فترة في سجن
جولييت لإحداثه إصابات بإحدى عشيقاته باستخدام

يد مسدس صغير بعد أن أثارت غضبه. بعد أن التحق بخدمة ديكسي موناهان، لم يواجه أي مشكلة في الخروج من أي مأزق كان يتعرض له مع الشرطة. ذلك في الوقت الذي كان فيه ديكسي بنفس شهرة و نفوذ نيك اليوناني في صالات القمار في شيكاغو. كان ثورزبي هو حارس ديكسي الشخصي، وقد هرب معه عندما اختلف ديكسي مع باقي أفراد العصابة حول بعض الديون التي لم يستطع أو لم يرد دفعها. كان هذا منذ عامين - في الوقت الذي قد أُغلق فيه نادي نيوبورت للمراكب تقريبًا. لا أعلم إن كان لديكسي يد في هذا الأمر، ولكن تلك كانت المرة الأولى التي يرى فيها أحدهم ديكسي أو ثورزبي رأى العين على الإطلاق.

“هل شاهد أحدهم ديكسي هذا شخصيًا؟”

هزّ بولهاوس رأسه. “لا”، أصبحت عيناه حادتين.

“هل رأيته أنت أو تعرف أحدًا قد رآه من قبل؟”

“لا أنا لم أره من قبل”، مال سبايد إلى ظهر المقعد

وبدأ في لف سيجار وقال بطبيعية: “هذه معلومات جديدة تمامًا.”

“أعتقد ذلك”.. قال بولهاوس

ابتسم له سبايد وسأله: “من أين حصلت على كل

تلك المعلومات عن ثورزبي؟”

“بعضها مذكور بالفعل في سجلاتنا. أما الباقي -
 حسنًا - فقد حصلنا عليها من هنا وهناك.”
 “من كايرو مثلاً؟” لمعت عينا سبايد بالخبث.

وضع بولهاوس قهوته على الطاولة وهزّ رأسه نافيًا:
 “لم نحصل منه على كلمة واحدة. لقد أفسدت علينا كل
 طريق إليه.”

“تعني أن ماكرين مثلكما، وداندي بكل ما يستطيع
 من تهديد وإغراءات، لم تتمكننا من انتزاع اعترافاته
 طوال الليل؟”

“ماذا تعني بطوال الليل؟” اعترض بولهاوس. “لم
 نحتجزه للتحقيق لأكثر من ساعتين، علمنا أننا لن
 يمكننا الحصول منه على أي شيء يفيد فأطلقنا
 سراحه.”

ضحك سبايد مجددًا ونظر في ساعته. تلاقى عيناها
 وجون صاحب المطعم وطلب الحساب.

“لدي ميعاد مع النائب العام بعد الظهر” قال سبايد
 لبولهاوس بينما كانا ينتظران باقي حساب الفاتورة
 التي دفعها سبايد.

- “هل أرسل في طلبك؟”

“نعم.”

أزاح بولهاوس مقعده إلى الورا وقام، رجل طويل

كان بجسد سمين، صلب وهادئ. "سوف تسيء إليّ إن أخبرته أنني قد أخبرتك بكل تلك التفاصيل".

أشار شاب طويل ذو أذن بارزة إلى سبايد بالدخول إلى غرفة النائب العام.

دخل سبايد إلى الغرفة مبتسمًا بطبيعية: "أهلاً، بريان".

قام المحامي العام ومدّ يده مصافحًا سبايد، كان بريان رجلًا أشقر ذا بنية جسدية متوسطة، يبلغ من العمر خمسة وأربعين عامًا تقريبًا، تختبئ عيناه الجريئتان خلف نظارته التي ترقد على أنفه في إطارها الأسود. فم كبير يليق بخطيب مفوّه، وذقن عريضة ذات غمازة. رنّ صدى الشلطة الكامنة في صوته عندما ردّ تحية سبايد: "كيف حالك يا سبايد؟"

تصافح الرجلان وجلسا.

ضغط المحامي العام على أحد الأزرار البيضاء في جهاز النداء على مكتبه، وقال للشاب الطويل الرفيع الذي ظلّ من الباب، "اطلب من السيدان توماس وهيلي أن يحضرا"، مال بعدها بكرسيه إلى الوراء، وتوجه بحديث مهذب إلى سبايد: "لا يبدو أنك تتفق ومحققي الشرطة جيدًا، أليس كذلك؟"

أشاح سبايد بيده اليمنى كمن لا يهتم حقًا بالأمر: "لا شيء جدّي في الأمر"، قال بخفة. "من عادة داندي فقط أن يتحمّس للأمور بشدة."

انفتح الباب ودخل رجلان، حيّا سبايد أحدهما قائلاً: "أهلاً توماس"، كان رجلاً لَوّحت الشمس بشرته، في الثلاثين من عمره، ممتلئ الجسم، ذا هيئة غير مهندمة. ربّت الرجل بيد يغطيها النمش على كتف سبايد: "كيف حالك؟"، ثم جلس بجواره. كان الرجل الثاني أصغر في العمر ويبدو غامضًا. جلس بعيدًا عن الجميع بينما تستند على ركبتيه أوراق اختزال يرقد فوقها قلم ذو لون أخضر.

نظر سبايد إليه، ثم ضحك، وسأل بريان: "هل كل ما سأذكره سيستخدم ضدي في المحكمة؟"

ابتسم المحامي العام. "لا ضرر يأتي من تدوين الأقوال بل العكس". رفع المحامي العام نظارته عن أنفه، نظر إليها ثم أعادها ترقد مكانها مجددًا. نظر بعينيه عبر زجاج النظارة عميقًا في عيني سبايد وسأل: "من قتل ثورزبي؟"

قال سبايد: "لا أعلم".

مسح بريان نظارته بين إبهامه وقال بتأكيد: "ربما لا تعرف، لكنك بالتأكيد التخمين".

”ربما، لكنني لن أحاول.“

رفع المحامي العام حاجبيه.

”لن أحاول“، كررها سبايد. كان هادئًا. ”ربما سيكون تخميني ممتازًا، أو سيئًا، ولكن السيدة سبايد لم تربي أي أولاد من الحمق بما يكفي ليقوموا بتخمين أمر كهذا أمام المحامي العام ومساعدته وكاتبه.“

”لماذا لا نخبرنا بتخمينك إذا إن لم يكن لديك شيء تخفيه؟“

”الجميع“، قال سبايد بطبيعية، ”لديهم شيء يخفونه.“

”وأنت لديك مثلهم.“

”نعم، تخميناتي مثلًا“

نظر المحامي العام إلى مكتبه ثم إلى سبايد، وأعاد تثبيت نظارته على أنفه. ”إن لم ترد كاتب الجلسة هنا، يمكنني أن أطلب إليه الرحيل. لقد جلبته هنا ليبدو الأمر مناسبًا.“

”لا أبالي حقًا بوجوده“، ردَّ سبايد، ”أنا أرحب بأن يدوّن كل الكلام الذي سأقوله وأنا على استعداد أن أوقع عليه.“

”لا ننوي أن نطلب توقيعك على أي شيء“، طمأنه بريان. ”أتمنى ألا تعتبر هذا كاستجواب رسمي أو ما

شابه على الإطلاق. وأرجوك ألا تظن أنني أملك أي اعتراف - ناهيك عن اليقين - بأي من تلك النظريات التي تتبناها الشرطة.

“أنت لا تفعل؟”

“مطلقًا.”

تنهَّد سبايد وجلس مقاطعًا ساقيه. “أنا سعيد لسماع هذا”، بحث في جيوبه عن التبغ وورق لف السجائر. “ما نظرتك إذًا؟”

مال بريان بكرسيه إلى الأمام وكانت عيناه قاسيتين وتلمعان بأثرٍ من عدسات النظارة التي انعكست عليها. “أخبرني لصالح من كان آرتشر يتتبع تورزبي، وسأخبرك من قتل تورزبي.”

كانت ضحكة سبايد قصيرة وإنما غاية في السخرية. “أنت مخطئ تمامًا كداندي.”

“لا تُسئ فهمي يا سبايد”، قال بريان بينما طرق بقبضته على مكتبه. “لا أقصد أن موكلك هو من قتل تورزبي أو أرسل أحدهم لقتله، ولكني أقصد فعلاً أن التعرف إلى كنية موكلك ستجعلنا نتوصل إلى قاتل تورزبي قريبًا جدًا.”

أشعل سبايد سيجارته، ثم أخرجها من فمه، ونفت دخانها عبر رئتيه، وتحدّث كما لو كان المبدأ الذي قاله

بريان لتوّه قد حيّره.

“لا أفهم مقصدك تمامًا.”

“لا تفهم؟ إذا دعنا نسأل عن الأمر بطريقة أخرى:

“أين ديكسي موناهان؟”

ظلّ وجه سبايد على ملامحه الحائرة، “هذه الطريقة

الأخرى لا توضح شيئًا بعد، ما زلت لا أفهم.”

خلع المحامي العام نظارته، وأشار بها في تحفيز.

“نعرف أن ثورزبي كان الحارس الشخصي لموناهان،

وقد رافقه عندما قرّر موناهان أنه من الحكمة أن يقوم

بمغادرة شيكاغو، نحن نعلم أن موناهان كان متورطًا

في دين قمار بلغ مائتي ألف من الدولارات عندما

اختفى. لم نعلم بعد من كان الدائنون على وجه الدقة.”

وضع بريان نظارته على وجهه مجددًا وابتسم ببشاشة:

“ولكننا نعرف جميعًا ماذا يمكن أن يحدث للمقامرين

الذين يهربون من الدائنين، وماذا قد يحدث لهم

ولحراسهم الشخصيين إن وجدهم الدائنون.”

بلل سبايد شفتيه بلسانه وامتعض لتخيّل الحادثة،

لمعت عيناه تحت حاجبيه اللذين انخفضا في تركيز.

انتفخت رقبتة الحمراء وبرزت من ياقة قميصه. كان

صوته خفيًا ومحببًا: “إذا ماذا تظن؟ أنني قد قتلته

بتحريض من دائنيه؟ أو أنني فقط قد وجدته لهم

وتركتهم يقومون باللازم؟”

“لا لا لا”، اعترض المحامي العام، “لقد أسأت فهمي.”

“أتمنى ذلك.”

“لم يقصد ذلك.” قال توماس

“إِذَا ما الذي كان يقصده؟”

أشاح بريان بيده. “لقد قصدت أنك ربما كنت متورطًا في هذا الأمر من دون أنت تدري. أنه ربما..”
 “أفهمك. أنت لا تقصد أنني مجرم وإنما فقط أحمق.”

“هراء”، أصر بريان، “تخيل أن أحدهم قد جاء إليك وطلب منك الوصول إلى مكان موناهان، وأخبروك أن لديهم أسبابًا للاقتناع بأنه موجود بالفعل في المدينة. قد يكون ذلك الشخص قد زودك بقصة خاطئة تمامًا - يمكنه تزوير العشرات منها - أو أن يخبرك أنه مدين قد فرّ وأنه يسعى إليه بدون أن يمنحك أي تفاصيل. كيف كان ليتمكنك أن تعرف ما الغرض من وراء طلبه؟ كيف كان ليتمكنك أن تدرك أن الأمر ربما يتعدى إحدى مهام المحققين التي تمارسها. وتحت هذه الظروف، لا يمكنك أن تلام على الدور الذي لعبته في القضية - أصبح صوته هنا ذا نبرة معبرة وخرجت كلماته واضحة

ومقصودة - إلا بالطبع إن قررت أن تجعل من نفسك شريكًا في الجريمة بإخفاء أي معلومات عن جريمة قتل أو هوية أو معلومة ما قد تسمح له بالإفلات.

رحل الغضب عن ملامح سبايد وكان قد غادر حتى نبرات صوته حين سأل: "هذا ما قصدته؟"

"بالتحديد"

"حسنًا. أتمنى ألا تحمل لي أي ضغينة. ولكنك مخطئ تمامًا."

"اثبت لي هذا."

هزّ سبايد رأسه. "لا يمكنني أن أثبت ذلك لك الآن ولكنني يمكنني أن أخبرك."

"إذا أخبرني."

"لم يطلب مني أي شخص أن أفعل أي شيء يخص ديكسي موناهان."

تبادل بريان وتوماس النظرات، ثم عاد بريان ينظر إلى سبايد: "ولكنك قد اعترفت أن أحدهم قد طلب إليك بالفعل شيئًا بخصوص حارسه ثورزبي."

"نعم شيء بخصوص حارسه السابق ثورزبي."

"السابق؟"

"نعم السابق."

“هل تعلم على وجه اليقين أن ثورزبي قد أنهى تعامله مع موناهان، أنت متأكد من هذا؟”

مدَّ سبايد يده وأطفأ سيجارته في منفضة السجائر على الطاولة، وقال بلا اهتمام حقيقي: “لست أعلم شيئاً على وجه التأكيد، إلا أن موكلي لم يكن لديه أيُّ اهتمامٍ يُذكر بموناهان لا حالياً ولا أبداً. سمعت أن ثورزبي قد رافق موناهان إلى الشرق ثم فقدته فجأة.”

تبادل المحامي العام ومساعدته النظرات مرة أخرى.

قال توماس بنيرة لم تخلُ من حماس، “هذا يكشف أمامنا زاوية أخرى، ربما قرر أحد أصدقاء موناهان أن ينتقم من ثورزبي لأنه قد تخلى عن موناهان.”

“المقامرون الميتون ليس لديهم أصدقاء.”

“في حقيقة الأمر هناك زاويتان للنظر إلى الأمر من خلالهما”، قال بريان. مال بمقعده للخلف وظلَّ محدقاً بالسقف لعدة لحظات، ثم اعتدل بعدها من فوره، وكان وجهه كخطيبٍ مفوّهٍ قد استعاد بريقه. “يتركنا الأمر مع ثلاثة احتمالات. الأول: قُتل ثورزبي على يد الدائنين الذين خدعهم موناهان في شيكاغو. دون أن يعرفوا - أو يصدقوا - أن ثورزبي قد ترك العمل لدى موناهان، وإنما قتلوه لأنهم اعتبروه شريك موناهان، أو ليتخلصوا منه ليتمكن الوصول لموناهان بسهولة أو

ربما لرفضه أن يرشدهم إلى مكانه. الثاني: قُتل تورزبي على يد أصدقاء موناهان. أو الاحتمال الثالث: أنه قد باع موناهان لخصومه بالفعل ثم اختلف معهم فيما بعد وقتلوه.

“أو الاحتمال الرابع”، اقترح سبايد بابتسامة مرحة، “أنه قد مات نتيجة لتقدمه في السن، أنتم تمزحون أليس كذلك؟”

حدّق الرجلان في سبايد ولم يتكلم أيّ منهما. تبادل سبايد النظر إلى وجوههم بابتسامة ثم هز رأسه في شفقة ساخرة. “لديكم بعض جينات أرنولد روثستين (10) في عقولكم.”

ضرب بريان كفاً بكف.

“تنحصر الحقيقة ما بين الاحتمالات الثلاثة التي ذكرت لك”. لم تكن القوة في صوته تصدح كما قبل. وأشار بقبضة مضمومة إلا من إصبعها الأوسط الذي أخذ يتراقص لأعلى ولأسفل لينتهي بالإصبع مرفوعاً وموجهًا نحو صدر سبايد. “ويمكنك أن نخبرنا ببعض المعلومات التي ستمكننا من أن نقرر أي نظرية نتبع.”

- “نعم؟” قال سبايد بكسل. كان وجهه حزينًا. لمس طرف شفته العليا بإصبعه، ثم نظر إليه، وعاد وحكّ به المنطقة خلف رقبته. ظهرت بعض تجاعيد تنم عن

انزعاج تام على جبهته. نفت زفيرًا عميقًا من فمه وعدم صوته كل حس للفكاهة. "أنت لا تريد أن تعرف المعلومات التي يمكنني أن أخبرك بها يا بريان، ستنسف نظريتك عن انتقام المقامرین تمامًا."

اعتدل بريان وبرز كتفيه إلى الأمام. كان صوته حازمًا بغير نبرة هجومية. "لست أنت من تقرر ذلك. صحة نظريتي أو خطأها. أنا المحامي العام" ضحك سبايد حتى ارتفعت شفته العليا وظهر نابيه. "لقد ظننت أن هذا حديث غير رسمي."

"أنا ضابط على قوة القانون، ملتزم بتعاليمه في كل وقت" قال بريان، "وليس هناك أي نية للحديث رسمية كانت أو غير رسمية مما تعفيك من الذنب طالما قررت إخفاء معلومات هامة تخص جريمة ما - إلا بالطبع تحت بنود دستورية معينة"

"تقصد في حالة ما إذا كانت المعلومات المذكورة تدينني؟"، سأل سبايد. كان صوته صلبًا، أو بالكاد ينم عن استمتاعه بالأمر، غير أن وجهه لم يعط ذات الانطباع. "عمومًا لدي حقوق أخرى أفضل مما تقترح وتناسبني أكثر. يتمتع موكلي بالقدر الكافي من السرية المحترم من قبل القانون، ربما سيتم إجباري على الكلام إن تم استدعائي من قِبَل هيئة محلفين أو من

قبل المحكمة العليا، ولكن لم يحدث أي من ذلك بعد، وإني لن أبلغ عن أسرار موكلي قبل أن أدفع لهذا دفعًا. وقد اتهمتني أنت والشرطة بأنني ضالع في الجريمتين اللتين حدثتا بالأمس، ولقد عانيت من مشاكل سابقة مع كل منكما من قبل. لذلك، وفيما أرى، أن خير وسيلة لي لإزاحة التهم التي ما زلت تحاول إلصاقها بي، هو أن آتي بنفسني بالقتلة.. مقيدين. وإن فرصتي الوحيدة في الإمساك بهم وتقييدهم، وإيصالهم إليكم هو بالبعد عن طريقك أنت والشرطة، حيث أن أيًا منكما لم يظهر أي علامة على أنكما تفهمان أيًا مما يحدث في واقع الأمر."

وقف سبايد، ولف رأسه مخاطبًا كاتب الجلسة: "هل تأكدت من كتابة كل ما قد قلته؟ أم أنني أتحدث بوتيرة أسرع فلا يمكنك مجاراتي؟"

رفع الكاتب عينين مندهشتين إليه وقال: "لا يا سيدي. لقد كتبت كل شيء."

"عظيم"، قال سبايد والتف في مواجهة بريان مجددًا. "الآن، إن أردت أن تذهب للمحكمة وتخبرهم أنني أعطل سير العملية الجنائية، أو تطلب إليهم أن يصادروا رخصتي، فلتسرع في عمل ذلك. لقد حاولت من قبل ولم يوصلك هذا إلى أي نتيجة، سوى أنك

جلبت عليك ضحكاتي والسخرية. التقط سبايد قبعته.

“لكن انظر هنا..” ردّ بريان

“ولا أريد أن أستدعى لأي من تلك الأحاديث غير الرسمية، ليس لدي شيء أخبرك به، لا أنت ولا الشرطة، لقد فاض بي الكيل من اتهامي بالعديد من الأشياء بالفعل من قبل كل معتوه في المدينة وفي الخدمة، إن أردت ملاقاتي، فابعت في طلبي رسميًا، أو استدعيني بمذكرة أو شيء من ها القبيل، وحينها سأتي بحضور محامي الخاص. وضع سبايد قبعته على رأسه وقال: “سأراك في نزال قريب كما أظن”. قالها وغادر.

(10). رجل أعمال، اشتهر بتاريخه الحافل في عالم

القمار والاحتيال في شؤونه

الفصل السادس عشر جريمة القتل الثالثة

دخل سبايد إلى ردهة فندق ساتلر واتصل بفندق ألكساندرينا، ولكنه لم يجد جوتمان، ولا أي فرد من حاشيته. اتصل سبايد بعدها بالبليفيدير، ولم يجد كايرو الذي كان بالخارج طوال اليوم.

ذهب سبايد إلى مكتبه، حيث وجد رجلاً سميئاً داكن البشرة يجلس في انتظاره في الغرفة الخارجية. أشارت إيفي برين إلى الرجل داكن البشرة: "السيد يريد مقابلتك يا سيد سبايد."

ابتسم سبايد وانحنى وفتح باب غرفة مكتبه داعياً الرجل إلى الدخول: "تفضل"، قبل أن يتبعه سأل إيفي برين: "هل هناك أخبار أخرى تخص ذلك الأمر الآخر؟"
"لا يا سيدي"

كان الرجل داكن البشرة صاحب دار سينما تقع في ماركت ستريت، كان يشك أن أحد الصرافين يحاول خداعه بالاتفاق مع حارس المكان. جعله سبايد يقص الرواية على عجل، وعده بأن يهتم بالأمر، ثم طلب منه خمسين دولاراً لقاء تعبه، تسلمها وتخلص من حضوره في أقل من نصف ساعة.

عندما أغلق رجل السينما باب المكتب الخارجي

وراءه، دخلت إيفي برين إلى مكتب سبايد. كان وجهه الذي لوَحته الشمس قلقًا ويفيض بالتساؤلات. "لم تجدها بعد؟" سألت.

هزَّ رأسه نافيًا وظلَّ يمسّد جانبَ رأسه المتورم بأصابعه بلطف في حركات دائرية.

"كيف حال الكدمة؟"

"بخير، ولكنني أعاني من نوبات صداع مستمرة." سارت حتى وقفت خلفه، أنزلت يده، وبدأت تمسّد صدغه المتأذي بأصابعها النحيلة. مال إلى الخلف، حتى ارتاح رأسه من فوق ظهر الكرسي على صدرها. "أنتِ ملاكٌ"، قال. أمالت رأسها من فوقه ونظرت إليه. "عليك أن تجدها يا سام، لقد مرَّ أكثر من يوم على اختفائها وهي..."

تحرك قليلاً وقاطعها بقلة صبر: "ليس عليّ أن أفعل أي شيء، ولكن إن سمحت لي أن أريح رأسي المسكين المتعب هذا لدقيقة أو اثنتين، ربما أخرج بعدها بحثًا عنها."

تمتت "يا لرأسك المسكين"، ثم أكملت ما كانت تفعله لفترة دون صوت، ثم سألت بعدها: "هل تعلم أين هي؟ هل لديك أي فكرة؟"

رن جرس الهاتف فأجاب سبايد: "مرحبًا.. نعم يا

سيد، إنه أنا، كل شيء انتهى إلى ما يرام، أشكرك.. لا..
 بالتأكيد. لقد أصبح متعجرفاً، ولكني بادلته عجرفة
 بعجرفة. إنه يتبنى نظرية حرب المقامر بين والديانة. لا
 أعتقد أننا قد تبادلنا القبل قبل رحيلي، لا وفاق. لقد
 عدت مناطق قوّتي ثم رحلت. نعم هذا أمر عليك أن
 تقلق أنت بشأنه. حسناً.. مع السلامة" وضع السماعه
 ومال إلى الخلف على المقعد حيث كان.
 سارت إيفي برين من مكانها حتى وقفت بجانبه
 وسألته الإجابة: "هل تظن أنك تعرف أين يمكن أن
 تكون الفتاة يا سام؟"

"أعلم إلى أين ذهبت" قال سبايد بنبرته الأجرش
 "إلى أين؟"

"إلى المركب الذي شاهدته يحترق."

اتسعت حدقتا عينيها حتى ظهر بياضهما من خلف
 بؤبؤهما البني.

"لقد ذهبت إلى هناك"، لم تطرحه إيفي في صيغة
 سؤال.

"لم أذهب إلى هناك". ردّ سبايد

"سام"، صرخت بغضبٍ، "ربما تكون."

"لقد ذهبت إلى هناك بملء إرادتها"، قال بنبرة تأكيد،
 "لم يجبرها أحدهم على الذهاب إلى هناك، لقد اختارت

أن تذهب إلى هناك بدلاً عن منزلك عندما علمت بوصول المركب، بحق الجحيم، ماذا عليّ أن أفعل؟ هل عليّ أن أعدو وراء عملائي طالبًا منهم أن يسمحوا لي بمساعدتهم؟”

“ولكن يا سام، عندما أخبرتك بأن المركب يحترق!”
 “كان هذا في وقت الظهر، وكنت على ميعادٍ مع بولهاوس وبريان المحامي العام.”

حدّقت إليه من بين رموشها التي برزت عيناها بينهم ضيقة: “سام سبايد، يمكنك أحيانًا أن تكون أحقر كائنات الله على أرضه، فقط لأنها أقدمت على فعل شيءٍ بدون أن تمنحك كامل ثققتها، يمكنك أن تجلس ها هنا بينما تدرك أنها ربما تكون في خطرٍ، أنها ربما تكون...”

احمرّ وجه سبايد. قال بعنادٍ: “إنها قادرة تمامًا على أن تعتني بنفسها، وتعرف أيضًا متى يمكنها طلب المساعدة حينما ترى أنها في حاجة إليها، ووقتما يحلو لها طلبها.”

“هذا شيءٍ مقيت”، صرحت الفتاة، “وكل هذا لأنها قررت القيام بأمر ما بنفسها، دون أن تخبرك عنه، لماذا عليها أن تفعل أصلًا؟” لست أمنيًا في الأصل بما يكفي، ولم تعاملها بذلك القدر من الأمانة الذي تطلبه منها

بحال، لتجعلها تثق بك بالقدر الذي تطلبه".

"يكفي من الحديث في هذا الأمر".

جلبت نبرته الحادة الحزن لعيون إيفي، ولكنها هزّت رأسها فانقشعت غيمة الحزن في اللحظة. وزمّت فمها: "إن لم تذهب إلى هناك حالاً يا سام، سأفعل أنا وسأطلب إلى الشرطة أن تذهب معي"، كان صوتها مرتعشاً، مكسوراً، رقيقاً، ينتحب: "اذهب يا سام".

وقف سبايد يلعنها ويصب غضبه على ما قالت، ثم قال: "سيكون هذا أيسر على عقلي المسكين من الجلوس هنا والاستماع إلى حديثك المزعج"، نظر إلى ساعته وقال: "ربما عليك أن تغلقي المكتب وتعودي إلى المنزل".

"لن أفعل، سأنتظر هنا حتى تعود".

"افعلي ما تريدين"، وضع قبعته، جفل من الألم، ثم خلعها وخرج وهي في يده.

بعد حوالي الساعة والنصف، في تمام الخامسة وعشرين دقيقة، عاد سبايد. كان سعيداً، ودخل يسأل: "ما الذي يجعلك صعبة المراس هكذا دائماً يا حبيبتي؟" "أنا؟"

"نعم. أنت"، وضع إصبعه على أنف إيفي برين وضغط عليه. ثم قبض على ذراعها من تحت المرفقين،

رفعها وقبّل ذقنها. أنزلها سبايد إلى الأرض مجددًا وسأل: هل حدث أي شيء بينما كنت بالخارج؟

”لوك.. ماذا كان اسمه الأخير؟.. الذي يعمل بالبليفيدير اتصل ليخبرك أن كايرو قد عاد.. كان هذا منذ نصف الساعة.

زَمَّ سبايد شفّتيه، التف بخطوة واسعة، واتجه صوب الباب.

”هل وجدتها؟“ سألت الفتاة.

”سأخبرك عندما أعود“، قالها دون أن يتوقف وأسرع للخارج.

وصل سبايد إلى البليفيدير في سيارة أجرة خلال عشر دقائق من مغادرته مكتبه. وجد لوك في ردهة الفندق، الذي قام مبتسمًا لمصافحة سبايد. ”تأخرت خمسة عشر دقيقة، لقد حلّق طائرُك بعيدًا“، وقف سبايد يلعن حظه اللعين.

”لقد غادر الفندق بحقائبه وأمتعته“، قال لوك. أخرج بعدها مفكرة صغيرة، لعق إبهامه، وفرّ الصفحات، وفتح إحداها أمام سبايد. ”هذا رقم سيارة الأجرة التي أقلتة. هذا هو كل ما استطعت فعله لأجلك.“

”أشكرُك“. نقل سبايد الرقم إلى ظرف كان يحمله. ”هل ترك عنوانًا لترسل إليه أي رسائل تصله؟“

“لا. لقد وصل حاملاً حقيبة وصعد لأعلى وحزم حاجياته، ثم نزل بها، دفع حسابه، واستقل سيارة أجرة، ورحل قبل أن يتمكن أحد من معرفة وجهته التي أملاها للسائق.”

“وماذا عن صندوقه الكبير؟”

فتح لوك فمه من المفاجأة. “يا إلهي. لقد نسيت هذا الأمر! تعال معي.”

صعدا إلى غرفة كايرو، حيث وجدوا الصندوق، لم يكن مغلقاً، رفعوا غطاءه العلوي، كان الصندوق فارغاً.

“ماذا تظن أن هذا يعني؟” قال لوك.

لم يقل سبايد أي شيء.

عاد سبايد إلى مكتبه. نظرت إليه إيفي برين متطلعة، “فقدت أثره”، قالها سبايد غاضباً ودخل إلى مكتبه.

تبعته حتى الداخل. جلس في مقعده وبدأ في لف سيجارة. جلست إيفي على المكتب، واستندت بقدمها على جانب من كرسي سبايد.

“وماذا عن الأنسة أوشونسي؟”

“لقد فقدت أثرها هي الأخرى، ولكنها كانت هناك.”

“على سطح لا بالوما؟”

"يا له من تركيب مزعج لاسم مركب "لا بالوما".

"توقف يا سام. كن لطيفًا وأخبرني."

أشعل سبايد سيجارته، ووضع القداحة في جيبه، ربت على ذقنها، وقال: "نعم، لا بالوما. لقد وصلت إلى هناك بعد الظهر بقليل".. أخفض سبايد حاجبيه، "هذا يعني أنها قد ذهبت إلى هناك مباشرة بعد أن نزلت من سيارة الأجرة عند بناية فيري. لم يكن القبطان على متن السفينة. كان اسمه جاكوبي وقد سألت عنه شخصيًا. كان لديه بعض المهام في المدينة. يعني ذلك أنه لم يكن ينتظرها، أو أنه لم يتوقع وصولها في هذا الميعاد على أي حال. انتظرت حتى عاد في الرابعة، وبقيا يتحدثان حتى جاء ميعاد الغداء، وقد انضمت له في كابينته وتناولوا الطعام سوياً.

زفر سبايد دخان سيجارته، لفَّ رأسه ليبصق قطعة من التبغ قد علقت بفمه، ثم أكمل: "بعد انتهائه من تناول طعامه، استقبل الكابتن جاكوبي ثلاثة زوّار آخرين. كان أحدهم كايرو، والثاني جوتمان، والثالث كان الفتى الذي قد سلّم إليك رسالته. وصل الثلاثة إلى كابينة القبطان بينما كانت بريجيد هناك، وجلس الخمسة يتبادلون أطراف الحديث لفترة طويلة. كان استطلاع الأمر من طاقم السفينة عسيرًا للغاية، ولكني

علمت أنهم قد تشاجروا، وقد سَمِعَ صوتُ إطلاقِ نارٍ في تمام الحادية عشرة مساءً في كابينة القبطان، حاول حارس السفينة استطلاع الأمر، ولكن القبطان قابله خارج الكابينة وأخبره أن كل شيء على ما يرام. ما يزال هناك ثقب حديد من أثر رصاصة في أحد جوانب المركب، كان الثقب في مكان مرتفع للغاية مما يعني أنه لم يصب أحدًا. على حسب ما علمت كانت رصاصة واحدة هي التي أطلقت، أو هكذا أخبرت.

عبس سبايد، وبدأ يدخن من جديد، "حسنٌ، لقد غادر الجميع قرب منتصف الليل.. الكابتن وزائروه الأربعة.. وقد شوهدوا جميعًا يرحلون في خير حالٍ. لقد حصلت على هذه المعلومة من مراقب السطح. لم أستطع التوصل إلى طاقم السفينة الذي كان يخدم على السطح في ذلك الوقت. لم يعد القبطان إلى المركب منذ ذلك الحين، وقد فوّت ميعادًا مع بعض وكلاء الشحن، ولم يتمكن أحدٌ من إخباره عن حريق المركب حتى الآن.

"والحريق؟" سألت إيفي.

قال سبايد باستياء: "لا أدري. لقد أكتشف الحريق في وقت متأخر من صباح اليوم، وقد اندلع في مؤخرة السفينة، في الجزء الخلفي من الطابق السفلي تحديدًا.

يبدو أنه قد اندلع في وقتٍ ما بالأمس، ولكنهم استطاعوا السيطرة عليهم على كل حال، بعد أن أتلّف وأضّرّ ما أضّرّ. لا يحب الناس الحديث عن الأمر بينما القبطان ما يزال غائبًا. "إنه ال..."، انفتح الباب المطل على الردهة، فأغلق سبايد فمه. قفزت إيفي برين من فوق المكتب، ولكن الباب إلى مكتب سبايد انفتح قبل أن تصل إيفي برين إلى الأرض.

"أين سبايد؟" سأل الرجل.

تنبّه سبايد واعتدل في مقعده لسؤال الرجل. كان صوت الرجل قاسيًا، يطفح بالألم، وبمحاولة إيقاف سيل كلماتٍ وكلماتٍ يبدو أنها على وشك أن تهدر غاضبة من فمه.

ابتعدت إيفي برين عن طريق الرجل بخوف.

وقف الرجل بينما انحشرت قبعته بين رأسه وحلق الباب: بلغ طول الرجل سبعة أقدام تقريبًا. دعم مظهره وطوله ذلك المعطف الأسود الذي كان مزررًا بالكامل من حلقه حتى ركبتيه. برزت أكتافه، عالية، رفيعة. كان وجهه النحيل - اللفظ الذي برزت تجاعيده - بلون الرمل الندي، وكان غارقًا في العرق الذي تجمع على وجنتيه وذقته. كانت عيونه مظلمة، محتقنة بالدم، بدا الغضب منها، ومن أغشيتها وشعيراتها الوردية التي

ظهرت من خلف جفنه السفلي المتهدّل. حمل الرجل طردًا بني اللون، كان يسنده بإحكام إلى صدره بيده القابضة في كم المعطف الأسود، وقد ربط الطرد بشريط أصفر، وضمّ مجسمًا ما يبدو أضخم من كرة فوتبول أمريكية.

لم يبدُ على الرجل من مكانه حيث يقف أنه قد رأى سبايد. قال: "أنت تعرف..". ثم عادت لعتمته إلى حلقه ولم يستطع أن يزيد عمّا قال. دعم تمسكه بالطرد بيده الأخرى. محاولًا أن يستقيم معتدلاً، اختل توازنه وانكب للأمام دفعة واحدة كما تسقط الأشجار.

قام سبايد منتفضًا برشاقة من على مقعده وبوجه جامد ليسند الرجل. عندما أمسك به سبايد كان فم الرجل مفتوحًا يقطر منه الدم، وقد تدرجت اللقافة في يده حتى رقدت أسفل مكتب سبايد. تراخت ركبتا الرجل، وتراخى هو نفسه وابتلع معطفه جسده الذي انثنى بين يد سبايد، حتى شعر سبايد بثقله وبأنه لم يعد يستطيع رفعه عن الأرض.

أرقدته سبايد على الأرض بحذرٍ على جانبه الأيمن. كانت عينا الرجل المظلمتان المحترقتان بالدماء - وإن تلاشى عنها الغضب - مفتوحتين على اتساعها وثابتة. كان فمه ما يزال مفتوحًا، ولكن الدم قد توقف عن

التقاطر منه، وقد رقدَ ثابتًا لا يتحرك كالأرض التي استلقى عليها.

“أغلقني الباب”، قال سبايد.

بينما كانت إيفي برين تتعامل مع الباب في محاولة لإغلاقه وأسنانها تصطك رعبًا، جلس سبايد بجوار الرجل وأرقدته على ظهره، ووضع يده من تحت معطفه، التي أخرجها بعد لحظة مزرجة بدماء الرجل. لم يجلب منظر الدماء أي تغيير لملامح سبايد الثابتة. رافعًا يده الغارقة في دماء الرجل حتى لا تلمس أي شيء، أخرج سبايد قداحته مستخدمًا يده الأخرى. قَرَّب سبايد شعلة قداحته من عيني الرجل الرفيع، الواحدة بعد الأخرى. كانت عيناه ثابتتين لا يتحرك إنسانها، أجفانها، بؤبؤها ولا قزحيتها ولا ترمش حتى جفونه. أطفأ سبايد قداحته وأعادها إلى جيبه. انتقل بعدها إلى جانب الرجل الأيمن، وباستخدام يده اليمنى فك أزرار معطفه. كان معطفه غارقًا في دماؤه، وقد تشبعت بها سترته الزرقاء من تحته. تحت جيوب السترة لاحت ثقوب مدماة مهترئة من لحمه. قام سبايد إلى الحوض في المكتب الخارجي.

وقفت إيفي برين وقد التصقت يدها غلى مقبض الباب، وأسندت ظهرها إلى زجاج الباب، ممتقعة الوجه،

ترتعث: "هل.. هل هو...؟"

"نعم. أطلق عليه ما يقرب من ست رصاصات"، قالها سبايد بينما يغسل يديه.

"أليس من المفترض علينا." بدأت السؤال، غير أنه قد قاطعها: "لن يفيد طلب طبيب الآن، وعليّ أن أفكر قبل أن نفعل أيّ شيء". انتهى سبايد من غسل يديه ثم غسل الحوض من آثار الدماء، "لا يمكن أن يكون قد أتى من مسافة بعيدة بتلك الرصاصات التي اخترقته. لو أنه.. لماذا لم يستطع أن يتحمل قليلاً ليقول أي شيء." عبس سبايد بوجه الفتاة، غسل يده مجدداً، والتقط منشفة. "احتفظي بأعصابك، حاولي ألا تتقيأي على ملابسني الآن!" رمى سبايد المنشفة وأجرى يده في شعره يرفعه، "والآن لنلقي نظرة على هذا المزعج".

دخل إلى المكتب مجدداً، وعبر فوق ساقى الرجل، ثم التقط الطرد المغلّف باللون البني. عندما فحص وزنه لمعت عيناه. وضعه على المكتب، وقلبه ليجعل عقدة الحبل لأعلى. كان الحبل قاسياً وربطته محكمة، فأخرج سكين جيبه وقطعه.

أغلقت الفتاة الباب، وسارت بمحاذاة الرجل الميت، تتعمد النظر للجهة المقابلة، ثم وصلت حتى سبايد ووقفت بجواره. أصابها الدوار من فرط حماسها بينما

وقفت بجانب سبايد تستند بيديها على المكتب، وكان هو يشدّ الحبل عن الطرد ويزيح عنه غلافه البني، "هل تظن أنه؟.. همست.

"سنعرف حالاً" قال سبايد، بينما انشغلت أصابعه الثخينة بالغلاف الرمادي الثقيل لمحتوى الطرد بعدما انزاح غلافه البني. كان وجهه صلباً بلا تعبير، وكانت عيناه تلمعان. كانت الأغلفة الرمادية تخفي تحتها كومة من نشاشيب الخشب مكورة على هيئة بيضاوية. عندما أزاح سبايد بيده الغلاف، رقد الطائر بيده، أسودّ بلون الفحم، لامعاً لم يتأثر طلاؤه بغبار الخشب أو بزوايا قطع الخشب الرقيقة التي أحاطته.

ضحك سبايد. وضع يده على الطائر، كانت أصابعه الثخينة التي افتترشت جسد الطائر تحتفي بإحساس الامتلاك. وضع يده الأخرى حول خصر إيفي برين وضمها إليه بقوة: "حصلنا على الغرض اللعين يا ملاكي."

"آه. إنك تؤلمني."

أزاح سبايد يده من حولها، وأمسك الطائر بكلتا يديه، ثم هزّه لينفض عنه بقايا نشاشيب الخشب. ثم رفعه ونفخ عنه غبار الخشب، بينما ينظر إليه بزهو وانتصارٍ.

صرخت إيفي برين بفرع وأشارت إلى قدمه، بعد
خطوته الأخيرة، تلامست ساقه اليسرى ويد الرجل
الميت، وقد دهس قطعة من لحمها بقدر ربع إنش
تقريبًا، انحسرت بين الأرض وكعب حذائه. رفع سبايد
قدمه عن يد الرجل.

رنّ جرس الهاتف.

أوماً للفتاة. عادت للمكتب ووضعت السماعة على
أذنها. قالت: "مرحبًا.. نعم. من؟ آه. نعم!" اتسعت
عينها.

"نعم.. نعم.. هل يمكنك أن تبقى على الخط؟"
ارتعشت شفتاها في رعبٍ فجأة. صرخت: "مرحبًا!
مرحبًا! مرحبًا!" بكت الفتاة وجرت نحو سبايد الذي
كان يقف قريبًا منها. "إنها الأنسة أوشونسي" قالت
بحماس. "إنها تريدك. إنها في فندق ألكساندريا.. في
خطر، كان صوتها، آه. كان فظيعةً يا سام.. وقد حدث
لها شيء قبل أن تنهي الحديث معي، اذهب لمساعدتها
يا سام."

وضع سبايد الصقر على المكتب وعبس في وجه
الفتاة: "عليّ أن أعتني بصدّيقِي هذا أولاً"، قالها بينما
يشير بإبهامه للرجل الملقى على الأرض.

ضربت الفتاة صدرها بقبضتها بينما تبكي: "لا، لا..

عليك أن نذهب إليها. ألا تفهم يا سام؟ لقد حصل على ذلك الشيء الذي كان ملكًا لها ثم أتى به إليك، ألا تفهم؟ كان يساعدها وقد قتلوه والآن هي.. آه، عليك أن تذهب."

"حسنًا" أزاحها سبايد عن طريقه وانحنى فوق مكتبه، ووضع الطائر داخل عشه الخشبي، ثم أعاد لقه بأوراقه الرمادية، بسرعة جعلت اللفة تبدو أكبر وأقل إحكامًا. "فور أن أرحل أبلغى الشرطة، أخبريهم بما حدث بالضبط ولكن لا تقحمي اسمي في الحكاية. أنت لا تعرفين. وصلت المكالمة فأخبرتكم أن عليّ أن أذهب، ولكنني لم أخبرك إلى أين." لعن سبايد الحبل الذي كان متشابكًا، ثم شدّه ليقوم انبعاثاته، ثم بدأ في ربط اللفة. "انسي ما قلته. أخبريهم الأمر كما جرى، لكن أغفلي ذكر أنه كان يحمل طردًا" ثم عض شفته السفلى، "إلا إذا أرغموك على الاعتراف بهذا، إذا بدا أنهم يعرفون عن الأمر أي شيء فسيكون من الأفضل أن تعترفي، في الغالب هم جاهلون بالأمر، أما لو كان لديهم خبر عنها، فستقولين إنني قد أخذته معي كما تركه الرجل دون أن نفتحها" انتهى سبايد من ربط العقدة، ووقف معتدلًا باللفة تحت ذراعه اليسرى. "حافظي على كمال القصة، احكي كل شيء كما حدث،

ستجاهلين فقط ذكر الطرد إلا إذا كانوا يعرفون
 بشأنه. لا تنكري شيئًا.. فقط لا تتحدثي عنه طواعية،
 وأنا من رددت على الهاتف وليس أنت، وليس لديك أي
 فكرة عن أي شيء أو أي شخص قد تربطه أي علاقة
 بصديقنا الراقد هذا. أنت لا تعرفين شيئًا عمّا أفعله
 بحياتي، ولا يمكنك التكلم عن أمور تخصني إلا في
 تواجدي، هل فهمت ما ستقولين؟”

“نعم يا سام، هل.. هل تعرف من يكون هذا الرجل
 الراقد؟”

ابتسم سبايد بخبت. “أينعم، أظن أنه كابتن جاكوبي،
 قبطان سفينة لا بالوما”، التقط سبايد قبعته ووضعها
 على رأسه، نظر بتمعن للرجل الميت، ثم إلى أنحاء
 الغرفة.

“أسرع يا سام” توصلت الفتاة.

“بالطبع”، قال بذهن مشئت، “سأسرع، ربما عليك أن
 تتخلصي من بعض نشابات الخشب الملقاة على الأرض
 قبل أن تصل الشرطة، واحتفظي برقم سيد بحوزتك”،
 فرك سبايد ذقنه. “ربما علينا ألا نقحمه في الأمر الآن،
 من مصلحتنا ألا نفعل، سأغلق الباب حتى يصلوا”، أزاح
 يده عن ذقنه وربت على وجنتها، “أنت خير مساعد يا
 عزيزتي”، قالها وخرج.

الفصل السابع عشر

مساء السبت

سار سبايد بخفة بينما اللفة تحت ذراعه، لا يُنبئ عن إرهاقه سوى حركة عينيه القلقة. مرَّ سبايد بحارة صغيرة، ثم زقاق ضيق بالقرب من مكتبه، ووصولاً إلى شارعي كيرني وبوست، ومن هناك استقل سيارة أجرة. أوصلته السيارة حتى ممر بيكويك ستيج في فيفت ستريت. أودع سبايد الطائر في مكتب أمانات الطرود، ووضع وصل الإيداع في ظرف مختوم، وكتب عليه "إم. إف. هولاند" وعنوان مكتب بريدي في سان فرانسيسكو، أغلق المظروف، ثم أسقطه في صندوق البريد، ثم استقل سيارة أجرة حملته إلى فندق ألكساندريا.

صعد سبايد حتى الطابق C-12 وطرق الباب. انفتح الباب بعد أن طرقه للمرة الثانية، فتحت فتاة جميلة في ثوب أصفر زاهٍ.. فتاة صغيرة كان وجهها أبيض، وقد تشبثت بمقبض الباب بكلتا يديها بيأس وشهقت: "سيد سبايد؟"

"نعم"، قالها سبايد والتقط الفتاة قبل أن تنهار. انهار جسدها على ذراعه وسقطت رأسها للوراء، حتى إن شعرها الجميل قد تهذّل وتفزّق، وسقط عنقها الجميل

بمِيلٍ جليلٍ متوازيًا مع ذقنها من فوقه وصدورها من تحته.

رفع سبايد يده التي تدعم جسدها حتى ظهرها، وانحنى حتى ركبتيها ليحملها بمساعدة من ذراعه الأخرى، ولكنها تحركت فجأة، وقاومت حركته، وبين شفتيها اللتين تحركتا بالكاد خرجت كلمات غير مفهومة: "لا! أمي أنا وا."

حثها سبايد على السير، وأغلق الباب وراءه بدفعة من قدمه، وسار معها حتى الغرفة ذات السجاد الأخضر، تتسند طريقها من حائط إلى حائط. كانت إحدى ذراعيه تلتف حول جسدها الصغير، وتسندها يده من تحت إبطها، بينما تمسك ذراعه الأخرى ذراعها الأخرى، وتبقيها واقفة باعتدال وتحميها من التعثر، ظلَّ سبايد يدعوها للسير، معتمدًا على ساقها في أن تمنحها القوة وتتحمل قدر استطاعتها من وزنها. سار الاثنان عبر الجناح، تتخبط الفتاة بخطوات غير متزنة، ويدعمها سبايد بخطوات قوية وباتزان لا يفسده فتورها وتخبطها. كان وجهها أبيض بلون الطباشير، وعيناها غائمتين، بينما كان سبايد متجهًا بعينين ثابتتين تراقبان المكان من جميع زواياه.

حدثها سبايد بجَمَلٍ قصيرة رتيبة: "نعم هكذا يكون

التصرف. شمال، يمين، شمال، يمين. هكذا يكون التصرف. واحد، اثنان، ثلاثة، وهنا ننعطف"، هزّ جسدها بينما حاذرا الاصطدام بالحائط. "والآن لنعود. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. ارفعي رأسك. هكذا يكون التصرف. فتاة جيدة. شمال، يمين، شمال، يمين"، ثم هزّ جسدها مجددًا. "هذه فتاة جميلة. مدي الخطوة، مرة أخرى، مرة أخرى، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. والآن ننعطف مجددًا" هزها مرة أخرى بشدة هذه المرة، محاولاً أن يسرع من وتيرة سيرهم. "هذا ما يتطلبه الأمر. شمال، يمين، شمال، يمين. علينا أن نسرع. واحد، اثنان، ثلاثة."

ارتجفت الفتاة وازدردت ريقها بصوت مسموع. بدأ سبايد يدلك ذراعيها وقرب فمه من أذنيها. "هذا جيد. أنت تقومين بعمل رائع. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. أسرع، أسرع. نعم هكذا. خطوة فأخرى، ارفعي قدميك ثم ضعيهما على الأرض. هذا جيد. والآن لننعطف من هذه الناحية. شمال، يمين، شمال، يمين. ماذا فعلوا بك؟ هل وضعوا لك مخدرًا؟ كما فعلوا معي؟ ارتعش جفناها للحظة من فوق عينيها البنيتين الناعستين واستطاعت أن تخرج كلمة "نعم" غير مكتملة.

كانا يسيران بينما الفتاة تهزول للحاق بخطوة سبايد،

استمر سبايد في تدليك جسدها بيديه، والتحدث إليها بينما ظلَّت عيناها ثابتتين، متيقظتين. "شمال، يمين، شمال، يمين، لننعطف. فتاة جيدة، واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. ارفعي ذقنك عاليًا. نعم هكذا. واحد، اثنان."

فتحت جفونها مرة أخرى بصعوبة، وظهرت بينهما عيناها تتحركان سريعًا وتنظران من حولها مستطلعة. "لا بأس" قالها بصوت هس متخليًا عن نبرته الرتيبة. "افتحي عينيك. افتحيهما على اتساعهما.. على اتساعهما"، هزها سبايد من جديد.

أنت في اعتراض، غير أن جفونها ظلت تحاول أن تنفذ الأمر، على الرغم من عينيها القابعتين تحتها غائمتين ما تزالان. رفع يده وصفعها ست صفعات خفيفة متتالية. أنت مجددًا وحاولت التنصل من بين يديه. أبقى عليها بين ذراعيه وحافظ على مسارهما، يسيران من حائط إلى حائط.

"استمري في السير"، أمرها، ثم سأل بعدها: "من أنت؟"

"ريا جوثمان" خرجت بنبرة ثقيلة وإنما واضحة.

"الابنة؟"

"نعم"، خرجت منها سليمة هذه المرة.

“أين بريجيد؟”

التفت الفتاة بعزم، وأمسك يديه بكلتا يديها. شدَّ سبايد يده سريعًا منها ونظر إليها، كانت قد أحدثت خدشًا قصيرًا في يده بطول إنش أو أطول قليلًا.

“اللعنة. ما هذا؟ تدمر سبايد، وفتح قبضتها اليسرى، فلم يجد شيئًا، أما قبضتها اليمنى فقد حملت دبوس برأس حصانٍ بطول ثلاث إنشات. “ما هذا؟”، تدمر من جديد رافعًا الدبوس أمام عينيها.

لما رأت الفتاة الدبوس انتحبت وفتحت صدر قفطانها الطويل، وأزاحت طرف البيجاما من تحته وعرضت عليه المنطقة تحت صدرها.. حيث تقاطعت خطوط حمراء، ونقاط صغيرة بنفس اللون، حيث خدشها الدبوس وترك آثاره واضحة. “لتظلي مستيقظة.. تمشي.. حتى تأتي أنت.. قالت إنك ستأتي.. كان هذا من وقتٍ طويلٍ”. سقطت الفتاة مجددًا. رفعها سبايد وشدَّ يديه من حولها بحزم وقال: “سيري.”

قاومته الفتاة محاولة أن تواجهه مجددًا. “لا. أقول لك.. نعم. أنقذها.”

“بريجيد؟” سأل.

“نعم.. أخذها. بور-بولينجيم. ستة وعشرين أنشو..

أسرع.. يفوت الوقت." سقط رأسها على كتفه.

أبعد سبايد رأسها في شدة: "مَن أخذها؟ والدك؟"

"نعم.. ويلمر. كايرو" تلوّت الفتاة وارتعش جفنيها لكنها لم تفتحهم.. "يقتلها،" سقط رأسها مجددًا، فرفعه سبايد مجددًا.

"مَن أطلق الرصاص على جاكوبي؟"

لم يبذ عليها أنها سمعت السؤال، وجاهدت بيأس لتفتح عينيها. تمتت: "اذهب.. هي."

هزّها سبايد بعنف. "ابقي مستيقظة حتى يأتي الطبيب."

أجبرها الخوف على فتح عينيها وأزاح للحظة كل هذا الغيام الذي حاوط عقلها. "لا، لا" صرخت بشدة، "أبي. يقتلني. أقسم إنك لن تفعل. سيعرف. فعلت. هذا من أجلها. وعدت.. ألا.. أنا.. كل شيء جيد.. في الصباح."

هزّها سبايد من جديد: "هل أنت متأكدة أنك يمكنك التخلص من آثار المخدر بالنوم؟"

"نعم"، سقط رأسها مجددًا.

"أين سريرك؟"

حاولت رفع يديها، ولكنَّ جهدًا كهذا قد صار عسيرًا

عليها حتى إنها لم تستطع الإشارة لأبعد من السجاد تحت قدميها. بتنهيده طفلٍ مُتَعَبٍ، تركت الفتاة جسدها يتراخى. رفعها سبايد بين ذراعيه.. التقطها بينما غرقت في النوم.. ورفعها بسهولة حتى صدره، وذهب حتى أقرب باب من الغرف الثلاث. فتح سبايد الباب، ودفع الباب بقدمه، ودخل إلى ممرٍ على جانبه دورة مياه، يُفضي آخره إلى غرفة نوم. نظر سبايد إلى دورة المياه، وبعدهما تأكد من خلوها، حمل الفتاة إلى الغرفة. لم يكن هناك أحدٌ أيضًا. أنبأت الأغراض على طاولة الزينة وعلى السرير أن رجالًا يقطنها. عاد سبايد بالفتاة حتى الغرفة ذات السجاد الأخضر، وجرب غرفة أخرى في مواجهة الغرفة السابقة. دخل إلى غرفة النوم عابراً ممرًا آخر ودورة مياه خالية أخرى، بدت كغرفة فتاة هذه المرة. رفع أغطية السرير ووضع الفتاة، وأزال عن قدميها حذاءها، رفعها قليلاً ليخلع عنها رداءها المنزلي الأصفر، وضع وسادة تحت رأسها، ثم أعاد تسوية أغطية السرير فوقها.

فتح سبايد نافذتي الغرفة ووقف موجهًا ظهره إليهما يراقب الفتاة النائمة. كان تنفُّسها ثقيلًا وإنما منتظمًا. عبس سبايد وبدأ ينظر حوله زامًا شفتيه. كان ضوء الفجر البهي ينتشر في الغرفة، وقف سبايد هناك في

مواجهة الضياء بلا حراك لدقائق خمس.

بالنهاية، هزّ سبايد أكتافه العريضة بغير صبرٍ، ثم خرج تاركًا باب الجناح غير مغلق.

ذهب سبايد حتى محطة شركة باسيفيك تليفون أند تيليجراف في باول ستريت واتصل بدافينبورت 2020. "مستشفى الطوارئ من فضلك. مرحبًا، هناك فتاة في جناح C 12 في فندق ألكساندريا قد تم تخديرها.. نعم، من الأفضل أن ترسلوا أحدهم للاعتناء بها. أنا السيد هوبر من ألكساندريا."

وضع سبايد السماعة وضحك. اتصل سبايد برقم آخر وقال: "أهلاً فرانك، أنا سام سبايد. هل يمكنك أن توفر لي سيارة بسائق يمكنه أن يبقى فمه مغلقًا؟ نعم ليوصلني إلى شبه الجزيرة حالاً. ساعتان فقط. نعم. اطلب إليه أن يقلني من مطعم جون في إيس ستريت بأسرع ما يمكنه."

اتصل سبايد برقم آخر - رقم مكتبه - ثم وضع السماعة على أذنه لفترة دون أن يقول أي شيء، ثم وضعها.

وصل سبايد إلى مطعم مشويات جون، وطلب إلى النادل أن يسرع بتجهيز طلبه من الأضلع المشوية،

البطاطس المخبوزة، شرائح من الطماطم. أكل سبايد بسرعة. كان سبايد يدخن سيجارة بينما يشرب قهوته، عندما وصل إلى المطعم رجل شاب بقبعة مخططة تنحرف على جبهته، من تحتها عيون شاحبة ووجه مبتسم، وصل الشاب حتى طاولة سبايد وقال لك "كل شيء جاهز يا سيد سبايد، قد زودت العربة بالوقود وهي تنتظر رحيلنا."

"عظيم"، قالها سبايد وأنهى قهوته ثم خرج مع الشاب الرفيع.

"هل تعلم أين يقع أنشو؟ هو حي أو طريق، ربما جادة، ويقع في بورلينجمان؟"

"لست أعلم، لكن إن كان هناك واحد في بورلينجمان بهذا الاسم فسوف نجده."

"دعنا نفعل ذلك"، قالها سبايد بينما اعتدل في جلسته بجوار السائق في السيارة السيدان الداكنة.

"ست وعشرون هو رقم المبنى الذي نبحت عنه، وبأقرب مما نستطيع، ولكننا لا نريد أن نركن السيارة أمام الباب مباشرة."

"صحيح."

سارت العربة لمسافة ستة شوارع، بينما خيم الصمت على راكبيها. قال السائق: "لقد قتل شريكك يا سيد

سبايد أليس كذلك؟

”بلى.“

”هذه وظيفة صعبة. لا أفكر في استبدال وظيفتي بها.“

”لا يعيش سائقو السيارات للأبد كما لا بُدَّ أنك تعلم.“
 ”ربما هذا صحيح“، وافق السائق الرفيع، ”ولكن ستكون مفاجأة لي إن لم أعش حتى هذا الأبد.“
 أجاب سبايد بعيون بدت غير مهتمة بمسار الحديث وظلَّ ناظرًا للأفق، حتى يئس السائق من محاولة فتح حديث.

عند صيدلية في بورلينجمان، تمكن السائق من معرفة الطريق إلى جادة أفنيو. بعد عشر دقائق توقف بالسيارة السيدان في بقعة مظلمة، وأطفأ أنوارها، وأشار بيده إلى الشارع أمامهم. ”ها هي جادة أفنيو، ستجد البناية التي تبحث عنها على الجانب الآخر من الطريق، ربما المنزل الثالث أو الرابع من هذا الاتجاه“
 ”صحيح“، قالها سبايد وخرج من السيارة.

عبر سبايد الشارع ومدَّ الخطوة في اتجاه المنازل المتجاورة. وقف عمود إنارة وحيدٌ بلمبة محروقة على البعد، غير أن أضواء أكثر دفئًا صدرت عن نوافذ بيوت تراصت على البعد وأنارت عتمة الليل، وبينما عزف

القمر عن مشاركتها مهمتها بضياه الضعيف البارد بغير اختلاف يذكر عن عمود الإنارة، وعلا صوت راديو عبر نافذة مفتوحة في أحد المنازل على الجانب الآخر من الشارع.

توقف سبايد عند المنزل الثاني عند زاوية الشارع. عند إحدى البوابات الضخمة، لمعت يافطة معدنية في أثر الضوء، وقد ألصقت عليها بطاقة بيضاء. اقترب سبايد من البطاقة، وقرأ عليها عبارة "للبيع أو للإيجار". سار سبايد على الرصيف الأسمنتي وصولاً إلى المنزل، ثم وقف على عتبته للحظة طالت. لم يصدر عن المنزل أي صوت. كان المنزل مظلمًا، ولم يكن على بابه سوى بطاقة أخرى مربعة مثبتة بمسامير.

اقترب سبايد من الباب وتنصت، لم يصل إلى سمعه أي شيء. حاول النظر عبر النوافذ، لم تكن هناك ستائر لتحجب نظرتة عما يجري بالداخل غير أن الظلام قد فعل. صار على أطراف أصابعه من نافذة غلى أخرى، لم يظهر من وراء أي منها سوى الظلام والعتمة. جرّب أن يفتح أي من النوافذ ولكنها كانت موصدة، وكذلك حاول مع الباب وكذا وجده موصدًا.

عاد سبايد أدراجه بعيدًا عن عتبة المنزل، يطاءً بقدميه الأرض بحذرٍ، دار بعدها حول المنزل سائرًا بين

عشب الحديقة الندي. كانت النوافذ الجانبية عالية للغاية، ولا يمكن تسلقها من الأرض، أما الباب الخلفي والنافذة الوحيدة التي استطاع الوصول إليهما مغلقين.

عاد سبايد حتى البوابة، ورفع شعلة قداحته بين يديه ليحاول قراءة ما ذكر على يافطة "للبيع أو للإيجار". أظهرت اليافطة اسم وعنوان: سان ماتيو سمسار عقاري، ثم عبارة كتبت بقلم أزرق اللون: المفتاح في المنزل 31

عاد سبايد حتى السيارة السيدان وسألاً السائق: هل لديك كشاف؟

"بالطبع" أعطاه السائق مصباحًا يدويًا، "هل يمكنني مساعدتك في أي شيء؟"

"ربما"، ركب سبايد بجوار السائق. "لنذهب حتى المنزل رقم 31. يمكنك استخدام أنوار سيارتك."

كان المنزل رقم 31 منزل رمادي اللون ذا هيئة مربعة، وكان مواجهًا للمنزل رقم 26 أو أبعد بيارات قليلة. كانت نوافذ الدور الأرضي مضاءة، وصل سبايد حتى شرفة المنزل وضرب الجرس. فتحت الباب فتاة بشعر داكن يتراوح عمرها ما بين الرابعة والخامسة عشر. انحنى سبايد وابتسم لها: "أريد مفتاح المنزل رقم 26".

“سأنادي أبي”، قالت ودخلت إلى المنزل تنادي:
“بابا”.

ظهر من داخل المنزل رجل سمين ذو وجه احمر،
بشارب كثيف، يحمل جريدة.

“أريد مفتاح المنزل رقم 26” قال سبايد

نظر إليه الرجل السمين بشك. “الكهرباء لا تعمل. لن
يمكنك رؤية أي شيء.”

ریت سبايد على جيبه: “أملك كشافًا كهربائيًا.”

بدا الرجل مرتابًا أكثر، تنحنح بغير ارتياح ثم طوى
الجريدة التي كانت في يده.

أراه سبايد إحدى بطاقات عمله، ثم أعادها إلى جيبه،
وقال في صوت خفيض: “وصلتنا معلومة عن شيء
بعينه ربما يكون مخفيًا في هذا المنزل.”

تحمس الرجل وظهر ذلك حتى في نبرته. “انتظر
دقيقة. سأتي معك.”

أتى الرجل بعد قليل حاملاً مفتاحًا تندلى منه رقعة
ذات لون أسود وأحمر.

أشار سبايد إلى الشائق بينما مرًا به، فانضم إليهما.

“هل طلب أحدهم مشاهدة المنزل مؤخرًا؟” سأل

سبايد

"ليس على حدّ علمي." قال الرجل السمين، "لم يطلب أحدٌ مني مفتاح المنزل منذ شهرين على الأقل." مدّ الرجل السمين الخطوة وسبقهما حتى شرفة المنزل. وضع المفتاح بعدها في راحة يد سبايد وقال: "هاك المفتاح"، ثم انتحى جانبًا.

فتح سبايد القفل ودفع الباب لينفتح. كان الصمت والظلام يلفان المكان. دخل سبايد إلى المنزل وبيده الكشاف، تبعه السائق ثم الرجل السمين. بدأوا تفتيش المنزل بحذرٍ في البداية، ثم عندما أسفر البحث عن لا شيء، قررا البحث بجرأة وتصميم أكبر. كان المنزل خاويًا - بلا شك - ولم يكن هناك أي دليل على أن أحدًا قد زاره منذ أسابيع على الأقل.

"شكرا لك. هذا كل شيء" قال سبايد بينما غادر السيارة السيدان أمام فندق ألكساندريا. دخل سبايد إلى الفندق، وحيّاه رجلٌ طويلٌ داكن البشرة عند مكتب الاستقبال: "مساء الخير سيد سبايد."

- مساء الخير، هل عائلة جوتمان - في جناح C12 - ما زالوا هنا؟

"لا"، أجاب الفتى الشاب، بنظرة خاطفة منحها إلى سبايد ثم عاد للنظر بعيدًا، ثم ما لبث أن نظر إلى سبايد

مجددًا، وتمتم: "حدث شيء غريب فيما يخص هؤلاء القوم هذه الليلة يا سيد سبايد، اتصل أحدهم بمستشفى الطوارئ وأخبرهم أن هناك فتاة مريضة في الجناح ذاته."

"ولم يكن هناك فتاة في الجناح؟"

"لا، لم يكن هناك أحد على الإطلاق. كان الجميع قد خرجوا في وقت مبكر من هذه الليلة."

"حسنًا إن هؤلاء الذين يحبون المزاح لن يتوقفوا أبدًا عند حد ليحظوا ببعض المرح."

ذهب سبايد حتى كابينة الهاتف وطلب رقمًا، وقال: "أهلاً سيده برين. هل إيفي موجودة؟ نعم من فضلك، شكرًا. أهلاً يا ملاكي، هل لديك أي أخبار جيدة لي؟.. حسنًا، حسنًا! انتظرنني، سأصل خلال عشرين دقيقة.. نعم."

بعد نصف ساعة رن سبايد جرس منزل من طابقين في الجادة التاسعة. فتحت إيفي برين الباب. كان وجهها الصبياني متعبًا لكنها كانت تبتسم. "مرحبًا يا سيدي، تفضل"، قالت بصوتٍ خفيض، "إذا قالت لك أمي أي شيء يا سام، فتحملها وكن لطيفًا، لقد عانت الكثير بالفعل."

ابتسم سبايد وطمأنها مرتبًا على كتفها، ولمست هي ذراعه: "الآنسة اوشونسي؟"

"لا" قال متذمرًا. "لقد صادفت طريقًا مسدودًا. هل أنت متأكدة أنه كان صوتها؟"

"نعم."

"حسنًا لقد كانت مزحة سخيفة"، قال وقد ظهر الاستياء على وجهه.

أدخلته إيفي إلى غرفة المعيشة، تنهدت وجلست على أحد المقاعد، وابتسمت له بمرح رغم إرهاقها. جلس سبايد بجوارها وسأل: "هل سار كل شيء ما يرام؟ لم تأت سيرة الطرد على الإطلاق؟"

"على الإطلاق. لقد أخبرتهم بما أخبرتني تمامًا، ولقد صدقوا أن مكالمة الهاتف لها علاقة بالموضوع، وأنت قد خرجت لإتمام مهمة بخصوصه أيضًا."

"هل كان داندي هنا؟"

لا هوف وأوجار وآخرون لا أعرفهم، ولقد تحدثت إلى رئيس الشرطة أيضًا."

"هل أخذوك إلى مكتب تحقيقات الشرطة؟"

"نعم، وسألوني مئات الأسئلة، ولكنك تعرف.. كان معظمها روتينيًا."

فرك سبايد كفيه في ارتياح، "عظيم" عبس قليلاً بعدها وقال: "أعتقد أنهم سيحاولون اتهامي بمئات الأشياء في المرة القادمة التي نتقابل فيها. على الأقل سيفعلها هذا الملعون داندي، أو بريان، هل رأيت أحدًا هناك عدا محققي الشرطة؟"

"نعم"، اعتدلت إيفي. "هذا الفتى - الذي سلمني الرسالة من جوتمان - كان هناك. لم يدخل إلى المكتب، ولكني رأيتُه واقفًا بالردهة."

"هل تحدثت عن أي شيء يخصه؟"

"لا لقد أخبرتني ألا أفعل، لذلك لم أعِره أيّ انتباه، وعندما نظرت في اتجاهه المرة التالية كان قد رحل." ابتسم سبايد إليها: "أنتِ محظوظة للغاية كون الشرطة قد وصلت إليك أولاً يا عزيزتي."

"لماذا؟"

"إنه فتى مزعج.. هذا الشاب خطيرٌ وشريرٌ، هل كان الرجل الميت هو جاكوبي فعلاً؟"

"نعم."

ضغط على يديها ووقف. "سأذهب الآن. عليك أن تنامي قليلاً، أنتِ مرهقة للغاية."

"سام ما الذي..؟"

أوقف سبايد جملتها ووضع يده على فمها برقة.
 "احتفظي بهذه الفكرة ليوم الأحد، أريد أن أرحل من
 هنا قبل أن تضبطني والدتك هنا وتبدأ في توبيخي
 لجرّ حملها الوديعة عبر الأوحال."

كان الوقت قد شارف منتصف الليل عندما وصل
 سبايد إلى منزله. وضع مفتاحه في باب البناية.
 تسارعت خطوات كعب حذاء على الرصيف وراءه.
 أسرعت بربجيد أوشونسي الخطوة إليه، وضعت
 ذراعيها حولها وتعلقت به وقالت وهي تلهت: "لقد
 ظننت أنني لن أصل أبداً!"، كان وجهها منهكاً، مضطرباً،
 ترتجف من رأسها حتى قدميها.

بيده الحرة، تحسس سبايد مكان المفتاح مجدداً
 وفتح الباب، ورفع جسدها قليلاً ليدخلها. "هل كنتِ
 تنتظريني هنا."

"نعم"، كان لهاثها يتقاطع وكلماتها. "كنت.. أنتظر..
 في أول.. الشارع."

"هل يمكنك الصعود معي أم عليّ أن أحملك؟"
 هزّت رأسها التي استندت على كتفه: "سأكون..
 بخير.. عندما.. أصل.. إلى.. مكان.. يمكنني.. الجلوس..
 فيه."

ركب الاثنان المصعد حتى وصلا إلى شقة سبايد.

رفعت ذراعها التي تسندها عنها، ووقفت إلى جواره..
 تلهت، وهي تسند صدرها بيدها.. بينما فتح هو الباب.
 أغلق الباب وراءه، وأضاء نور الممر، ثم عاد يسندها
 بذراعه مجددًا وقادها حتى غرفة المعيشة، التي ما إن
 خطا الاثنان إليها حتى أضاء نورها.

صرخت الفتاة وتعلقت بسبايد. كان جوتمان يقف
 في غرفة المعيشة ينظر إليهم باسمًا بوذ، وظهر الفتى
 ويلمر من ورائه خارجًا من المطبخ، كانت المسدسات
 تبدو ضخمة في يديه الصغيرة، خرج كايرو من الحمام.
 كان هو أيضا يحمل مسدسًا.

حسنًا يا سيدي، كلنا هنا الآن، كما ترى بنفسك. تعال
 واجلس، ودعنا نتحدث."

الفصل الثامن عشر

كباش الفداء

قال سبايد بابتسامة هزيلة بينما كان لا يزال يسند بريجيد أوشونسي بذراعه: "أكيد، لتتكلم."
اهتزَّ جسد جوتمان وترهلاته بينما ابتعد بخطوات ثلاث عن الباب.

دخل سبايد والفتاة، وتبعهما الفتى الشاب وكايرو. وقف كايرو عند مدخل الباب، ووضع الفتى أحد المسدسات في جيبه، ثم انسل ووقف وراء سبايد مباشرة.

التف سبايد لينظر من وراء كتفيه إلى الفتى وقال: "ابتعد عني.. لن تفتشني."
"قف ثابتًا واخرس."

كانت فتحتا أنف سبايد تتحركان في أثر غضبه كلما تنفس. وكان صوته محتقنًا.

"ابتعد. ضع مخالبك عليّ وسأجعلك تحتاج بالفعل لاستعمال مسدسك. اسأل زعيمك إن كان يريدني قتيلاً قبل أن ننتهي من الحديث."

"لا بأس يا ويلمر" قال الرجل السمين، وعبس بغير استياء إلى سبايد.

“أنت بالتأكيد أكثر الأشخاص الذين عرفتهم عنادًا، حسنًا. دعنا نجلس.”

“أخبرتني أنني لا أحب هذا المزيج”، قال سبايد وقاد بريجيد إلى الأريكة بجوار النافذة، وجلس بجوارها، تميل رأسها على كتفه، بينما ذراعه تحيط بكتفها. كانت قد توقفت عن الارتجاف، واللهاث، بدا أن ظهور جوتمان وعصابته كانا قد حرماها من أن تظهر ضعفها ومشاعرها كحيوان جريح وأكسبها وعيًا وهدوءًا كنبات رصين.

جلس جوتمان على الكرسي الهزاز، واختار كايرو مقعدًا بجوار الطاولة، بينما ظلّ الفتى ويلمر واقفًا في مدخل الباب، تاركًا مسدسه يظهر من تحت ملابسه، بينما وضع كايرو مسدسه على الطاولة.

خلع سبايد قبعته وألقاها بعيدًا على الأريكة، وابتسم نحو جوتمان. لوى سبايد شفته السفلى، وتهدل جفنه العلوي في نصف إغماضة، متعاونين مع هيئة وجهه التي منحت ابتسامته دلالة خليعة. “لديك ابنة لطيفة بجسد جميل، ألطف من أن يتم خدشه بالدبابيس.”

حاول جوتمان أن يحتفظ بابتسامته دمثة وإنما صفراء.

اقترب الفتى عند الباب ورفع مسدسه حتى فحذه.

نظر الجميع في الغرفة إلى حركته المفاجئة. كانت نظرات بريجيد أوشونسي وكايرو على اختلافها تحمل استنكارًا لرد فعله. احمرَّ وجه الفتى، ثم عاد خطوة للوراء، واعتدل، وأعاد المسدس إلى حيث كان، وعاد يحدِّق من جديد في صدر سبايد. كان احمرار وجهه خاطفًا، غير أن ظهوره كان استثنائيًا على وجهه الذي كان كعادته باردًا متجهماً.

عاد جوتمان بابتسامته الخبيثة لمواجهة سبايد، وعاد صوته خريزًا مزعجًا. "نعم يا سيدي، لقد كان ذلك فعلًا شائنًا، لكن عليك أن تعترف أنه قد أدى غرضه." ارتعش حاجبا سبايد. "صحيح. في الحقيقة لقد أردت مقابلتك فور أن حصلت على الصقر. مقابلة المشتريين للحصول على الثمن نقدًا.. ولم لا؟ لقد ذهبت إلى بورلينجمان معتقدًا أنني سأحضر اجتماعك معهم أو ما شابه. لم أكن أدري أنك كنت تحاول الاحتيال عليّ، لتبعدني عن طريق جاكوبي قبل أن يجدني، غير أن محاولتك قد جاءت متأخرة."

ضحك جوتمان. كانت ضحكته لا تحمل حقًا سوى الرضا. "حسنًا يا سيدي، في هذه الحالة، ها نحن الآن لنعقد ذلك الاجتماع الذي تمنيته، لو كان هذا حقًا ما تريد."

“هذا هو حقًا ما أردت. متى يمكن أن تسلمني الدفعة الأولى فأسلمك الصقر؟”

اعتدلت بريجيد أوشونسي ونظرت إلى سبايد بعيون زرقاء مندهشة. ربّت سبايد على كتفها برقة، بينما تركزت عيناه على عيني جوتمان، اللتين لمعتا بين هالاته المنتفخة.

“حسنًا يا سيدي، فيما يتعلق بذلك”، وضع الرجل السمين يده داخل جيوبه، وأخرج ظرفًا أبيض. تركزت عيون الحاضرين العشرة على المظروف. أخذ جوتمان يقلّب المظروف بين يديه، محدّدًا إلى وجهه وظهره الخاليين من أي أثرٍ للكتابة، ظرف مفتوح اندس طرفه داخله حرًا. رفع يده، وابتسم بلطف وألقى المظروف على قدمي سبايد. على الرغم من أن المظروف لم يكن ضخّمًا، إلا أنه كان ثقيلًا بما يكفي ليطيّر ويسقط حيث أراد جوتمان، فضرب الجزء السفلي من صدر سبايد وسقط على فخديه. رفعه سبايد وفتحته مستخدمًا يديه بعد أن رفع ذراعه عن الفتاة. كان المظروف يحتوي على عملاتٍ ورقية من فئة الألف دولار، ناعمة ومرتّبة وتلمع ورقاتها حديثة الإصدار. أخرجهم سبايد من المظروف وبدأ العد. كانوا عشر ورقات، رفع سبايد نظره عنهم وابتسم وقال بطبيعية: “لقد تكلمنا عما هو

أكثر من هذا المبلغ".

- "نعم يا سيدي، لكن ذلك كان حديثًا مجردًا خاليًا من أي قيمة فعلية. ما أمنحك الآن هو مال حقيقي، عملات أصيلة من أرض الواقع. يمكن لدولار واحد منها أن يشتري أكثر مما يمكنك شراؤه بعشرة دولارات من عالم الوعود والأحاديث المجردة." ضحك الرجل السمين فاهتزت ترهلاته. عندما توقّف جسده عن الارتجاج، قال بنبرة حاسمة، وإنما بغير جدية تامة: "هناك العديد من الأشخاص قد تورطوا في الأمر الآن وسيتشاركون جميعًا الأرباح". ثم غمز وأشار إلى كايرو برأسه السمين، "ولهذا.. يا سيدي، تغيّر الموقف تمامًا."

بينما كان جوتمان يتحدث، كان سبايد يعيد ترتيب الورقات العشر، أعادهم بعدها إلى المظروف، وأغلق طرفه عليهم. مدّ سبايد جسده للأمام، وأمسك المظروف بين إصبعه وإبهامه وتركه يتدلى بين ساقيه. كان رده على الرجل السمين لا مبالي: "نعم. أنتم جميعًا شركاء الآن، لكنني أنا من أملك الصقر."

تحدث جويل كايرو. تشبّث يده القبيحة بمسند مقعده، وانحنى وقال بصوته الرفيع ذي النبرة العلية: "لا أظنه من الضروري أن أذكرك يا سيد سبايد، بأنه حتى لو كان الصقر بحوزتك الآن، فلا تنس أنك أنت

نفسك بحوزتنا الآن.

ابتسم سبايد. "أحاول ألا أقلق حيال هذا الأمر".
اعتدل سبايد، ووضع المظروف جانبًا - على الأريكة -
وتوجه بحديثه إلى جوتمان: "سنعود للحديث عن
المال لاحقًا. هناك أمر آخر يجب أن يتم تدبيره أولاً.
علينا أن نجد كبش فداء."

عبس الرجل السمين في دلالة حيرة، ولكن سبايد بدأ
يشرح قبل أن يسأله، "علينا أن نقدم للشرطة ضحية؛
شخص ما ليتحمل مسؤولية القتل الثلاثة. علينا."

قال كايرو في صوت متحمس وإنما هس: "اثنان..
قتيلان فقط يا سيد سبايد. ثورزبي هو من قتل
شريكك بلا شك."

"حسنًا! قتيلان"، تذمر سبايد. "ما الفرق؟ المهم أنه
يجب علينا أن نمنح الشرطة بعض..."

هنا تدخل جوتمان، وابتسم بثقة، وتحدّث بنبرة
مطمئنة: "حسنًا يا سيدي، مما رأيناه، ومما سمعت منك،
لا أظن أن هذا أمر علينا أن نقلق بشأنه. يمكننا أن
نتركك لتتعامل مع الشرطة، لن تحتاج بالطبع لخبرتنا
المحدودة في ذلك."

"إن كان هذا ما تظنه، فأنت لم تسمع أو تر ما يكفي
لتعلم الحقيقة."

“توقف عن هذا يا سيد سبايد. أنت لا تتوقع منّا حقًا أن نظن أنك خائف من الشرطة على الإطلاق، أو أنك لست قادرًا على التعامل.”

أصدر سبايد صوتًا معترضًا هازئًا، صدر بتعاون بين حلقه وأنفه. مال بعدها للأمام وأراح ساعديه على ركبتيه وقاطع جوتمان بضيق: “لست خائفًا منهم، وأعرف تمامًا كيف أتعامل معهم، وهذا هو ما أحاول إخبارك به من البداية، علينا أن نسلمهم شخصًا يمكنهم أن يربطوه إلى الجرائم.”

“أؤكد لك يا سيدي، أنه ربما تكون هذه إحدى طرق التعامل بالفعل مع الأمر، ولكن...”

“اللعنة على لكن..”، قال سبايد، “هذه هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع الأمر”، كانت عيناه تتقدان شرارًا من تحت جبهة قد احمرّت بفعل الغضب، وقد صارت الكدمات على صدغه حمراء مدّمة. “أعلم تمامًا ما الذي أتحدث عنه. لقد مررت بموقف مماثل وأتوقع أن نجابه موقفًا لا يختلف عنه كثيرًا. بشكل أو بآخر، كان عليّ أن أخبر الجميع في المحكمة العليا أن يذهبوا إلى الجحيم، ولقد أفلتت بفعلي، فقط لأنني أبدًا لا أنسى أن يوم الحساب لا بُدّ قادم. لا أنسى أبدًا أنه حينما يجيء وقت الحساب، عليّ أن اكون مستعدًا للذهاب إلى مقر

المحكمة، أرفع أمامي الضحية قائلاً: "أيها المغفلون، هذا هو المجرم"، ما دمت قادرًا على ضمان هذه الخطوة، فيمكنني ببساطة أن أضع إبهامي على أنفي وأهز أصابعي ساخرًا هازئًا من كل القوانين التي جاءت في كتاب القانون. في اليوم الذي أفضل فيه في ضمان ذلك الحل، سيتطبخ اسمي إلى الأبد، لم يحدث هذا أبدًا، ولن يحدث، وهذا أمر منتهٍ."

ارتعشت عينا جوتمان، وحلّت الريبة محل الخبث المقيم فيها، غير أن بقية ملامحه ظلت على حالها، خبت يتقاطر من بين وجهه الوردي المنتفخ، ولم يكن صوته مريحًا على الإطلاق. قال: "هذه خطة لا يعوزها تقدير يا سيدي، هي كذلك.. حقًا وصدقًا، وإن كنت أرى الأمر عمليًا بأي شكلٍ، لتطوعت فورًا باعتماد خطتك، ولكن في حالتنا هذه، هذا أمرٌ غير وارد للأسف، حتى أفضل الخطط لا تفلح أحيانًا. سيأتي دائمًا وقت ما عندما يكون عليك أن تقوم باستثناءات، والعاقل هو من يقوم بهم في الوقت المناسب. وهذا هو ما نحتاجه الآن، وأنا لا أمانع على الإطلاق أن أذكرك بأنك قد قبضت مبلغًا مناسبًا بما يكفي ليدفعك لتقديم هذا الاستثناء، ربما سيكون الأمر أصعب عليك قليلًا مما لو كان لديك بالفعل ضحية مناسبة لتقديمها للشرطة،

ولكن - ضحك وفردَ يديه - أنت رجل لا يخشى
مجابهة القليل من المشاكل. أنت تعرف جيدًا كيف
تتعامل مع الأمور، وتعلم جيدًا أنك ستخرج منها سليما
معافى، مهما يحدث. زم الرجل السمين شفتيه، وغمز
بعينه، "سيمكنك التعامل مع هذا الأمر يا سيدي".

فقدت عينا سبايد حيويتهما. كان وجهه خاليًا من
كل تعبير. "أنا أعلم تمامًا عما أتحدث"، قال بنبرة
خفيضة، واعية وصبورة. "هذه مدينتي وهذه اللعبة
التي أمارس. أستطيع أن أخرج منها سليمًا معافى-
بالطبع - هذه المرة، ولكن المرة القادمة التي سأحاول
فيها خداعهم سيسبقونني ويحطمونني. اللعنة على
ذلك كله. أنتم ستغادرون هنا كطيور حرّة إلى نيويورك،
أسطنبول، أو أي مكان آخر، أما أنا فعليّ البقاء والعمل
هنا.

"ولكن بالتأكيد، يمكنك.."

"لا يمكنني، لن أفعل، وأنا أعني ما أقول"، قال سبايد
بتصميم، واعتدل في جلسته، وغطت وجهه ابتسامة
عريضة مسحت عنه كل ضجر وبلادة. تحدث سبايد
بسرعة في نبرة محببة، مقنعة: "استمع إليّ يا جوتمان،
إنني أخبرك بما فيه مصلحة لنا جميعًا، إذا لم نمح
الشرطة كبش الفداء، ففرصتنا هي واحدٌ إلى عشرة في

اكتشافهم أمر الصقر إما عاجلاً أو آجلاً، وسيكون عليك حينها أن تخفيه مجدداً - في أي مكانٍ تحل به - مما سيصعب عليك أمر التصرف فيه والحصول على الثروة المستحقة من ورائه. امنحهم كبش فداء وسيكتفون حينها به.

“حسناً يا سيدي، هذا هو لبُّ الموضوع، هل إذا منحناهم كبش الفداء ذاك سيكتفون به فعلاً؟ أم سيعتبرونه دليلاً حياً أو بداية خيط يتبعونه فيصلون في النهاية إلى الصقر في كل الأحوال؟ من ناحية أخرى، لماذا لا تقول إنهم قد توقفوا بالفعل، وأنه من الأفضل لنا أن نترك الأمور كما هي؟”

انتفخ عرق أحمر غاضب في جبهة سبايد. “يا إلهي! أنت لا تعرف ماذا يجري حقاً”، ثم أضاف محاولاً الحفاظ على نبرة صوت منضبطة: “إنهم لا يغطون في النوم بغير دراية يا جوتمان، إنهم يكذبون، ينتظرون، ولا بأس بذلك طالما أمكنني أن أحل الأمر في الوقت المناسب، ولكن إن لم أفعل فالأس كل الأس. صار يستخدم نبرته المقنعة مجدداً. “اسمع يا جوتمان، علينا أن نقدم لهم ضحية من كل بُدٍّ، لا مفر. دعنا نقدم لهم هذا الأحمق” أو ما برضا نحو الفتى الشاب الواقف في مدخل الباب. “لقد أطلق الرصاص على القتيلين بالفعل،

الآيس كذلك؟ ثورزبي و جاكوبي.. على كل حال، هو مناسبٌ جدًا لأداء الدور، دعنا نلصق به كافة الحجج التي ستقنعهم ثم نسلمه إليهم." ضيَّق الفتى زاوية فمه فيما بدا كابتسامة ضئيلة. لم يبذ أن اقتراح سبايد قد أثر عليه على الإطلاق. أما كايرو فقد انفتح فمه مندهشًا، واتسعت حدقتا عينيه، واصفرَّ وجهه. كان صدره ذو الهيئة الأثوية اللينة يرتفع وينخفض في ترقب بينما نظر إلى سبايد، ابتعدت بريجيد أوشونسي عن سبايد وجلست محدقة إليهن وتراقص شبح ابتسامة هيستيرية خلف وجهها المحترار المذهول. بقي وجه جوتمان خاليًا بلا تعبير للحظة بدت طويلة، ثم قَدَّر أن يضحك. ضحك ضحكة طويلة من قلبه، ولم يتوقف حتى اكتسبت عيناه المخادعتان مَرَحًا من أثر ما ضحك. قال جوتمان عندما توقف عن الضحك: "يا إلهي يا سيدي، إنك حقًا شخصية مذهلة، حقًا"، أخرج بعدها منديلًا أبيض من جيبه وجلس يمسح دموعه. "حقًا لا يمكن للمرء أن يتوقع ما قد تتفوه به أو تقترحه في الثانية التالية، سوى أنه سيكون على الأرجح شيئًا مذهلاً".

"ليس هناك ما يُضحك فيما قلته" لم يبذ سبايد مُهانًا في أثر ضحكة الرجل السمين، ولا منبهراً. كان سبايد

يتحدث بهيئة من يحاول منطقة الأمر، بدون أن يبدو
منطقه غير مبزّر. "إنه أفضل اختيار لدينا. عندما يصبح
في يد الشرطة، يمكننا.."

"ولكن يا سيدي العزيز، ألا يمكنك أن ترى ما
المشكلة؟ أليس هذا اقتراحًا كان يمكنني أن أقوم أنا به
لو استطعت.. ولكنّ هذا أمر سخيف. إنني أحب ويلمر
حقًا كما لو كان ابني. حقًا أفعل، ولكن حتى لو افترضنا
للحظة أنني يمكنني اعتماد اقتراحك، ما الذي يجعلك
تظن أن ويلمر سيحفظ السر ولن يبلغ الشرطة بكل
تفصيّل تخص أمر الصقر، وتخصنا جميعًا؟

ابتسم سبايد، "يمكننا أن نجعل الأمر يبدو كما لو أنه
قد قُتِلَ خلال مقاومته لنا، ولكننا لن نحتاج لهذا،
سيؤذي هو نفسه حتمًا دون تدخّل أحد، وأعدك أن
أحدًا لن يحاول منعه. سيمر الأمر بسلام.

تجعّد اللحم الأحمر المتراكم على جبهة جوتمان في
تكشيرة صادقة، وأخفض رأسه، حتى انسحقت ذقنه
المنتفخة التي انحشرت في ياقة قميصه، وسأل:
"كيف؟" ثم رفع رأسه فجأةً فاهتزت ترهلاته وارتعش
جسده، ثم نظر إلى الفتى ويلمر وضحك بشدة. "ما
رأيك يا ويلمر؟ أمرٌ مضحك، أليس كذلك؟". لمعت عينا
الفتى الباردتان بلون العسل من تحت رموشه الطويلة،

وقال بصوتٍ خفيضٍ ونبرة واضحة: "نعم مضحك جدًا.. ابن العاهرة هذا."

توجّه سبايد بسؤالٍ إلى بريجيد أوشونسي: "كيف تشعرين الآن يا ملاكي؟ أيّ تحسن؟"
 "نعم. أشعر أنني أفضل الآن، غير أنني.."- أخفضت صوتها حتى لا تصل كلماتها واضحة لأبعد من مسامع سبايد - "أنا خائفة".

"لا تخافي"، قالها بلا اكترات ووضع يداً على ركبتيها التي انثنت في جوربها الرمادي الطويل. "لن يحدث أي شيء سيء. أتريدين شرابًا؟"

"ليس الآن. شكرًا"، ثم غرق صوتها في التوتر مجددًا. "كن حذرًا يا سام."

ابتسم سبايد ونظر إلى جوتمان الذي كان ينظر محدقًا إليه. ابتسم الرجل ثم صمت للحظة وأعاد سؤاله: "كيف؟". بدا سام غبيًا. "كيف ماذا؟"

افترض الرجل السمين أن الموقف يحتاج منه للشرح، ولا بأس بقليل من الضحك أيضًا، فأطلق بعضه وسأل: "حسنًا يا سيدي، إن كنت جادًا بخصوص هذا الأمر - أعني اقتراحك - فأقل ما يمكننا منحك هو أن نستمتع لاقتراحك كاملاً من باب التوقير، والآن أخبرنا كيف ستتمكن من معالجة الأمر بحيث لا يتمكن ويلمر

- عاد الرجل السمين يضحك - من إيدائنا؟"

هزّ سبايد رأسه. "لا، لا أسمح لنفسى باستغلال توقيركم لي مهما افترضه من أسباب، وعليه فلتنس الأمر."

رفع الرجل رأسه المكتنز. "كف عن هذا"، اعترض، "أنت تزعجني عن عمدٍ الآن. ربما لم يكن عليّ أن أضحك، وأعتذر عن هذا من كل قلبي. لا أريد أن أبدو كأنني أستخف بأي اقتراحاتك سيد سبايد، على الرغم من قدر اختلافي معك في الرأي، فلا بُدَّ لك أنت تعرف أنني أكنّ عظيم التقدير والإعجاب لدهائك، والآن دعني أخبرك أنني لا أرى أي وجهة أو عملية في اقتراحك هذا - حتى إن وضعنا جنبًا شعوري المخلص نحو ويلمر كأنه ابني من لحمي ودمي - ولكنني سأعتبره فضلًا منك وتكرم ودليلاً على قبولك اعتذاري إن تفضلت وأخبرتنا عن تفاصيل اقتراحك هذا كاملة.

"تفسير مقبول" قال سبايد، "بريان، كعادة كل المحامين العموميين، يهتم أولاً بتسوية أوراق القضية أكثر من أيّ شيءٍ آخر، إن تضاربت أحداث قضية ما مع آرائه عنها، سيختار دائماً أن يسقط تفسيرها المقنع من حساباته. لا أعلم عنه أنه قد ألصق تهماً بأبرياء من قبل، ولكنني لا أراه قد يترك نفسه يقتنع ببراءة أحدهم

إن استطاع لوي حقيقة ما أو تطويعها لتناسب فكرته عنها كدليل على الجريمة. في سبيل أن يتمكن من إدانة متهم رئيسي واحد، سيتخلى ببساطة عن ملاحقة نصف دستة من شركائه عن طيب خاطر- في حالة ما أضر اتهامهم جميعًا بكمال قضيته. هذا هو الاختيار الذي سنطعمه إياه وسيتناوله سعيدًا هانئًا. لن يريد أن يعرف شيئًا عن الصقر، سيحاول إقناع نفسه أن كل ما يقوله الفتى هو محض هراء، ومحاولة منه لتبرئة نفسه بتشتيت المحققين. حينها أتدخل أنا، سأريه أن محاولة إيقاع الجميع في براثن الاتهام، سيعقد قضيته ويقطع أي فرصة على أي لجنة محلفين لفهم ملابسات القضية، في حين أنه وإن تمسك باعترافات الأحمق وكونه هو المتهم الرئيسي، سيتمنحه هذا قضية متماسكة مكتملة الأطراف.

هز جوتمان رأسه في بادرة اعتراض لطيفة: "لا يا سيدي، لا أعتقد أن حجتك مقنعة، على الإطلاق، لا أرى كيف يمكن للمحامي العام أن يقتنع بعلاقة ويلمر بثورزبي وجاكوبي دون أن يضطر."

"أنت لا تعرف المحامين العموميين"، قال سبايد، "أما عن قضية ثورزبي، فالرابط واضح، فقد كان ثورزبي رجل عصابات، وكذلك هذا الفتى الأحمق،

بريان يملك نظرية بالفعل عن هذا الرابط. لن تكون هناك أي مشكلة. اللعنة، في كل الأحوال لن يقرروا إعدام الفتى على كل جريمة يرتكبها. لماذا عليه أن يهتم بالرابط بينه وبين مقتل جاكوبي إن كان يملك رابطًا بالفعل يربطه إلى مقتل ثورزيبي؟ سيغلقون القضية ويضيفون إلى صحيفته تهمة قتل جاكوبي، كونه قد استخدم نفس المسدس في الجريمتين، سيتم مطابقة الرصاص في الجثتين بالسلاح ذاته، ويصير الجميع سعداء."

"نعم، لكن"، توقف جوتمان عن الحديث فجأة ونظر إلى الفتى.

تحرك الفتى من أمام الباب واقترب الفتى من الجمع الجالس، بخطى ثابتة، حتى وقف في منتصف المسافة بين جوتمان وكايرو. انحنى قليلاً للأمام ورفع كتفيه، كان مسدسه لا يزال متدلياً من جانبه، غير أن أصابعه عليه قد صارت بيضاء من شدة قبضته عليه، بينما تكورت يده الأخرى في شكل قبضة تدلت ملتصقة بساقه. تحولت ملامحه الشابة - التي قد تفترض البراءة - ببشاعة وغير إنسانية إلى ملامح لا تحوي سوى الكراهية والبرود، تحوّل الفتى إلى مسخ حاقٍ، وقال لسبايد بصوتٍ تكسّر بفعل مشاعره: "قُم أيها

الوغد وواجهني بمسدسك!

ابتسم سبايد للفتى، لم تكن ابتسامته عريضة غير أنها حملت إحساسًا أصيلاً وأكيدًا باستمتاع صاحبها بالموقف.

قال الفتى: "قم أيها الوغد وأطلق عليّ رصاصك إن كنت تملك الشجاعة لفعلها، لقد تحملت منك ما يكفي.".

تضاعف إحساس سبايد بالمتعة الخالصة المستخلصة من ردّ فعل الصبي، ونظر إلى جوتمان وقال: "الغرب المتوحش في نسخته الشابة!"، كان صوته يشي بمرحٍ مضاعفٍ كما ابتسامته. "ربما عليك أن تلفت انتباهه إلى أن فكرة قتلي قبل أن تضعوا أيديكم على الصقر، ستضر بالتأكد بمصلحة الصفقة."

حاول جوتمان معاودة الابتسام، غير أنّه فشل، ولكنه لم يسمح بأن تتسرّب مشاعره إلى وجهه، فحافظ عليه جامدًا. بلل شفثيه الجافة بلسان لا يقل جفافًا. خرج صوت جوتمان أكثر قوة وفضاظة مما رغب بدلًا عن النبرة الأبوية الموبّخة التي انتوى. "يكفي هذا يا ويلم، لا يمكن لهذا أن يحدث. عليك ألا تمنح كل هذا الاهتمام لمثل هذه مشاعر. عليك.."

لم يفرع الفتى عينيه عن سبايد، وقال بصوت

مختنق: "اجعله يمتنع عني إذًا. سوف أرشقه بالرصاص إن لم يتوقف عن مضايقتي، ولا يوجد على الأرض من سيمنعني حينها من أن أفعل."

"يكفي هذا يا ويلمر"، قال جوتمان ونظر إلى سبايد. كان قد أعاد التحكم في صوته وملامحه الآن. "كما أخبرت في البداية يا سيدي، فإن خطتك غير عملية بالمرة، فدعنا لا نتحدث في هذا الأمر مجددًا"

أجال سبايد بصره بينهما، كان قد توقف عن الابتسام، وأصبح وجهه خاليًا من كل تعبير. "سأتحدث في كل ما أريد التحدث عنه."

"ستفعل بالتأكيد"، قال جوتمان، "وهذا أحد الأشياء التي قد منحتك جُلَّ تقديري، ولكن فيما يتعلق بها الأمر، فهو كما قلت، غير عملي على الإطلاق؛ لذلك ليس هناك أي فائدة من إضاعة الوقت في مناقشته، كما لا بُدَّ أنك ترى."

"لست أرى هذا في الواقع"، قال سبايد، "ولم تستطع إقناعي برؤية ما تقصده، ولا أظنك تستطيع"، عبس سبايد في وجه جوتمان، "دَعْنَا نستوضح الأمر قليلًا. هل أضيع وقتي في التحدث إليك؟ لقد ظننت أنك المتحكم في الأمر، لمن عليَّ أن أوجه حديثي إذًا؟ إلى هذا الأحمق؟ أعلم كيف أفعل هذا."

“لا يا سيدي”، قال جوتمان، “أنت مُحِقُّ تمامًا في توجيه حديثك إليّ.”

“حسنًا، لدي اقتراح آخر ربما لا يكون جيدًا كالحل الأول، ولكنه اقتراح على كل حال، أتريد سماعه؟”
 “بكل تأكيد.”

“سلم كايرو للشرطة كضحية.”

انتفض كايرو ورفع مسدسه عن الطاولة، وظلَّ قابضًا عليه في حجره بكلتا يديه، غير أنه كان موجهًا إلى الأرض، وقد عاد وجهه مصفرًا كما كان، وظلَّ ينقل نظراته ما بين الجالسين. كانت عيناه غامضتين، ذواتا أبعاد لا يدرك مداها الناظر إليها.

قال جوتمان وهو لا يكاد يصدق ما سمعه: “ماذا قلت أن علينا أن نفعل؟”

“سلم كايرو للشرطة كضحية.”

كان يبدو أن جوتمان على وشك أن يطلق ضحكته الساخرة المعتادة، غير أنه لم يفعل، وإنما تابع في النهاية: “بالله يا سيدي!”، قال بنبرة متشككة.

“قد لا يبدو كبشًا جيدًا كمثل الأحمق، ذلك أنه ليس رجل عصابات، وأن مسدسه أصغر من ذلك الذي استخدم لقتل ثورزبي وجاكوبي، ولكن هذا حلُّ أفضل من أن نعجز عن تقديم أي كبش فداء آخر للشرطة.”

صرخ كايرو بصوتٍ حادٍّ مستنكرٍ: "ما رأيك إذا يا سيد جوتمان أن نسلم إليهم الآنسة أوشونسي أو السيد سبايد، طالما هو يصر على تسليم أيًا كان."

ابتسم سبايد إلى الشرقي، وقال بحيادٍ: "أنتم تريدون الصقر، وأنا أملكه، كبش الفداء هو جزءٌ من الثمن الذي أطلبه في مقابله، أما عن الآنسة أوشونسي.. انتقلت نظرتي المحايدة إلى وجهها الشاحب الأبيض ثم عادت إلى كايرو ورفع كتفيه قليلًا.. إذا كنت تظن أنها ستصلح للدور بأي شكلٍ فأنا مستعد تمامًا لمناقشة هذا الاحتمال."

وضعت الفتاة يدها على حلقها، وصرخت صرخة قصيرة خنقها بالبكاء، ثم ابتعدت عنه.

تابع كايرو بينما جسده يرتجف من الإثارة: "لقد نسيت أنك لست في موقف يسمح لك بكل هذا العناد والإصرار."

كانت ضحكة سبايد قصيرة، ساخرة بنبرة مستهزئة. قال جوتمان بنبرة حاول أن تكون حاسمة وإنما متملقة: "يكفي هذا يا سيدي، دعونا نكمل حديثنا الودي، كما أن هناك - موجهًا حديثه إلى سبايد - بعض الوجاهة في حديث السيد كايرو بفرض."

"بالطبع أفترض فيه الوجاهة"، تحدت سبايد بلا

مبالاة أكسبت حديثه ثقلاً لم يكن صوته العالي أو
تلويحاته الدرامية لتجلبه. "إن قتلتي الآن، كيف بحق
الجحيم تظن أنك ستحصل على الطائر؟ أعلم أنك لا
يمكنك أن تغامر بقتلي، فماذا لديك لتهددني لتضطرني
تسليمه إليك؟"

هز جوتمان رأسه محاولاً استيعاب أسئلة سبايد،
وارتعشت عيناه وزمت شفثاه، ثم قال بلطف: "حسناً يا
سيدي، هناك طرق أخرى للإقناع غير القتل أو التهديد."
"بالطبع"، وافقه سبايد، "لكنهم بلا أهمية حقاً إن كان
من تهده لا يخشى منك حتى الموت، هل ترى ما
أقصده؟ إن فعلت أي شيء يزعجني، فلن أَرْضُخَ،
سأخبرك بين أن تقوم بتنفيذه حقاً وبين قتلك لي، علماً
بأنه لا يمكنك قتلي."

ضحك الرجل السمين: "أفهم ما تقصده، تصرفك هذا
يا سيدي سيء حقاً لموقفك، لأنه كما تعرف، فإن
اندفاع الأشخاص بوحى من مشاعرهم قد يجعلهم
ينسون أحياناً أين تكمن مصالحهم، وعليه يجنحون إلى
خسارتها في سبيل الارتكان لمشاعرهم."

كان سبايد أيضاً يضحك حينما أجابه: "هذا هو
تحديداً ضمانني فيما أخبرتك، ذلك أنني قد جعلت
موقفي الآن من القوة بحيث لا يمنحك خياراً، غير أنه

لا يسمح لك بتبني الغضب موقفاً لدرجة تمكّنك من قتلي اعتماداً على حُسن تقديرِك للأمور لعلمك بأنك ستخسر مصلحتك إن ركنت لمشاعر الغضب.

“يا إلهي، إنك شخص مذهل” قال جوتمان بمزيد من إعجاب.

قفز كايرو عن كرسيه ووقف وراء جوتمان والفتى الشاب، ثم أخفى يده بفمه واقترب من أذن جوتمان وبدأ يهمس له.

استمع جوتمان باهتمامٍ بينما أغلق عينيه.

ابتسم سبايد إلى بريجيد أوشونسي، وبادلته هي الابتسام بضعف، ولكن النظرة المخدرة التي كانت تطل من عينيها ظلّت على حالها. التفت سبايد إلى الفتى: “أراهنك أنهم سيضحون بك يا بني”. لم يرد الفتى، غيد أن ارتعاشة بسيطة في ركبتيه ظهرت من تحت بنطاله. توجه سبايد بحديثه إلى جوتمان: “أتمنى ألا تكون قد تأثرت بالنسخة المصغرة من عصاة المتهورين تلك وتلويحهم بمسدساتهم”.

فتح جوتمان عينيه، وتوقف كايرو عن الهمس ووقف منتصباً خلف مقعد جوتمان.

“سبق لي تجريدهم منها، فلن يكون هناك مشكلة. هذا الأحمق.” قال سبايد

بصوت فزع مختنق بالمشاعر، صرخ الفتى، "حسنًا"، ثم رفع مسدسه أمام صدره.

رفع جوتمان يده السمينة إلى معصم الفتى وأمسكه، ولواه إلى الأسفل بينما قام من مقعده على الكرسي الهزاز، التف كايرو على الجانب الآخر من الفتى وأمسك بذراعه الحرة. صارع الاثنان الفتى، وأجبراه على خفض ذراعيه، محكمين عليهما القبضة، كان الفتى يحاول مقاومتهم بلا جدوى، وتطايرت كلمات متضاربة عن الجماعة المتصارعة: بعضًا من حديث الفتى غير المترابط - "حسنًا. اذهب.. وغد.. دخان" وبعضًا من حديث جوتمان: "كفى، كفى يا ويلمر"، بتكرار لا يمل، - وأخيرًا بعضًا مما قال كايرو "لا تفعل أرجوك" و "لا تفعل ذلك يا ويلمر".

قام سبايد بوجهٍ متخشّبٍ وعينين سارحتين ووصل إلى القوم المتصارعين. توقف الفتى عن المقاومة، عاجزًا أمام ثقل الرجلين. بينما ما زال يحكم قبضته على ذراعه، وقف كايرو أمام الفتى متحدثًا إليه برقة. أزاح سبايد كايرو من طريقه بلطف، ووجه قبضته اليسرى نحو ذقن الفتى، ارتدت رأس الفتى للوراء بقدر ما سمح به وضعه وهو مقيد الذراع. أبدى جوتمان محاولة فاشلة للاعتراض: "انتظر، ما الذي.."، قبل أن

يتم جملة، كان سبايد قد وجّه قبضته اليمنى إلى حيث وجّه يسراه من قليل. ترك كايرو ذراع الفتى، الذي سقط في أثر القبضة وانفلات ذراعه على جسد جوتمان المنتفخ. قفز كايرو في اتجاه سبايد محاولاً مهاجمته بأصابعه التي تلوت كمخالب، زفر سبايد وأبعد الشرقي من طريقه، عاد كايرو لمهاجمته مرة أخرى. كانت عيناه مدمعتين، وتحركت شفثاه الحمراءوان بغضب، تقففي أثر كلمات، وتخلقها، غير أنها تصدر عنه تمتمة بلا صوت.

ضحك سبايد ثم صاح في كايرو: "يا إلهي، كم أنت مزعجًا بالفعل"، ثم أوقفه بكفه الذي قبض به على جانب وجهه ودفعه أرضاً في اتجاه الطاولة. استعاد كايرو توازنه وقام مهاجمًا سبايد للمرة الثالثة. أوقفه سبايد بكفيه اللذين قبضا على وجهه، عاجزاً بيديه القصيرتين عن الوصول لوجه سبايد، ظلّ ينفذ ذراعيه، صرخ سبايد: "توقف عن هذا، وإلا أذيتك"، صرخ كايرو: "آه أيها الجبان الضخم" ثم ارتجع عنه.

توقف سبايد ورفع عن الأرض مسدسي كايرو والفتى، ثم اعتدل ممسكاً إياهما بيده اليسرى، ثم تركهما يتدليان من سبابته التي اخترقت الفتحة بجوار الزناد. كان جوتمان قد وضع الفتى على الكرسي الهزاز

ووقف ينظر إليه بعين حائرة، ووجه مشوش. رقد
كايرو على ركبتيه بجوار الفتى وجلس يمسد إحدى
يديه.

رفع سبايد ذقن الفتى بأصابعه: "لم أكسر أي شيء،
دعونا نضعه مستويًا على الأريكة". وضع سبايد ذراعه
اليمنى تحت ذراع الفتى وحول ظهره، ثم مدّ مرفقه
الأيسر تحت ركبتيه وحمله بلا جهدٍ ظاهرٍ ثم سار به
حتى الأريكة. قامت بريجيد أوشونسي من فورها،
وأرقد سبايد الفتى مكانها، ربت سبايد بيده اليمنى
على ملابس الفتى، ووجد المسدس الثاني حيث أخفاه،
ثم ضمّه إلى المجموعة التي تدلت من سبابته اليسرى،
ثم سار مبتعدًا عن الأريكة. كان كايرو حينها جالسًا
بجوار رأس الفتى.

ابتسم سبايد بمرح، مقرقًا المسدسات في يساره،
"حسنًا، هذا هو كبش فداننا."

كان وجه جوتمان قد صار رماديًا وغائمًا، ولم ينظر
إلى سبايد بينما تكلم، بل اكتفى بالنظر إلى الأرض ولم
يزد بحرف.

"لا تتحامق مجددًا، لقد تركت كايرو يهمس إليك،
وقيدت الفتى جيدًا بينما وجهت نحوه قبضاتي، لا
يمكنك أن تظل تضحك وتمزح حول الأمر، وإلا

ستتأذى قبل أن تدرك.

تقدّم جوتمان بخطوة على السجادة ولم يقل شيئًا.
 "والأهم الآن، أن توافق حاليًا على اقتراحي، وإلا
 سأسلم الصقر وأسلمكم جميعًا معه إلى الشرطة."

رفع جوتمان رأسه وقال من بين أسنانه: "سيدي، أنا
 لست مرتاحًا لموقفك هذا على الإطلاق."

"لن يعجبك ما هو سواه أيضًا، فماذا نفعل؟"

تنهد الرجل السمين، وقال بحزنٍ ووجهٍ هدّه التعب:
 "يمكنك أن تأخذه."

"عظيم"، قال سبايد.

الفصل التاسع عشر

اليد الروسية

رقد الفتى على الأريكة ممدًا على ظهره، بهيئته الضئيلة التي بدت - بخلاف تنفسه - كجثة راقدة في سلام. كان كايرو جالسًا بجوار الفتى، يميل من فوقه مدلًا وجنتيه ومعصمه، وممسدًا شعره ورافعًا خصلاته عن وجهه، هامسًا له، وناظرًا بترقب قلق إلى وجهه الشاحب. وقفت بريجيد أوشونسي في زاوية ما بين الطاولة والحائط، كان تستند بإحدى يديها على الطاولة، بينما رفعت الأخرى إلى صدرها، تعض على شفثيها، وتتطلع إلى سبايد خلسة في كل مرة كان ناظرًا فيها إلى بعيد، وعندما كان يوجه إليها ناظره، كانت تحول عينيها فورًا إلى كايرو والصبي الراقد. كان وجه جوتمان قد بدأ يستعيد هيئته الوردية عوضًا عن شحوبه السابق، وقد وقف واضعًا يده في جيوبه محملقًا في سبايد بلا فضول.

سأل سبايد بينما يتلاعب بالمسدسات في يده، ومومئًا إلى كايرو الجالس على الطاولة موجهًا إليهم ظهره: "هل سيوافق على هذا الأمر؟"

"لا أدري"، قال الرجل السمين، "هذا الجزء سيكون مهمتك وحدك يا سيدي."

برز وجه سبايد بهيئته المثلثة بفعل ابتسامته، وقال:
 "كايرو"، التّف كايرو ونظر إليهم بوجهه المظلم المتوتر.
 دعه يرتاح قليلاً، سنسلمه إلى الشرطة، وعلينا أن
 نستقر على بعض الأمور أولاً". قال سبايد
 "ألا تظن أنك قد فعلت به ما يكفي؟" قال كايرو
 بمرارة

"لا" ردّ سبايد.

ترك كايرو مقعده بجوار رأس الفتى وتوجّه إلى
 الرجل السمين: "أرجوك ألا تفعل هذا يا سيد جوتمان"،
 توّسل كايرو، "يجب أن تدرك أن..."

قاطعه سبايد

"هذا أمرٌ متته، السؤال الآن، ماذا سيكون قرارك؟ هل
 أنت معنا أم ضدنا؟"

هزّ جوتمان رأسه بابتسامة حزينة، ملتاعة بقدرٍ ما
 "أنا أيضًا لا يعجبني هذا الحل"، قال موجّها حديثه إلى
 الشرقيّ، "ولكن لا يمكننا إنقاذ أنفسنا من هذا المصير
 الآن. حقًا لا يمكننا تجنبه."

أعاد سبايد السؤال: "ماذا ستفعل يا كايرو؟ معنا أم
 ضدنا؟"

بلل كايرو شففتيهن وتحول ببطء لمواجهة سبايد.
 "أعتقد"، ثم ابتلع ريقه، "أنني.. هل أملك الاختيار؟"

“نعم تملكه”، قال سبايد، “لكن عليك أن تعلم أنه إذا كانت إجابتك بأنك ضدنا، سنضطر لتسليمك إلى الشرطة مع عشيقك الصغير.”

“توقف يا سيد سبايد”، قال جوتمان معترضًا، “هذا ليس...”

“كأننا سنتركه يفلت برأيه في اتخاذ موقف ضدنا؟” قال سبايد، “إما معنا أو ضدنا، لا يمكننا ترك أي فرصة لفساد صفقتنا دون التعامل معها”، عبس في مواجهة جوتمان وانفجر مغتاضًا “يا إلهي.. ماذا ستفعل بعد ذلك؟ ستقعي على ركبتيك وتبدأ في الدعاء؟”، ثم وجه عينيه الآن نحو وجه كايرو: “حسنًا، ما اختيارك؟”

“لم تترك لي أيَّ اختيارٍ”، أخفض كايرو كتفيه في يأس، “أنا معكم.”

“جيد” قال سبايد ونظر إلى جوتمان وبريجيد أوشونسي “اجلسا.”

جلست الفتاة بحذر شديد على طرف الأريكة بجوار الفتى الراقد عليها، وعاد جوتمان إلى كرسيه الهزان وكايرو إلى مقعده.

وضع سبايد المسدسات على الطاولة وجلس إلى جوارهما. نظر إلى ساعته وقال: “الساعة الآن الثانية صباحًا. لا يمكنني الوصول إلى الصقر قبل الصباح لدينا

وقت كافٍ لمناقشة كل الترتيبات.

سعل جوتمان: "أين هو؟"، قال ثم أضاف في عجلة: "لا أهتم في الحقيقة بمكانه يا سيدي، ما أفكر فيه هو أنه من الأفضل ألا يبتعد أحدنا في أي وقت قبل أن تتم صفقتنا"، نظر إلى الأريكة، ثم عاد ينظر إلى سبايد: "هل المظروف بحوزتك؟"

هزّ سبايد رأسه نافياً بينما نظر إلى الأريكة ثم إلى الفتاة. ابتسم بعينيه وقال: "المظروف بحوزة الأنسة أوشونسي".

"نعم، هو معي"، تمتمت بينما وضعت يدها داخل أحد جيوبها، "لقد التقطته.."

"لا بأس"، قال لها سبايد، "حافظي عليه"، ثم وجه حديثه إلى جوتمان: "لن يبتعد أيّ منّا عن هنا، يمكنني أن أطلب توصيل الصقر إلينا".

"سيكون هذا عظيمًا"، قال جوتمان، "إذًا يا سيدي، في مقابل العشرة آلاف دولارات وويلمر، ستمنحنا الصقر وساعة أو اثنتين نكون خلالهما قد غادرنا المدينة قبل أن تقوم بتسليمه إلى السلطات".

"لن تحتاج إلى الاختباء، سيكون كل شيء على ما يرام".

"ربما يا سيدي، لكننا سنشعر بالأمان أكثر إن كنا

خارج المدينة بينما يقوم المحامي العام باستجواب ويلمر”

“كما تريد” ردَّ سبايد، “يمكنني أن أبقيه هنا طوال اليوم إن أردت”، ثم بدأ في لفَّ سيجارة. “دعنا الآن نتفق على التفاصيل التي سنخبرها للسلطات، لماذا قتل الفتى ثورزبي؟ ولماذا قتل جاكوبي وأين؟”

قال جوتمان بابتسامة لطيفة بينما يهزُّ رأسه: “توقف عن هذا يا سيدي من فضلك، لا يمكنك أن تتوقع منا مساعدتك في هذا، لقد منحناك المال وويلمر، وهذا دورك، هذا جزء من اتفاقنا.”

“بل أنا أتوقع مساعدتكم بالفعل”. أشعل سبايد سيجارته. “لقد طلبت منكم توفير كبش فداء، ولن يكون ويلمر هو الكبش الضحية المناسب إلا لو كان ملجمًا فيصيبه سهم العدالة، وللتأكد من مناسبته لتحمل الذنب عليّ أن أعرف كل شيء عن كل شيء. لماذا تنذرون الآن؟ إن تركنا أي ثغرة له ليفلت منها، فستحملون النتيجة.”

مال جوتمان للأمام وظلَّ يلاعب المسدسات على الطاولة بجوار ساقي سبايد بإصبعه الشخين. “هناك دليل واضح على كونه مذنبًا يا سيدي. قُتل الرجلان باستخدام هذه المسدسات. ستكون مهمة سهلة جدًا

على خبراء الشرطة للتحقق من أن الرصاصات التي أطلقت على الرجلين قد خرجت بالفعل من هذه المسدسات بالتحديد. أنت تعرف ذلك، لقد قلته حتى بالفعل، وهذا في رأيي، دليل واضح على إدانته التامة.”

”ربما”، وافقه سبايد، ”ولكن الأمور ربما تكون أكثر تعقيدًا من هذا، عليّ أن أعرف ما الذي جرى بالضبط، حتى يمكنني التعامل مع بعض التفاصيل التي لن تتفق ومجرى الحكاية أو التي علينا إخفاؤها.”

اتسعت عينا كايرو وبدا عليه شديد القلق. ”يبدو أنك نسيت أنك قد طمأنتنا أن الأمر سيكون سهلاً بسيطًا”، قال كايرو، ثم تحول بوجهه المحتقن بالإثارة نحو جوتمان. ”أترى؟ لقد نصحتك ألا تفعل هذا. أنا لا أظن.”

”ما تظنه أو لا تظنه لا يهم على الإطلاق”، قال سبايد ببرود، ”أضحى الوقت متأخرًا جدًا لتراجعوا، لماذا قتل الفتى ثورزبي؟”

أراح جوتمان أصابعه على بطنه متقاطعة، وبدأ يهتز بالكربي، كان صوته كما ابتسامته حزينًا للغاية. ”أنت رجل صعب، ومجاراتك مهمة عسيرة للغاية، لقد بدأت أظن أننا قد أخطأنا حين قررنا أن نشرك في الأمر منذ البداية، يا إلهي، إنني حقًا أعتقد ذلك.”

لَوْحٍ سبَّابٍ بِيَدَيْهِ بَلَا أَكْتَرَاتٍ. "لَمْ يَكُنْ قَرَارَكَ خَاطِئًا تَمَامًا فِي الْوَاقِعِ، سَتَحْتَفِظُ بِحَرِيَّتِكَ وَبِصَقْرِكَ، مَا الَّذِي قَدْ تَتَمَنَّاهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟"، وَضَعَ سَبَّابٍ سَيَجَارْتُهُ فِي جَانِبِ فَمِهِ وَقَالَ: "عَلَى كُلِّ أَعْتَقْدُ أَنَّكَ تَعْلَمُ مَوْقِعَكَ مِنَ الْحَدِثِ الْآنَ. لِمَاذَا قَتَلْتَ الْفَتَى ثُورْزَبِي؟"

تَوَقَّفَ الرَّجُلُ عَنِ الْاِهْتِزَازِ بِالْكَرْسِيِّ: "كَانَ ثُورْزَبِي فَاتِلًا مَحْتَرَفًا وَشَرِيكَ الْآنَسَةِ أَوْشُونْسِيِّ. قَرَرْنَا أَنْ إِزَاحْتَهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ سَيَجْعَلُهَا تَفَكَّرُ أَنَّهُ رُبَّمَا مِنَ الْأَفْضَلِ لَهَا أَنْ تَتَعَاوَنَ مَعَنَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّنَا قَدْ حَرَمْنَاهَا مِنْ حَامِيهَا الْقَادِرِ. أَتَرَى يَا سَيِّدِي، أَتَرَى كَمْ أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ بِصَرَاحَةٍ مُطْلَقَةٍ؟"

"نَعَمْ. أَكْمَلْ، أَلَمْ تَشْكُ أَنَّكَ الصَّقْرُ رُبَّمَا يَكُونُ بِحُوزَتِهِ؟"

هَزَّ جُوتَمَانُ رَأْسَهُ حَتَّى اهْتَزَّتْ وَجْتَاهُ الْمَكْتَنَزَتَيْنِ. "لَمْ نَشْكُ فِي ذَلِكَ لِلْحِظَّةِ"، رَدَّ الرَّجُلُ السَّمِينُ، وَابْتَسَمَ بِنِيَّةٍ طَيِّبَةٍ. "كُنَّا مَحْظُوظَيْنِ كُونْنَا كُنَّا نَعْرِفُ الْآنَسَةَ أَوْشُونْسِي لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ، كُونَهَا لَنْ تَثِقَ بِهِ وَتَمْنَحَهُ الصَّقْرَ، غَيْرَ عَالَمِينَ بِأَنَّهَا قَدْ سَلَّمَتِ الصَّقْرَ بِالْفِعْلِ لِلْقَبْطَانِ جَاكُوبِيِّ فِي هُونْجِ كُونْجِ لِيَحْمِلَهُ إِلَى هُنَا عَلَى مَتْنٍ لَا بِالُومَا، بَيْنَمَا اسْتَقَلَّتْ هِيَ وَثُورْزَبِي مَرْكَبًا سَرِيعًا؛ لِذَلِكَ حِينَ فَكَّرْنَا فِي أَيُّهُمْ قَدْ يَكُونُ عَالِمًا بِمَكَانِ الصَّقْرِ،

لم نشك للحظة بأن ثورزبي كان هو العليم بالخبر." أوما سبايد وسأل: "ألم تحاول أن تعقد معه صفقة قبل أن تنصرفا بشأنه؟"

"بالطبع فعلنا يا سيدي. لقد تحدثت إليه بنفسي. استطاع ويلمر تحديد مكانه قبل يومين، وكان يحاول تتبعه إلى كل مكان جمعه بالآنسة أوشونسي، ولكن ثورزبي كان حذرًا جدًا في هذا الشأن، حتى وإن لم يكن يعلم أنه مراقب. ثم كان هذا اليوم الذي ذهب فيه ويلمر إلى فندقه، وعلم أنه ليس موجودًا، فجلس ينتظره. أعتقد أن ثورزبي قد عاد إلى هناك مباشرة بعد أن قتل شريكك. جلبه ويلمر بعدها ليتحدث إلي، ولكننا لم نستطع إليه سبيلًا، كان وفياً للغاية للآنسة أوشونسي، ثم تبعه ويلمر بعدها حتى الفندق، وفعل به ما فعل."

فكر سبايد للحظة. "تبدو هذه حكاية مترابطة. والآن جاكوبي؟"

نظر جوتمان إلى سبايد بعينين حزينتين وقال: "مقتل الكابتن جاكوبي كان غلطة الآنسة أوشونسي بالكامل."

شهقت الفتاة، ووضعت يدها على فمها: "أوه". كان صوت سبايد ثابتًا ومحايّدًا: "دعنا من هذا الآن،

أخبرني بما حدث.

نظر جوتمان لسبايد وابتسم: "كما تشاء يا سيدي" قال، "حسنًا لقد اتصل بي كايرو.. كنت أنا من أرسلت في طلبه.. بعد أن خرج من قسم الشرطة هذه الليلة.. أو في الصباح التالي.. كان برفقتي. ولقد أدركنا على الفور المصلحة المشتركة التي قد تعود علينا من وراء تعاوننا". ابتسم الرجل السمين إلى الشرقي. "السيد كايرو رجل حصيف. كانت زيارة بالوما اقتراحه، لقد تذكر أنه قد رأى الأنسة أوشونسي وثورزي في هونج كونج، وأنه بينما كان يحاول الوصول إليها، قد ظن أنها قد رحلت على متن لا بالوما، ثم عرف فيما بعد أنها لم تفعل. حينما رأى خبر وصول لا بالوما إلى الميناء، استنتج بالطبع ما حدث، وأن الأنسة أوشونسي قد سلّمت جاكوبي الصقر ليجلبه إليها هنا على متن لا بالوما، غير أن الأنسة أوشونسي لم تطلعه أبدًا عن محتوى الطرد الذي سلمته إيّاه، كانت تتعامل دائمًا بسرية فرضت عليها ذلك."

حدّق الرجل السمين بالفتاة، وهزّ كرسيه، ثم أكمل: "ذهبت أنا وويلمر وكايرو لملاقة الكابتن جاكوبي، وكنا محظوظين بما يكفي للوصول إلى السفينة بينما كانت الأنسة أوشونسي هناك بالفعل. كان اجتماعًا صعبًا بكل

حال، على كل، بحلول منتصف الليل، كنا قد استطعنا أن نقتنع الآنسة أوشونسي باتفاق مناسب، أو هكذا ظننا. غادرنا السفينة حينها، وذهبنا إلى الفندق، حيث كان يفترض بي منح الآنسة أوشونسي المال مقابل أن تسلمني الصقر. حسناً يا سيدي، كان لابد أن نعرف أننا لن نستطيع الاتفاق معها أبداً، وبدون أن ندرك، كانت هي وجاكوبي قد أفلتوا من بين أيدينا. "ضحك الرجل بمرح، "يا إلهي، لقد نفذوا الأمر ببراعة".

نظر سبايد إلى الفتاة، التي بادلتها نظرات متوسلة.
سأل سبايد جوتمان: "هل تسببت في أي أذى للسفينة قبل مغادرتكم؟"

"ليس عن عمدٍ على الأقل، غير أنني أجروُ على الاعتراف بأننا.. أو بأن ويلمر كان مسؤولاً عن الحريق. كان يجوب السفينة بحثاً عن الصقر بينما كنا جالسين جميعاً نتحدث في قمرة القبطان، ولا بُدَّ أنه لم يكن حذراً تماماً في استخدامه للكبريت."

"لا بأس، إن صادفتنا أيُّ زلات في أمر اعترافه بمقتل جاكوبي، يمكننا أيضاً أن نضم له تهمة الحرق العمد"

"بعدها تجولنا في المدينة محاولين إيجادهم وقد وجدناهم بالفعل في وقت متأخر من عصر اليوم، لم نكن متأكدين على الإطلاق من أننا قد نجدهم، ولكننا

عرفنا الطريق إلى شقة الأتسة أوشونسي، وعندما وصلنا إلى هناك، سمعنا أصواتًا من داخل الشقة، فعرفنا أننا قد وصلنا إليهم أخيرًا، فضربنا الجرس، ردت الأتسة أوشونسي تستطلع من الباب، وعندما أخبرناها سمعنا صوت شباك يفتح، وبالطبع علمنا معنى ذلك، لذلك أسرع ويلمر نزولًا عبر السلالم بأسرع ما يمكنه، ثم جرى حتى سلم الطوارئ على جانب المبنى ينتظر نزول جاكوبي، وفور دخوله إلى تلك الحارة وجد جاكوبي يحاول الهرب وبحوزته الصقر تحت ذراعه. كان موقفًا صعبًا للغاية، إلا أن ويلمر تعامل معه بقدر ما أمكنه. أطلق ويلمر الرصاص على جاكوبي - أكثر من مرة - غير أن جاكوبي كان قويًا لدرجة أنه لم يقع أو يسقط الصقر حتى من تحت ذراعه، وكان قريبًا جدًا من ويلمر ليتمكن الفرار منه، فاصطدم به وأوقعه وفز هاربًا. حدث هذا في عز النهار - كما تفهم - وقت العصر تمامًا. عندما قام ويلمر لمخ شرطيًا قادمًا من الجهة الأخرى، فلم يستطع تتبّع جاكوبي، بل قام بالاختباء في مبنى مجاور للكورونيت، ثم خرج إلى الشارع الرئيسي عبر بابه الخلفي، وعاد للكورونيت مرة أخرى، وقد كان محظوظًا للغاية لكونه قد فعل كل ما فعل دون أن يشهده أحد. على العموم، كان الموقف ما يزال على تعقيده. فتحت الأتسة أوشونسي الباب لنا

بعد أن أغلقت النافذة خلف جاكوبي، بعدها قامت - ابتسم جوتمان لذكرى لطيفة راودته.. لقد استطعنا إقناعها.. نعم إقناعها.. بأن تعترف لنا أنها قد كلفت جاكوبي بتسليم الصقر إليك. لم نظن أنه سينجح في الوصول إليك بهذه السرعة بينما هو متخن بجراحه، حتى لو استطاع الإفلات من الشرطة في الطريق بمظهره هذا، ولكن هذه كانت فرصتنا الوحيدة، ولهذا تمكنا مرة أخرى من إقناع الأنسة أوشونسي بتقديم المساعدة، أقنعناها - حسنًا - بأن تتصل بمكتبك في محاولة لصرف انتباهك وإخراجك من هناك قبل أن يصل إليك جاكوبي، وأرسلنا ويلمر في أثره. كنا قد أمضينا وقتًا طويلًا للأسف في إقناع الأنسة أوشونسي.

تأوه الفتى الراقد على الأريكة وتقلب على جنبه. فتح عينيه وأغلقهما لعدة مرات، قامت الفتاة وعادت تقف في الزاوية ما بين الطاولة والحائط مرة أخرى. "بالتعاون معنا"، أكمل جوتمان حديثه، "في تلك الفترة، حصلت أنت على الصقر من جاكوبي."

وضع الفتى قدمًا على الأرض، ورفع نفسه عن الأريكة باستخدام مرفقه، وفتح عينيه على اتساعها، ثم وضع قدمه الأخرى على الأرض، ونظر حوله. وقعت

عيناه على سبايد وطلَّ الذهول منهما.

ترك كايرو مقعده واقترب من الفتى، وضع يده على كتفه وبدأ يحاول الحديث معه، انتفض الفتى واقفًا، وأزاح يدَ كايرو. نظر حوله مجددًا ثم عادت عيناه لتقعاً على سبايد وحده، كان وجهه محتقنًا وقد توترت عضلاته حتى بدا كما لو أنه قد انكمش وتضاءل.

قال سبايد بغير اكتراثٍ بينما جلس على طرف الطاولة يهز ساقيه في الهواء: "اسمعي الآن أيها الفتى، إن أتيت إلى هنا وحاولت التعدي عليّ مجددًا فسأركلك في وجهك. اجلس الآن واخرس حفاظًا على حياتك." نظر الفتى إلى جوتمان.

ابتسم إليه جوتمان وقال: "حسنًا يا ويلمر، أنا آسف حقًا للتضحية بك، وأريدك أن تعرف أنني لم أكن لأحبك أكثر لو كنت ابني من لحمي ودمي، ولكن - يا إلهي - إن خسرت ابناً يمكنك تعويضه بآخر، بينما لا يمكنني تعويض الصقر المالطي بآخر."

ضحك سبايد. تحرك كايرو وهمس في أذن الفتى، جلس الفتى مبقياً نظرتة الباردة على وجه جوتمان. جلس الشرقي بجواره. تنهد جوتمان بغير أن يفسد ابتسامته اللطيفة.

"صغر السن يمنع الإنسان حقًا من استيعاب بعض

الأمور.

وضع كايرو ذراعه مجددًا حول كتف الفتى وظلَّ يهمس له. ابتسم سبايد نحو جوتمان وقال موجَّهًا حديثه إلى بريجيد أوشونسي: "أعتقد أنه سيكون أمرًا رائعًا إن استطعت أن تجدي لنا شيئًا في المطبخ لتأكله، مع الكثير والكثير من القهوة، هل يمكنك أن تفعلي ذلك؟ لا أريد أن أترك ضيوفي وحدهم."

"بالطبع"، قالتها وتوجهت إلى المطبخ.

توقف جوتمان عن هز كرسيه، وقال "لحظة يا عزيزتي"، وأشار بيده السمين، "ألا تفضلين ترك المظروف هنا؟ لا تريدان أن تطوله أي بقع أو دهون من المطبخ، أليس كذلك؟"

نظرت الفتاة إلى سبايد تستطلع رأيه، فقال بنبرة محايدة: "لا يزال المظروف ملكه حتى الآن."

وضعت الفتاة يدها داخل معطفها، وأعطته لسبايد، الذي قذفه إلى حجر جوتمان قائلاً: "يمكنك أن تجلس فوقه إن كنت تخشى فقدانه."

"لقد أسأت فهمي"، قال جوتمان، "ليست تلك هي القضية، غير أننا علينا أن نتعامل مع الأمور بحيادية وشفافية"، أخرج جوتمان الأوراق النقدية من المظروف وقام بعدها ثم ضحك ضحكة عالية اهتزت

لها معدته السمينة. "على سبيل المثال، لا يوجد هنا سوى تسعة أوراق فقط"، قام بفرد الأوراق التسع بين ركبتيه وفخذه.

"لقد سلمتك عشر ورقات". كانت ابتسامته مرحة، سعيدة وتحمل وقع انتصاره بحكمته.

نظر سبايد إلى بريجيد اوشونسي وسأل: "حسنًا؟" هزت رأسها يمنا وشمالًا في أسي، لم تقل شيئًا في حين تحركت شفتاها كما لو كانت تؤدّ قول شيء ما. كان وجهها خائفًا.

مدّ سبايد يده إلى جوتمان الذي سلمه الأوراق النقدية، عدها سبايد - تسعة آلاف دولار - ثم أعادها إلى جوتمان.

وقف بايد وكان وجهه جامدًا، التقط سبايد المسدسات الثلاثة، وأشار للفتاة برأسه دون أن ينظر إليها: "أريد أن أتأكد من هذا الأمر، سنذهب إلى دورة المياه. سأترك الباب مفتوحًا وسأقف أنا أمامه. لا مخرج من هناك إلا عبر الباب، إلا إذا رغبتم في السقوط من علو ثلاثة أدوار، فلا تحاولوا."

اعترض جوتمان: "هذا ليس ضروريًا يا سيدي، لا داعي لممارسة تهديدك، تعلم تمام العلم أننا لا نرغب أصلًا في المغادرة."

“سأطمئن فقط عندما أصل لحقيقة هذا الأمر”، كان سبايد صبورًا وإنما حاسمًا. “هذه الخدعة تفسد علينا كل شيء، عليّ أن أجد تفسيرًا، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا”، لمس مرفق الفتاة قائلاً: “هيا بنا”.

تمكنت بريجيد أوشونسي من الحديث عندما انفردت بسبايد، بسطت يدها على صدره، ونظرت في عينيه: “لم آخذ الورقة يا سام”.

“لم أعتقد أنه أنت من فعل هذا، ولكن عليّ أن أتأكد. اخلعي ملابسك الآن”.

“ألا يمكنك الوثوق بحديثي؟”

“لا. اخلعي ملابسك”.

“لن أفعل”.

“حسنًا. سنخرج إذاً للغرفة حيث يجلس الجميع، وسأخلعهم أنا عنك”.

ابتعدت بريجيد وقد وضعت يدها على فمها. كانت عيناها مرتعبتين. “أستفعل ذلك حقًا؟”

“سأفعل. عليّ أن أعرف أين ذهبت الورقة، ولن أميل إلى تصديق ادعاء أي شخص اللطف والتواضع”.

“ليس الأمر كذلك”، اقتربت منه وعادت تبسط يدها على صدره: “أنا لا أخجل من خلع ملابسني أمامك - ولكنك - تعرف - ليس بهذه الطريقة، ألا تعلم أنك إن

أجبرتني على هذا فستقتل شيئًا بيننا؟

لم يرفع سبايد نبرة صوته حين أجابها: "أنا لا أعرف أيّ شيء. عليّ فقط أن أعرف ما الذي حدث لهذه الورقة، اخلعي ملابسك."

نظرت إليه عينه الرمادية المصفرة الثابتة، وصار وجهها وردّيًا ثم شاحبًا. اعتدلت بعدها وبدأت في خلع ملابسها.

جلس سبايد على طرف المغطس يراقبها ويراقب الباب المفتوح، لم يصدر أيّ صوتٍ عن غرفة المعيشة بالخارج. خلعت الفتاة ملابسها بهدوء، بلا تعثر، وتركنتها تسقط كيفما اتفق عند قدميها. عندما أصبحت عارية تمامًا، ابتعدت عن الكومة تحت قدميها، ووقفت تنظر إليه. كان وجهها يحمل فخراً أصيلاً بلا أي أثر لنظرة تحدّ أو إحراج.

وضع سبايد المسدسات على غطاء المرحاض، وانحنى جالسًا على ركبة واحدة، وبدأ يفحص ملابسها قطعة في إثر قطعة، ولكنه لم يجد أي أثر للورقة الضائعة. عندما انتهى وقف وسلمها ملابسها وقال: "الآن أعرف كل شيء."

التقطت بريجيد الملابس من يده الممدودة، ولم تقل أي شيء، أغلق باب دورة المياه خلفه بعد أن التقط

المسدسات، وعاد لغرفة المعيشة.

ابتسم جوتمان بحبور من كرسيه الهزاز وسأله: "هل وجدتتها؟". نظر كايرو إلى سبايد من مجلسه بجوار الفتى، بعينين واسعتين حائرتين. لم يرفع الفتى رأسه. كان يميل نحو الأرض، واضعًا رأسه بين كفيه، ومرفقاه يستندان على ركبتيه، وعيناه شاخصتان نحو الأرض. "لا لم أجدها. لقد أخفيتها في كفك". قال سبايد لجوتمان.

"أخفيتها في كفي؟" ضحك الرجل السمين.

"نعم"، هل تريد الاعتراف بأنك فعلت أم سنضطر إلى تفتيشك؟" قالها سبايد بينما يتلاعب بالمسدسات في يده.

"تفتيشي؟"

"ستعترف أنك فعلت، أو سأضطر إلى تفتيشك، ليس هناك طريقة ثالثة لاكتشاف الأمر."

رفع جوتمان نظره إلى وجه سبايد الجامد وانفجر في الضحك. "يا إلهي يا سيدي، إنني أعتقد حقًا أنك قادر على إثبات لك، حقًا أعتقد ذلك، يا لك من شخصية مذهلة، إن كنت لا تمنع أن أخبرك بهذا مجددًا."

"لقد أخفيتها في كفك"، قال سبايد

"نعم. فعلت هذا"، أخرج الرجل السمين ورقة ملفوفة

من جيب صديريته وفردها على فخذة السمين ثم أخرج المظروف ذا الورقات التسع وأعادها إليه. "أحب أن أقوم بمثل هذه المزحات من وقت لآخر، كما أنني كنت متشوقاً لمعرفة كيف ستتصرف في هذه الحالة، وعليّ أن أقول إنك قد نجحت في الاختبار بتفوق، لم أعتقد أنك ستتوصل إلى الحقيقة بمثل هذه سرعة وبساطة."

- "هذه مزحات سخيفة كنت لأتوقعها من شخص في مثل عمر الفتى الأحمق."
ضحك جوتمان.

خرجت سبايد أوشونسي من دورة المياه، ترتدي جميع ملابسها إلا من قبعتها ومعطفها، ثم دارت متوجهة إلى المطبخ وأوقدت النور.

اقترب كايرو من الفتى الجالس على الأريكة أكثر وبدأ يهمس في أذنه مجدداً. زفر الفتى بانزعاج.

نظر سبايد إلى المسدسات في يده ثم إلى جوتمان، وخرج إلى الردهة، وفتح الخزانة ووضع المسدسات فوق أحد الصناديق بداخلها، أغلقها بالمفتاح ثم وضع المفتاح في جيب بنطاله، وسار حتى المطبخ.

كانت بريجيد أوشونسي تملأ وعاء للقهوة من الألمونيوم.

“هل وجدت كل ما تحتاجينه؟”

“نعم”، ردت بنبرة باردة دون أن ترفع رأسها. وضعت الفتاة الوعاء وسارت حتى الباب، كانت وجهها محمرًا وعيناها واسعتين مدمعتين. “ما كان يجب عليك أن تفعل بي هذا يا سام”، قالت برقة.

“كان عليّ أن أكتشف الحقيقة يا ملاكي”، وانحنى وقبّلها بخفة، ثم عاد إلى غرفة المعيشة.

ابتسم جوتمان إلى سبايد وقدم له المظروف الأبيض قائلاً: “سوف يكون هذا من نصيبك قريبًا، يمكنك أن تأخذه الآن إذا أردت.”

لم يأخذ سبايد المظروف منه، وجلس في مقعده قائلاً: “ما زال لدينا بعض الوقت، لم نتحدث مع بعض في أمر عرضكم النهائي لثمن الصقر، يجب أن يكون نصيبي أكثر من عشرة آلاف دولارًا.”

“عشرة آلاف دولارًا هو مبلغ كبير جدًا.” قال جوتمان “أعلم أن هذه كلماتي تحديداً. لكن هناك ما هو أكثر ويمكننا الاتفاق عليه.”

“نعم يا سيدي أعلم أنه هناك ما هو أكثر من هذا، وأتفق معك، لكن هذا يظل مبلغًا كبيرًا بالنظر لكونك قد كسبته في يومين ودون مجهود يُذكر في الحقيقة.”

“تظن أن الأمر اللعين هذا كان سهلاً عليّ؟ حسناً!

ربما، لكن هذا شأني لأقرره في كل الأحوال.

”بالطبع هو شأنك”، وافق الرجل السمين، ثم أشار بعينه إلى المطبخ وأخفض صوته قائلاً: ”هل ستقتسم المبلغ معها؟“

”هذا أيضًا شأني أنا“. كَرَّر سبايد

”بالطبع هو كذلك“، وافقه الرجل السمين مرة أخرى،
 ”ولكن“ - تردّد- ”أريد أن أقدم لك نصيحة.“
 ”تفضل..“

”إن لم تفعل - أعتقد أنك سوف تفعل في النهاية وتشاركها المال، ولكن.. إن لم تفعل أو تعطها بعضه بقدر ما توقعت، فنصيحتي إليك هي أن تحذر.“
 جملت عيني سبايد نظرةً ساخرة، ”فتاة سيئة هي؟“
 ”فتاة سيئة.“

ابتسم سبايد وبدأ يلف سيجارة.

كان كايرو ما يزال يهمس في أذن الفتى وقد وضع ذراعه حوله، فجأة انتفض الفتى وأزاح ذراع كايرو، والتف لمواجهته. كان وجه الفتى يحمل غضبًا واشمئزازًا.

ضم الفتى يده الصغيرة في قبضة وجهها نحو وجه كايرو. صرخ كايرو بصوت نسائي حاد، وارتد حتى آخر

الأريكة.

أخرج كايرو منديلاً حريزياً ووضعته على فمه، ثم رفعه إلى عينه ووجدته مضرج بالدماء، فأعاده على فمه مرة أخرى ونظر إلى الفتى محاولاً الاقتراب منه، لكن الفتى صرخ: "ابتعد عني"، ولوح بقبضتيه بجانب وجهه مرة أخرى. انتشرت رائحة عطر "شبير" في الأجواء مرة أخرى صادرة عن منديل كايرو.

دخلت بريجيد أوشونسي إلى الغرفة تستطلع الأمر في إثر صرخة كايرو. أشار سبايد بإبهامه للأريكة مبتسماً: "أفاعيل الحب"، وسأل: "كيف يجري تجهيز الطعام؟"

"آتٍ حالاً"، قالتها وعادت إلى المطبخ.

أشعل سبايد سيجارته وتوجه بحديثه إلى جوتمان: "دَعْنَا نتحدث عن المال الآن."

"بكل ترحاب يا سيدي"، ردَّ الرجل السمين، "ولكن عليّ أن أتحدث إليك بصراحة، الآلاف العشرة هي كل ما أستطيع أن أمنحك."

نفث سبايد دخان سيجارته، "من حقي عشرين ألفاً على الأقل."

"أتمنى لو كنت أملك مثل هذا المبلغ، لأعطيتك إيَّاه دون تأخير، ولكن هذا هو كل المبلغ الذي أستطيع

تدبيره الآن، أقسم على ذلك بشرفي، كما أنك لا بُدَّ تفهم يا سيدي، أن هذه مجرد دفعة أولى، وفيما بعد..

”نعم، أعرف، ستمنحني ملايين، ولكن دعنا نتفق على الدفعة الأولى أولاً، ما رأيك في خمسة عشر ألفاً؟“

ابتسم سبايد ثم عبس وهزَّ رأسه: ”سيد سبايد، لقد أخبرتك بصراحة أن الآلاف العشرة هي كل ما أملك وكل ما يمكنني تقديمه.“

”ولكنك لم تقل: بكل تأكيد.“

ضحك الرجل السمين وقال: ”بكل تأكيد“

قال سبايد عابثًا: ”ليست هذه صفقة جيدة بحال، ولكن إن كان هذا هو أفضل عرض يمكنك تقديمه.. حسناً أعطني المظروف.“

تسلم سبايد المظروف من جوتمان، وعدَّ الأوراق النقدية، وبينما كان يضعه في جيبه، دخلت بريجيد أوشونسي تحمل صينية.

رفض الفتى أن يأكل، واكتفى كايرو بفنجان من القهوة، بينما تناول سبايد والفتاة وجوتمان البيض المخفوق، اللحم المقدد، والتوست، والمربى، ثم شرب كل منهم كوبين من القهوة، وجلس الجميع في انتظار مرور الليلة الثقيلة.

شرب جوتمان سيجارة، وبدأ في قراءة ”جرائم

أمريكية مُحتفَى بها"، وأخذ يضحك على المحتوى أحيانًا ثم يعلق على بعضه أحيانًا أخرى. عالج كايرو جرح فمه، والتزم مكانه في نهاية الأريكة. كان الفتى ما يزال جالسًا واضعًا وجهه بين يديه، ثم ما لبث أن رقدَ على الأريكة رافعًا ساقيه في وجه كايرو، نظر بعدها إلى النافذة ثم غَطَّ في النوم. غفت بريجيد أوشنسي بينما كانت تستمع إلى ملاحظات الرجل السمين تارة، ثم تعود لإكمال محادثتها الطويلة مع سبايد.

لَفَّ سبايد سيجارة، وبدأ في تدخينها بينما أخذ يسير في أرجاء الغرفة ثابت الخطوة بغير توتر أو عصبية ظاهرة. كان يجلس بين الحين والآخر ليستربح على يد المقعد الذي غفت عليه الفتاة، وأحيانًا على طرف الطاولة، أو على كرسي آخر. كان يقظًا، مبتهجًا، وفي غاية النشاط.

في الخامسة والنصف، دخل سبايد إلى المطبخ لصنع المزيد من القهوة. بعد نصف ساعة، تحرك الفتى، واستيقظ، ثم قام متثائبًا.

نظر جوتمان إلى ساعته وسأل سبايد: "هل يمكنك أن تأتي به الآن؟"

"امنحني ساعة أخرى."

أوما سبايد موافقًا وعاد لقراءة كتابه.

في الساعة مساءً، قام سبايد إلى الهاتف وحادث إيفي برين. "مرحبًا سيدة برين؟ نعم أنا السيد سبايد. هل يمكنني أن أتحدث إلى إيفي من فضلك؟" .. نعم. الأمر ضروري.. أشكرك. بدأ يصفر مقطعين من "إن كوبا" (11). بصوت رقيق. "مرحبًا يا ملاكي. أعتذر لإيقاظك.. نعم. جدًا.. اسمعي ما أريد منك تنفيذه: في صندوق بريدنا في مكتب بريد هولاند، ستجدين خطابًا معنونًا بخطي. ستجدين فيه وصل إيداع طرد.. الطرد الذي استلمناه بالأمس. هلا استلمته وأتيت بالطرد إلي؟ نعم.. أنا في المنزل. هذه هي فتاتي الطيبة.. عظيم.. إلى اللقاء."

رن جرس البناية في تمام الثامنة إلا عشر دقائق. ذهب سبايد إلى حيث صندوق الهاتف وضغط زرًا انفتح له باب البناية. ترك جوتمان كتابه وقام إلى سبايد: "أنت لا تمنع أن آتي معك إلى الباب، أليس كذلك؟"

"حسنًا" قال سبايد

تبعه جوتمان حتى باب الردهة، فتحه سبايد، فقابلا إيفي برين تخرج من المصعد، حاملة اللقافة بغلافها البني. كان وجهها الصبياني الغريب قد أضاء لرؤية

سبايد، وقد سارت تجاهه تكاد تعدو. بعد نظرة خاطفة إلى جوتمان، تجاهلته إيفي تمامًا وابتسمت لسبايد وسلّمته اللفة.

أخذها سبايد وقال: "أشكرك جدًا يا سيدتي، وأنا آسف جدًا لإفساد صباحك، لكن الأمر كان يتطلب...".
 "ليس الصباح الأول الذي تفسده عليّ على كل حال"، قالتها وضحكت، ثم استطردت بعد أن لاح لها أنه لن يدعوها للدخول: "هل هناك شيء آخر يمكنني فعله؟"

هزّ سبايد رأسه قائلاً: "لا، أشكرك".

أغلق سبايد الباب وحمل اللفة إلى غرفة المعيشة. كان وجه جوتمان احمرّ وقد ارتجفت وجنتاه.

تقدّم كايرو وبريجيد إلى الطاولة حيث وضع سبايد اللقافة. كانوا متحمسين للغاية. قام الفتى من رقدته شاحبًا ومتوترًا، لكنه ظلّ جالسًا على الأريكة، يتطلع من تحت رموشه الطويلة إلى الجميع.

ابتعد سبايد عن الطاولة قائلاً: "تفضلوا".

تعاملت أصابع جوتمان السمينة بسرعة مع الورق، والحبل ونشابات الخشب، وأخرج يده بعدها تحمل الصقر الأسود.

"نعم." قال، "الآن أخيرًا بعد سبعة عشر عامًا"، كانت

عيناه مدمعتين.

لعق كايرو شفثيه الحمراوين، وفرك يده في حماس، بينما عضت الفتاة شفثها السفلى في انبهار. كان الجميع يتنفسون بصعوبة. كان الجو باردًا وخانقًا وقد طغت رائحة التبغ المحترق على المكان.

وضع جوتمان الطائر على الطاولة، ثم عبث بجيوبه. "إنه هو، ولكننا سنتأكد حالاً". كان العرق يلمع على وجنتيه. ارتجفت أصابعه بينما أخرج سكينًا للجيب ذا لونٍ ذهبيٍّ من جيبه وفتحها.

وقف كايرو والفتاة بجواره، كل على جانب، بينما ابتعدَ سبايد عنهم قليلًا إلى مكانٍ يمكنه منه مراقبتهم ومتابعة الفتى الجالس على الأريكة.

قلب جوتمان الطائر، وبدأ يخدش الطبقة السطحية من قاعدته باستخدام سكينه. تقشرت طبقة المينا السوداء وسقطت عن الطائر في شذرات متموجة، وظهر تحتها طبقة معدنية ذات لون أسود. كشطت سكين جوتمان الطبقة المعدنية السوداء، التي انزاحت مخلّفة مساحة رقيقة عارية من الطلاء لها لون الرصاص اللامع.

تنفس جوتمان عميقًا من بين أسنانه بزفرة بدت كهسيس. احتقن وجهه، قلب الطائر وكرر نفس

الخطوات كاشطًا طرفًا منه، كاشفًا طبقة الرصاص مرة أخرى تحت سكينه. أسقط السكين والطائر على الطاولة والتف مواجهًا سبايد: "نسخة مزيفة" قال بصوت أجش.

اغتم سبايد، وأوماً ببطء، غير أن يديه قد تحركتا سريعًا قابضتين على معصم بريجيد أوشنسي. جذبها إليه، وأمسك بذقنها بين أصابعه رافعًا وجهها إليه بخشونة. "حسنًا" قال مزمجراً "لقد انطلت علينا مزحتك الصغيرة، أخبرينا الآن عن الحقيقة."

صرخت: "لا يا سام. لا. هذا هو التمثال الذي أخذته من كيميدوف. أقسم.."

حشر كايرو نفسه بين سبايد وجوتمان، وبدأ يتحدث بفيض من كلمات متلعثمة: "هذا هو التفسير الوحيد، نعم هذا هو! هذا الروسي! كان عليّ أن أعرف! لقد انخدعنا فيه وظنناه مغفلاً! وكم حولنا إلى مغفلين بسرقتنا له" صرخ كايرو في جوتمان. "أنت ومحاولتك الغبية لشراؤه منه! أيها السمين الغبي! لقد جعلته يؤمن بقيمته فصنع نسخة مزيفة منه خصيصًا من أجلنا! لا عجب أننا لم نبذل أيّ جهدٍ يُذكر في سرقة، ولا عجب أنه قد تخلص مني بإرسالي لآخر العالم بحثًا عنه! أيها المعتوه! أيها الأحمق المنفوخ!" وضع كايرو بعدها يده

على وجهه وظل يرغي ويزبد.

تدلى فك جوتمان في حيرة، ثم رمش بعين مندهشة، ثم هز رأسه - وتوقفت ترهلاته عن الاهتزاز توترًا - وعاد لسيرته الطبيعية، رجل سمين بشوش.

"توقف عن هذا يا سيدي"، قال بنبرة طبيعية، "لا داعي لعصبيتك. الخطأ وارث، ولا بُدَّ أنك تعلم وقع الأمر عليّ وصدمتي التي لا تختلف عن وقعه عليكم. بالضبط. نعم، هذه فعلة الروسي بالتأكيد، لا شك في هذا مطلقًا. فماذا تقترح الآن يا سيدي؟ أن نقف هنا نبكي بدموع الندم أو نسبُ بعضنا البعض؟ أو ربما - وابتسم ابتسامة ملائكية - علينا الذهاب لأسطنبول؟

رفع كايرو يده عن وجهه واتسعت عيناه. وقال متلعثمًا: "أنت مستعد؟" عقدت الدهشة واستيعابه لموقف جوتمان لسانه، فلم ينطق.

فرك جوتمان يديه، وارتجفت عيناه. وصار صوته خريزًا يأتي من أعماق نقطة في حلقه: "لقد ظلمت أتمنى امتلاك هذا الغرض الصغير لسبعة عشر عامًا متواصلة، فإذا اضطررت لتمضية عامًا آخر في عملية البحث - حسنًا يا سيدي - لن تكون هذه سوى عقبة صغيرة تتطلب مدَّة فترة الصبر قليلًا.

ضحك الشرقي وقال: "سأذهب معك."

أفلت سبايد فجأة معصم الفتاة، ونظر إلى الغرفة من حوله. لم يكن الفتى هناك. سار سبايد حتى الردهة فوجد الباب مفتوحًا، فاغتمَّ وجهه، وأغلق الباب وعاد إلى غرفة المعيشة. مال سبايد مستندًا إلى حلق الباب ونظر إلى جوتمان وكايرو، مطيلاً إليهم النظر، ومقلِّدًا صوت الرجل السمين الصادر عن حلقه: "يجب عليّ أن أعترف يا سيدي أنكم حفنة عظيمة من اللصوص"، ضحك جوتمان وقال: "ربما هذا أمر لا يصح الفخر بشأنه، ولكن هذه حقيقةٌ يا سيدي، ولكن ما دمنا أحياء ما نزال، فلا يصح أن نتحب حول نهاية العالم بعد لمجرد عقبة صغيرة في الطريق"، مدَّ الرجل السمين يده نحو سبايد وفتح كفه السمين الوردية، "والآن عليّ أن أطلب منك منحي المظروف الذي استلمته يا سيدي". لم يتحرك سبايد، كان وجهه متخشبًا: "لقد وفيت بما وعدت، لقد منحتك ما في حوزتي، وإنه لحظك التعيس أنه لم يكن بالتحديد ما تمنيته."

"توقف عن هذا يا سيدي" قال جوتمان بنبرة مقنعة، "لقد فشلنا جميعًا في إتمام الصفقة، ولا داعي لأن يتحمل أحدها خسائرها وحده، هذا بالإضافة.. أخرج يده المختبئة خلف ظهره، والتي كانت تحمل مسدسًا صغيرًا عليه نقوش من الفضة والذهب، "إلى أنه

باختصار، إنني أطلب منك تفضلاً يا سيدي أن تعيد إليّ العشرة آلاف دولار".

لم يتغير وجه سبايد، غير أنه قد هز كتفيه في استهانة وأخرج المظروف من جيبه، ثم مَدَّ يده إلى جوتمان، تردد قليلاً، ثم فتح المظروف وأخرج ورقة من فئة الألف دولار، أودعها جيب بنطاله، أغلق طرف المظروف وسلّمه إلى جوتمان. "سيكفي هذا لتغطية مصاريفي ومجهودي".

بعد فترة صمتٍ، هزَّ جوتمان كتفيه في استهانة مماثلة وقبل منه المظروف على حاله. "والآن يا سيدي، عليّ أن أودعك، إلا إذا - ضيق الرجل السمين عينيه - رغبت في أن ترافقنا في رحلتنا إلى أسطنبول، وإنني لأود صراحة أن ترافقنا، إنني معجب جداً بك، فأنت رجل واسع الحيلة، حُرُّ المنطق، ولأننا نعرف أنك أيضاً تملك حصافة في الحكم على الأشياء، فإننا نثق بك تمام الثقة في أن تحافظ على سرنا الصغير. نعلم أننا يمكننا الاعتماد عليك لتقدر حقيقة أنه في حالة مواجهتنا لأي مصاعب أو عواقب قانونية تختص بأحداث الأيام القليلة الماضية، فإن بعضها لا بُدَّ سيصيبك أنت والآنسة أوشونسي بذات القدر، وأعلم تمام وعيك بها الأمر".

“أتفهم ذلك تمامًا” قال سبايد

“أعلم أنك تفعل، ولتكن أيضًا على علمٍ بأننا لا نملك بدائل الآن، فعليك أن تواجه الشرطة دون كبش فداء”.

“يمكنني تدبير الأمر”. قال سبايد

“متأكد من أنك ستفعل يا سيدي. حسنًا، أطف الوداعات أقصرها، وداعًا سيد سبايد”. ثم انحنى بلطف “ووداعًا يا آنسة أوشونسي”، أترك لك هذا الطائر النادر على الطاولة، اقبله مني كتذكار.

(11). لحن لمعزوفة على البيانو للموسيقي إداورد

سانشيز، صدرت في العام 1923

الفصل العشرون إذا أعدموك

وقف سبايد لدقائق خمس بعد أن أغلق الباب الخارجي خلف جوتمان وكايرو، ذاهلاً، بلا حركة، محدقاً في مقبض الباب. كانت عيناه غائمتين تحت جبهته العابسة كثيرة التجعيدات. كانت أنفه حمرة مضطربة حوافها، وقد عبس بشفتيه، ثم زمهما في هيئة مخروطية كناية عن تصميم، وسار نحو الهاتف. تجنب سبايد النظر إلى بريجيد أوشونسي، التي وقفت بدوار الطاولة تنظر إليه في قلق. رفع سبايد الهاتف ووضعته على الرف، ثم انحنى للنظر في دليل الهاتف المعلق في أحد جوانب الرف. قلب سبايد الصفحات سريعاً حتى اهتدى للصفحة التي يريد، سار بإصبعه على عمود احتوى عدة أرقام وبيانات، ثم اعتدل. رفع سماعة الهاتف وطلب رقماً وقال:

”مرحبًا. هل الرقيب بولهاوس موجود؟ هل يمكنك استدعاؤه من أجلي فضلًا؟ أنا سام سبايد.“ ظل سبايد يحدق في الفراغ قليلاً بينما ينتظر إجابة - “أهلاً توم، لدي بعض المعلومات من أجلك. نعم الكثير. ثورزبي وجاكوبي قد قُتلا على يد فتى يدعى ويلمر كووك.“ ثم وصف سبايد الفتى بدقة.. يعمل الفتى لصالح شخص

يدعى كاسبر جوتمان..” ثم وصف سبايد جوتمان أيضًا
 “وهذا الرجل الذي قابلته عندي في المنزل، جويل
 كايرو هو شريكهم أيضًا.. نعم هذه هي الحقيقة. يقيم
 جوتمان بفندق ألكساندرينا، جناح C 12، أو كان يقيم
 هناك مؤخرًا. كانا هنا في منزلي، ولقد غادرا لتوهما.
 عليك أن تتحرك في إثرهما سريعًا لأنهما ينويان مغادرة
 المدينة، غير أنهما مطمئنان، ولا يتوقعان أي هجمة من
 الشرطة. هناك شريكة أخرى، فتاة هي، وهي ابنة
 جوتمان، اسمها ريا جوتمان، فلتحذر على نفسك حين
 تواجه الفتى، يبدو أنه يجيد التعامل بالمسدسات. نعم،
 هذا صحيح يا توم، لدي هنا أيضًا بعض الأشياء التي
 عليك استلامها. أعتقد أنني أملك المسدسات التي
 استخدمت في الجريمة. نعم، هذا صحيح. تحرك حاليًا
 وأتمنى لك كل التوفيق!”

أعاد سبايد السماع، ثم وضع الهاتف على الرف
 مجددًا. بلل شفثيه ونظر إلى يديه، كانت يداه غارقتين
 في العرق. ملأ سبايد صدره بالهواء. كانت عيناه تلمعان
 بين جفونه الجامدة التي لا تهتز. التف سبايد وسار
 بخطوات واسعة في غرفة المعيشة.

شهقت بريجيد أوشونسي فيما يشبه ضحكة قصيرة
 بعد أن تفاجأت بحركته الخاطفة.

التف سباید لمواجهتها، واقترب منها، طويلاً كان، بهيئته العريضة، وعضلاته الضخمة، يبتسم ببرود، وبعينين وفم جامدين، ثم قال: "سوف تأتي سيرتنا حتماً حينما يقبضون عليهم. نحن في موقف حرج تماماً الآن، ولدينا دقائق قليلة قبل أن نتفق على ما سنخبر به الشرطة، أطلعيني الآن على الأمر كله، هل أرسلك جوتمان وكايرو إلى أسطنبول؟"

بدأت بريجيد في التحدث، بتردد بينما تعض على شفيتها توترًا.

وضع سباید يده على كتفها. "اللعنة عليك، تحدثي!" قال لها: "سأدعمك، لن تتحملي الذنب وحدك. تحدثي. هل أرسلك إلى أسطنبول؟"

"ن... نعم، لقد أرسلني إلى هناك، حيث قابلت جو... ثم طلبت منه مساعدتي، ثم قمنا..."

"انتظري، هل سألتني كايرو مساعدتك في الحصول على الطائر من كميدوف؟"

"نعم"

"لصالح جوتمان؟"

ترددت مجددًا، ثم ما لبثت أن أكملت تحت تهديد من عيونه الغاضبتين، "لا. لقد ظننا أنه يمكننا أن نحصل عليه لصالحنا."

”حسنًا. ثم؟“

”بعدها خشيت خيانة كايرو لي، لذلك - لذلك طلبت من فلويد ثورزبي مساعدتي.“

”وقد ساعدك، صحيح؟“

”نعم، حصلنا عليه وسافرنا إلى هونج كونج.“

”مع كايرو؟ أم هجرتموه قبل ذلك؟“

”نعم هجرناه في أسطنبول، في السجن.. في قضية تخص شيكًا مصرفيًا.“

”حيلة دبرتموها للإيقاع به وحبسه في المدينة؟“

نظرت الفتاة إلى سبايد بعينين خجلتين وهمست:
”نعم.“

”صحيح. الآن وصلتما أنت وثورزبي إلى هونج كونج بصحبة الطائر.“

”نعم، وحينها - لم أكن أعرفه جيدًا - لم أعرف إن كان يجب عليّ الوثوق به. ظننت أنه من الأفضل.. على كل حال، قابلت القبطان جاكوبي، وكنت قد علمت بنيتها في التوجه إلى هنا؛ لذلك طلبت منه أن يوصل لي طردًا.. وكان الطرد يحوي الطائر. لم أكن واثقة في ثورزبي، أو في احتمالية أن يكون جويل أو أي رجل من طرف جوتمان قد تبعنا في السفينة التي جئنا على متنها، وبدأت خطتي أكثر الاختيارات أمانًا.“

“حسنًا، ثم وصلتُما أنتِ وثورزبي إلى هنا عبر أسرع سفينة استطعتُما إيجادها، وبعد؟”

“وبعدها خشيتُ للغاية من رد فعل جوتمان. كنتُ أعلم أن لديه رجالًا يعملون لصالحه، وعلاقاتٌ.. في كل مكان، وأنه سيعرف إن آجلًا أو عاجلًا عمَّا فعلنا، وعن وصولنا إلى سان فرانسيسكو من هونج كونج. كان هو في نيويورك، ولو كان قد وصل إليه الخبر عبر التلغراف لوصل إلى هنا في نفس وقت وصولنا، أو حتى قبله، وقد فعل، لم أعلم ذلك في حينه، ولكنني كنتُ خائفةً من هذه الاحتمالية للغاية، وكان عليَّ البقاء هنا حتى وصول سفينة الكابتن جاكوبي، وكنتُ أخشى أن يستطيع جوتمان إيجادني، أو الوصول إلى فلوريد ثم يحاول إغراءه بالمال ليتخلى عني. لهذا قمتُ بزيارة مكتبك لأطلب منك مراقبته.”

“هذه كذبة. تعلمين أن ثورزبي كان مفتونًا بك. كان ثورزبي مولعًا بالنساء. أظهرتُ التحقيقات أن كل الجرائم التي سجلتُ ضده كان هناك دائمًا امرأة متورطة في الأمر، ربما فاتتك معرفة ماضيه، لكنك كنتِ تعلمين جيدًا أنك تملكين خالص ولائه.”

تورّد وجهه بريجيد ونظرتُ إلى سبايد على استحياء. “أردتُ أن تزبّحيه عن طريقك قبل أن يصل

جاكوبي، ماذا كانت خطتك؟”

“كنت أعلم أنه قد غادر الولايات المتحدة مع مقامر عتيدي بعد وقوع الأخير في بعض المشاكل، لم أدري تحديدًا ما هي، ولكنني ظننت أنه ربما إن لاحظ أن أحد المحققين يتتبع خط سيره، فلربما يعتقد أن للمحقق علاقة بالأعداء القدامى، مما قد يدفعه للخوف ومحاولة الرحيل عن المدينة، لم أكن أدري أنه...”

“أخبرته أنه مراقب”، قال سبايد بنبرة واثقة. “لم يكن مايلز ذكيًا للغاية، لكنه لم يكن أحمق ليتم اكتشافه منذ الليلة الأولى.”

“نعم أخبرته. عندما خرجنا سويًا تلك الليلة، تظاهرت أنني قد اكتشفت ملاحقة السيد آرتشر لنا، وأشارت إليه من طرف خفي ليراه فلويد” انتحبت الفتاة. “ولكن صدقني رجاء يا سام، لم أكن لأقدم على تلك الفعلة إن ظننت أن فلويد سيقتله، ظننت فقط أنه الخوف من مايلز سيدفعه لمغادرة المدينة، ولم أفكر لدقيقة في احتمالية أنه قد يقتله.”

ابتسم سبايد بفمه بينما ظلت عيناه معتمتين.

“إن لم تراودك تلك الاحتمالية، فقد كنتِ على حق يا ملاكي.”

رفعت الفتاة وجهها إليه في مزيد من دهشة.

”لم يطلق ثورزبي النار على مايلز“ قال سبايد.

امتزج الشك بالدهشة التي احتلت وجه الفتاة.

”ربما لم يكن مايلز ذكيًا بالقدر الكافي، ولكن، يا إلهي، كانت لديه خبرة طويلة من العمل كمحقق ليتم توقيفه من قبل رجل يراقبه في حارة، بينما مسدسه لا يزال في جرابه ومعطفه مزررًا؟ غير ممكن. كان غيبًا ربما كما يكون للمرء أن يكون غيبًا أحيانًا، ولكن بهذا القدر من الغباء؟ غير ممكن. يمكن مراقبة طريق الخروج من الحارة الضيقة من ناحية بوش ستريت من فوق النفق، ولقد أخبرتنا أن ثورزبي ممثل سيء، لذلك لا شيء كان يمكنه فعله لإقناع مايلز بتتبعه حتى هذا المكان الضيق، كان مايلز أحمق، لكن ليس لهذه الدرجة.“

أجرى لسانه على شفثيه، وابتسم بتقدير للفتاة وقال: ”لكنه كان لا بُدَّ سيوافق على الذهاب معك إلى هناك طواعية يا ملاكي، إن تأكد أن المكان خالٍ هناك. كنت عميلة لديه، لذلك لم يشك لحظة في أي مما ستخبريه به، وإن طلبت إليه الذهاب معك إلى هذا المكان، كان ليذهب بالطبع. هذا هو القدر الطفيف من الغباء الذي حدثتكَ عنه. لا بد أنه بلل لسانه بشفثيه وابتسم بينما وقف يتفحصك من الأعلى للأسفل.. بينما

اقتربت منه في هذه الليلة المعتمة وأحدثت ثقبًا في قلبه بهذا المسدس الذي أخذته من ثورزبي”

ابتعدت بريجيد أوشونسي عنه للوراء، خطوة فأخرى حتى منعنها الطاولة وراءها من المزيد.

“لا.. لا تتحدث معي هكذا يا سام! تعلم أنني لم أفعل! تعلم..”

“توقفي عن هذا!”، نظر إلى ساعته. “الشرطة ستصل في أي لحظة ونحن في خطر. تكلمي”.

وضعت الفتاة يديها على جبهتها. “آه. لماذا تتهمني بمثل تلك الفظائع؟”

“هلا توقفت؟ أمرها في صوتٍ أمر ذي نبرة خفيضة. “ليس هذا الوقت المناسب لممارسة أداء الفتاة البريئة.

اسمعي. كلانا مُعرَّض لمواجهة المشنقة.” أمسكها من معصمها وثبتها على قدميها في مواجهته. “تكلمي”

“أنا.. أنا.. كيف علمت أنه وقف يفحصني ويلعق شفتيه..؟”

ضحك سبايد بشراسة. “لقد كنت أعلم مايلز جيدًا. لا تهتمي. لماذا أطلقت عليه النار؟”

شدت الفتاة معصمها من يد سبايد، وطوقت عنقه بيديها، وأخفضت رأسه حتى طالت شفثاه شفثيها. كان

جسدهما متلاصقًا من الصدر وحتى ركبتيهما. لف

سبايد ذراعيه حولها وضفها إليه. كانت رموشها الداكنة تغطي بالكاد عينيها البنفسجيتين. كان صوتها هامسًا، ينتحب: "لم أقصد إطلاق النار عليه، لم أقصد ذلك. لقد أخبرتك عن نيتي، ولكنني عندما وجدت أن فلويد لم يرتعب لوجوده."

صفعها سبايد على كتفها. "هذه كذبة. لقد طلبت إليّ ومايلز أن يقوم أحدنا بمراقبة فلويد بشكل شخصي، لقد أردت التأكد من أن من سيراقبه هو شخص تعرفينه ويعرفك، بحيث يرضى بمرافقتك إلى المكان عندما تطلبين منه بسهولة. حصلت على المسدس من ثورزيبي ذلك اليوم.. أو ربما ليلاً، وقمت بتأجير الشقة في كورونت بالفعل، وضعت حاجياتك كلها في الشقة، وليس في غرفتك في الفندق، لقد وجدت وصل الإيجار، وكان مؤرخًا بتاريخ يسبق التاريخ الفعلي للتأجير الذي أخبرتني عنه بخمسة أو ستة أيام.

ابتلعت الفتاة ريقها بصعوبة وكان صوتها خفيصًا متواضعًا. "نعم. هذه كانت كذبة يا سام، لقد نويت ذلك بالفعل في حالة إذا.. لا يمكنني إخبارك بهذا بينما أنظر في وجهك يا سام."

أخفضت رأسها حتى تلامست وجنتاهما، وصار فمها قريبًا من أذنه فهمست: "كنت أعلم أنه ليس من السهل

إخافة فلويد، ولكني ظننت أنه ربما إن علم أن أحدهم يراقبه، آه، لا أستطيع قولها يا سام!" تعلقت بيه منتحبة.

"لقد ظننت أنهما سيصطدمان ببعضهما وربما يتعاركان، فإن وقع ثورزبي ضحية اشتباكهما فقد تخلصت منه، أو أن يكون مايلز هو الضحية، وبالتالي يتورط ثورزبي في الأمر أيضًا وتصلين لنفس النتيجة، أليس كذلك؟"

"نعم. تقريبًا."

"وعندما علمت أن ثورزبي لا ينوي التخلص منه، استعرت مسدسه ونفذت الأمر بنفسك."

"نعم.. باختلاف طفيف في التفاصيل على الرغم..."
 "لا اختلاف جوهري في العموم. لقد كانت تلك خطتك من البداية، أن يتم القبض على ثورزبي لقتله مايلز."

"أنا.. ظننت أنهم ربما يحتجزونه فقط بما يكفي حتى تصل سفينة جاكوبي تحمل الطرد و.."

"لم يكن لديك أي فكرة أن جوتمان كان هنا بالفعل يحاول البحث عنك. لم يراودك أي شك في هذا الأمر، وإلا ما كنت لتتخلي عن حارسك الأمين. علمت أن جوتمان قد وصل بمجرد علمك بخبر مقتل ثورزبي،

وحينها قررت البحث عن يحميك بدلاً عنه، لذا لجأت إليّ، أليس كذلك؟”

“نعم، لكن.. آه يا عزيزي! لم يكن هذا هو السبب الوحيد.. كنت لأعود إليك في كل حال.. من النظرة الأولى التي وقعت عيناى عليك فيها علمت أن...”
قال سبايد برقة: “آه يا ملاكي! حسناً، إن أمكنك الحصول على صفقة جيدة، سيمكنك الخروج من سجن سان كوانتين خلال عشرين عامًا، ويمكن بالطبع العودة إليّ بعدها بكل سرور.”

رفعت الفتاة وجنتها عن وجهه، وعادت برأسها للوراء تنظر إليه بلا إدراك لما يقول.

كان وجهه شاحبًا، وقال برقة: “آه يا غاليتي، أتمنى من الله ألا يقرروا شنقك وإتلاف هذا العنق الجميل”، قالها بينما حرك يده متحسسًا عنقها.

ابتعدت الفتاة في لحظة عن أحضانه، والتصقت بالطاولة، متحسسة عنقها بيديها، كانت عينها مرتعبة، وقد جفت شفتاها التي تحركت بلا هدف، وقالت بصوت مخنوق: “لن تفكر في...”، لم تستطع إضافة كلمة أخرى.

كان وجه سبايد شاحبًا مصفرًا الآن، كان وجهه مبتسمًا وكذا تلالاً شبح ابتسامة في عيونه. كان صوته

رقيقًا، ناعمًا: "سوف أسلمك إليهم، قد تغلتين من فرضية الإعدام، لكن الأمر قد ينتهي بك بالسجن لعشرين عامًا، أنت ملاك لطيف، سأنتظرك"، ثم تنحنح قائلاً: "إن كان حكمهم الإعدام، فأعدك أنني سأذكرك دائماً."

أنزلت يديها من فوق عنقها ووقفت منتصبه. كان وجهها رائقًا بغير أثر لتوتر، إلا من لمحة ريبة طفيفة طلّت من عينيها. بادلته رقة الابتسامة، "لا يا سام، لا تقل هذا حتى لو من باب المزاح أرجوك، آه، لقد أخفتني لدقيقة! لقد ظننت أنك.. ما أكثر ما تفعله من أمور رهيبة غير متوقعة"، رفعت وجهها ونظرت عميقًا في عينيها، ارتعشت وجنتاها وارتجف فمها وعاد الخوف يطل من عينيها، "ماذا.. سام؟!"، عادت يداها تتلمسان عنقها مرة أخرى، وتخاذل جسدها الذي وقف شامخًا قبل قليل.

ضحك سبايد. كان وجهه غارقًا في العرق، على الرغم من احتفاظه بابتسامته، فشل أن يحافظ على رقة صوته، قال بصوت متحشرج: "لا تكوني سخيفة. ستحملين وحدك العواقب، على أحدنا أن يفعل على أي حالٍ حينما يبدأ جوتمان والجماعة في الاعتراف، إن قبضوا عليّ أنا، فستكون فرصتي الوحيدة هي

الحكم بالإعدام، أما أنتِ فالفرصة في الاحتفاظ بحياتك أعلى من فرصتي.

”ولكن - يا سام، لا يمكنك أن تفعل هذا بي! ليس بعد ما صرنا لبعضنا. لا يمكنك أن .“
 بالطبع يمكنني!

تنفست وارتجفت. ”أكنت تعبت معي؟ تظهر اهتمامك فقط - بهدف أن توقع بي بهذا الشكل؟ لم تحمل اهتمامًا حقيقيا نحوي؟ ألم - أنت - وما أحببتي حقًا؟“

”أعتقد أنني فعلت“ قال سبايد، ”ولكن ماذا إن فعلت؟“ بينما لم تفارق ابتسامته شفتيه: ”أنا لست ثورزبي، ولا جاكوبي، لا يمكنني أن أضحى بنفسي من أجلك“

”هذا ليس فقط..“، بكت الفتاة، وامتلات عيناها بالدموع. ”هذا ليس عدلاً. هذه دناءة منك. تعلم أن الأمر معك كان مختلفًا. لا يمكنك أن تقول هذا لي.“

”ولم لا يمكنني؟“، قال سبايد، ”لقد شاركنتي الفراش فقط لتمنعيني من طرح الأسئلة، وضللتني لصالح جوتمان باستغاثتك المزيفة. وحضرت معهم بالأمس حتى منزلي ثم انتظرتني بالخارج ودخلت معي بعدها. كنت تستندين على ذراعي بينما كانوا هنا ينتظرونني،

مما كان ليمنعني من استخدام مسدسي إن كنت أملك واحدًا، أو للهجوم عليهم إن أردت. السبب الوحيد الذي جعلهم يغادرون من دونك، هو أن جوتمان يملك عقلاً راجحًا بما يكفي لئلا يثق بك إلا في أداء المهمات التافهة ولأنه ظنّ أنني في سبيلك لن أحاول إيذائه رغبة في حمايتك.

رمشت بربجيد أو شنسي عينيها بقوة محاولة طرد دموعها، ثم خطت تجاهه ووقفت تنظر إليه بثقة وثبات. "لقد اتهمتني بالكذب. بينما أنت الآن تكذب، تكذب إن قلت إنك لا تعرف في أعماق قلبك أنه على الرغم من كل شيء، فأنا أحبك."

انحنى سبايد بتهذيب. كانت عيناها محتقتين بالدماء، لكن ابتسامته صفراء على حالها ملتصقة بوجهه.

"ربما أعلم هذا حقًا، ولكن حتى لو فعلت، لم عليّ أن أثق بك؟ أنت.. الفتاة التي قد أعدت تلك الخطة المحكمة لغريمي العزيز.. ثورزبي؟ الفتاة التي أطلقت النار على مايلز، الرجل الذي لم يؤذك بأي شكل، بدم بارد، كما لو أنك تسحقين ذبابة، بهدف الإيقاع بثورزبي؟ أنت التي مارست خداعك على جوتمان، كايدو، وثورزبي، ثلاثة أشخاص؟ الفتاة التي لم أرَ منها

أي أمانة أو صراحة لأكثر من نصف ساعة منذ أن عرفتھا؟ هل عليّ حقًا أن أثق بك؟ لا، لا يا عزيزتي، لا يمكنني أن أفعل حتى لو أردت، لماذا عليّ أن أثق بك؟

كانت عيناها ثابتتين وصوتها خفيصًا عندما أجابته: "لماذا عليك أن تثق بي؟ إن كنت تعبت معي منذ البداية، إن لم تكن قد أحببتني، فلا جواب لسؤالك، أما إن كنت قد فعلت، فلا داعي للإجابة."

احتقنت الدماء في عيني سبايد واتسعت ابتسامته الثابتة وأوحت برعب قادم.

سعل سبايد وقال: لا تصلح الخطب لمعالجة الأمر الآن" وضع يدها على كتفها وارتجفت يده بينما فعل: "لا أهتم بأمر الحب الآن، لن أضع نفسي في محل تورزبي ولا محل أي شخص في مكانه. لقد قتلت مايلز وستتحملين العواقب، كان يمكنني أن أساعدك بالوقوف بجانبك أما الشرطة، أما الآن فقد أضحي الوقت متأخرًا على هذا، لن أستطيع مساعدتك حتى لو أردت."

وضعت يدها فوق يده التي ارتاحت قبل قليل على كتفها. "لا تساعدني إذًا"، همست، "لكن لا تؤذني. دعني أرحل الآن فقط."

"لا، سأقع في المشاكل إن لم أسلمك للشرطة فور

وصولهم. أنتِ الشيء الوحيد الذي سينقذني من تحمُّل العواقب كالأخرين.

“ألا يمكن أن تفعل ذلك من أجلي؟”

“لن أضحي بنفسي من أجلك.”

“لا تقول هذا أرجوك”. رفعت يده عن كتفها وقربتها من وجهها. “لماذا تفعل ذلك معي يا سام؟ لم يكن قدر آرتشر عندك بأعلى من...”

“مايلز”، قال سبايد بعدائية، “كان حقيراً ابن عاهرة، ولقد اكتشفت هذا منذ اليوم الأول لعملنا معاً، وكنت قد قررت طرده بحلول بداية العام، لم تؤذيني بقتلك لمايلز بأي شكل.”

“إذا ما السبب؟”

رفع سبايد يده عن وجهها، لم يعد يبتسم أو يضحك. كان وجهه الغارق في العرق قد صار جامداً وكثير التجاعيد، وعيناه تشتعلان بالغضب، “اسمعي. لا فائدة مما نقول، لن تفهميني أبداً، لكني سأحاول لآخر مرة، ربما تياسين بعدها. اسمعي. حينما يقتل أحدهم شريكك، عليك أن تفعل شيئاً حياً الأمر، بصرف النظر عن رأيك فيه، لقد كان شريكك و عليك أن تتصرف، أما في مجال عملنا كمحققين، فالأمر أسوأ، إن هرب الشخص الذي قتل شريكك سيضر هذا بمهنتك

وبسمعتك، هذا أمرٌ سيء لك ولكل محقق يعمل في نفس المجال. ثالثًا: أنا محقق، أن تطلبي إليّ أن أطلق سراح المجرم بعد أن وجدته، هو كطلبك من الكلب أن يطلق الأرنب الذي اصطاده بعد أن صار فريسته. لا يمكن لهذا أن يحدث، إلا في حالات نادرة، ولكن ليست تلك طبائع الأشياء، كانت الفرصة الوحيدة لجعلك تفلتين لتحديث إن كنت قد تركت جوتمان وكايرو الفتى ليفلتوا بفعلتهم. هذا..."

"أنت لست جادًا، لا تتوقع مني بالطبع أن أصدّق أن تلك هي أسباب الأكثر أهمية ومنطقية في وراء إصرارك على تسليمي..."

"انتظري حتى أكمل حديثي، ثم يمكننا عندها مناقشة الأمر، رابعًا: بصرف النظر عن رغبتني الشخصية، فإفلاتك الآن سيتسبب في توريطي في الجريمة وإرسالي إلى المشنقة كالأخرين. خامسًا: أنني لا أملك أي ثقة في هذا العالم للدرجة التي تجعلني أثق بك، فأطلقك ولربما استطعت الإفلات منها بشيء تملكينه ضدي وقتما أردت، سادسًا: نظرًا لأنني أملك دلائل ضدك، فلا أثق تمامًا في احتمالية أن تحاولي إطلاق النار عليّ ذات يوم، سابعًا: أنني لا أثق بوجود قرصية بنسبة واحد في المائة بأنك لم تقصدي

خداعي، وثامناً: لا هذا يكفي. تخيّلني كل هذه الأسباب في ناحية، حتى لو كان بعضها في ظنك غير ذي أهمية، لكن انظري إلى عددها، وقارني ذلك بالأسباب التي قد تجعلني أطلق سراحك على الجانب الآخر، سبب واحد فقط، وهو احتمالية أن أكون واقعاً في حبك أو أن تكوني كذلك”

“أنت تعرف جيداً” همست له، “حقيقة مشاعرك تجاهي”

“لا أعرف. ربما تستحقين أن أكون مفتوناً بك على أي حال”، نظر سبايد بشوق إليها وتفحصها من رأسها حتى قدميها، ثم عاد ينظر عميقاً في عينيها. “كما أنني لا أعلم تعريفاً محدداً للحب، هذا أمرٌ عسيرٌ على التخمين. ولكن لنهب أنني مفتونٌ بك بالفعل؟ ما المشكلة؟ ربما سأنسى كل شيء بحلول الشهر المقبل. لقد مررت بمثل هذه محنة من قبل - وقد انتهى الأمر بذات السرعة. ثم ماذا عليّ أن أفعل؟ هل أقع أسير رجائك وأتركك ترحلين؟ وإذا فعلت ثم تحملت عواقب فعلتي واكتشفت بعدها أنني قد تشرّبت الخدعة مجدداً، حسناً، أعلم أنني إذا أرسلتك للسجن سأسف على الأمر بعمرى - وسأقضي أياماً لعينة تعيسة - ولكنها ستمر. اسمعي.” أمسكها سبايد من كتفيها ومال

عليها. "إن لم يكن كل ما قلت قد عنى لك أي شيء، فدعيني أخبرك عن الأمر بطريقتي: لن أتركك ترحلين لسببٍ وحيدٍ، ذلك أن كل جزءٍ منِّي يريد أن.. يريد أن يلقي بكافة الاحتمالات والعواقب وراء ظهره من أجلك.. ولأنك - اللعنة عليك - قد مارست عليّ سحر فتنتك لترغميني على تخليصك من الأمر، كما استخدمتها من قبل على الآخرين، بنفس الطريقة." قال سبايد ذلك ورفع يديه عنها.

رفعت بريجيد يدها إلى وجنتيه وقربت وجهه منها ثانية. "انظر إليّ"، قالت، "أصدقني القول، هل كنت لتفعل نفس الأمر لو كان الصقر الذي وجدناه هو النسخة الحقيقية وكنت قد حصلت على المبلغ الذي وُعدت؟"

"ما الفرق الآن؟ لا تظنني بهذا القدر من الشر الذي من المفترض أن أبدو عليه. هذه السمعة التي أتلبسها مفيدة لمهنتي.. تؤتيني دائمًا بالعملاء الأثرياء وتجعلني أقدر على التعامل مع الأعداء."

نظرت إليه ولم تقل شيئًا.

حرك سبايد كتفيه قليلًا وقال: "الكثير من المال كان ليصير حافزًا جيدًا يستند إليه السبب الوحيد في الكفة الخاسرة."

رفعت بريجيد وجهها إليه. كان فمها مفتوحًا
 وشفتاها تتحركان بخفة، همست: "إن كنت تحبني حقًا،
 لم احتجت دافعًا آخر في تلك الكفة سوى الحب."
 جزّ سبايد أسنانه وقال من بينها: "لن أنخدع
 وأضحى من أجلك."

أطبقت شفتيها على شفتيه، وذراعيها من حوله.
 كانت بين أحضانه حينما رن جرس الباب.
 أزاح سبايد نفسه من بين ذراعيها وذهب حتى باب
 الردهة وفتحه.

كان الملازم داندي، والمحقق الرقيب توم بولهاوس،
 ومحققون آخرون بالباب.

قال سبايد: "مرحبًا يا توم، هل قبضت عليهم؟"
 "قبضنا عليه". قال توم

"عظيم. هاك شريكة أخرى"، دفع سبايد الفتاة إليهم.
 "لقد قتلت مايلز، ولدي بعض الأدلة؛ مسدسات الفتى،
 ومسدس يخص كايرو، وذلك الذي تسبب في كل تلك
 المأساة المسدس الستاتويت الأسود، وورقة بألف دولار
 قد منحوها إليّ بصفة رشوة" نظر سبايد إلى داندي،
 وعقد حاجبيه، ثم مال قريبًا إلى وجهه ثم انفجر
 ضاحكًا، "ما بال رفيقك يا توم؟ يبدو كسير الفؤاد"،
 ضحك سبايد مجددًا، "أكاد أجزم أنه ظن أنه قد أوقع

بي أخيرًا مجددًا عندما سمع اعترافات جوتمان.

“توقف عن هذا يا سام” زمجر توم “نحن لم نظن للحظة.”

“بحق الجحيم لقد فعل بالتأكيد”.. قال سبايد بمرح،
 “لقد جاء إلى هنا يحذوه الأمل في الإيقاع بي، على الرغم من أنه بقليل من المنطق كان ليتضح لكم تمامًا أنني كنت أخطط للإيقاع بجوتمان.”

“قلت لك توقف عن هذا”، اعترض توم مجددًا بينما نظر إلى رئيسه بانزعاج، “على كل حال، لقد حصلنا على الاعترافات من فم كايرو، لقد مات جوتمان، كان الفتى قد أطلق عليه رصاصات أنهت حياته قبل أن نصل إليه.”

أوما سبايد وقال: “كان على جوتمان توقع مثل هذا المصير.”

وضعت إيفي برين الجريدة من يديها وقفزت عن مقعد سبايد حين دخل إلى المكتب في صباح الاثنين بعد التاسعة صباحًا بدقائق قليلة.

“صباح الخير يا ملاكي” قال سبايد

“هل ما كتب في الجرائد، هل كان ذلك حقيقيًا؟”

“نعم يا أنستي.” قالها ووضع قبعته على المكتب

وجلس. كان وجهه ليس مشرقًا بعد بألوانه الطبيعية، غير أن عينيه كانت تنطق بالسعادة، على الرغم من بعض العروق الحمراء التي ظهرت جلية فيها.

اتسعت عينا الفتاة في دهشة وتدلى فمها. وقفت بجانبه تحدق إليه.

رفع سبايد رأسه، ابتسم وقال ساخرًا: "ما بال حاستك الأنتوية الآن؟"

كان وجهها مرتابًا كملامحها. "هل فعلت ذلك بها حقًا يا سام؟"

أوما سام، "عزيزك سام يعمل محققًا"، ونظر عميقًا في عينيها، ووضع ذراعه حول خصرها ويده على فخذها. "لقد قتلت مايلز حقًا يا ملاكي: قالها برقة، "بدم بارد، في لحظة"، قالها مطرقًا إصبعيه.

هربت الفتاة من بين ذراعيه كأن لمستته تؤلمها، "أعلم.. أعلم أنك على حق. على حق. ولكن لا تلمسني الآن.. ليس الآن."

أصبح وجه سبايد شاحبًا.

سمع صوت مقبض الباب يتحرك بالخارج، فخرجت إيفي برين من فورها، ثم دخلت إلى مكتب سبايد مجددًا وأغلقت بابه وراءها. قالت في صوت خفيض ثابت: "إيفا هنا".

نظر سبايد إلى مكتبه، وأوماً بخفة لا تكاد ترى.
"نعم"، قال مرتجفاً، "حسناً. دعيتها تدخل."

النهاية